

العدد الثامن — السنة الثالثة عشرة — رجب 1390 — 1970

# دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

## في هــذا العــدد :

صفحــة



تصدرها
وزارة عموم الأوقاف
والشؤون الاسلامية
بالمملكة المغربية

ثمن العدد درهم واحد

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

# دعوة الحق

العدد الثامن
السنة الثالثة عشرة
رجب 1390
شتنبر 1970

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

## بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » — قسم التحرير — وزارة عموم الاوقاف
الرباط — المغرب . الهاتف 10 — 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فأكثر .
السنة عشرة أعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

---

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 — 485 — الرباط

**Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat**

او تبعث رأسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » — قسم التوزيع — وزارة عموم الاوقاف — الرباط — المغرب .

---

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

---

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » — قسم التوزيع — وزارة عموم الاوقاف — الرباط
تليفون 10-308 — 03-327 — الرباط

« ومن الزم الوسائل واوثق الأسباب ، ان تكــون طريــق الوصول معبدة واضحة ، لا تلتبس بغيرها من المسالك » .

« فكلما كان الملسك الى الغاية المنشودة مستقيمــا ، لا يلتوي تارة ولا يعوج تارة اخرى ، وكانت وجهة القصــد بينة لا اختلاف فيها ، معروفة المعالم ، لا يتنكر لها حينا بعد حين ، تقدمت الخطى ثابتة ، وكانت عاقبة السرى محمودة » .

« وان من تلك الوسائل والأسباب الى جانب هذا كله ، ان تصح العزائم ، وتتوثق عرى الارادات ، وتتجرد طوايا النفوس من عوامل التبديد والتشكيك ، ذات الاثر الوخيم على الكلمة الموحدة والجمع الشامل »

ثــم قال جلالته بعد ذلك :

« لذا قررنا بخطابنا هذا ان نلغي حالة الاستثناء ، وان نضع مشروعا جديدا للدستور ، بعد ان غيرنا فيه مــا غيرنــا ، وان نعرضه علــى استفتاء الشعب » .

وختم جلالته هذا الخطاب التاريخي العظيم بقوله حفظه الله :

« نسال الله سبحانه وتعالى ، لمن سينتخبون كممثلين للامة ، ولمن يضطلعون باعباء الحكم ، ان يكلل جهودهم بالتوفيق . حتى تسفر مساعي الجميع ، عما ننشده لهذه البلاد من خير متواصل . ونفع متلاحق » .

« كما نساله ان يسدد خطانا ويهدينا الى سبيله المستقيــم ويمد العرب والمسلمين بعونه الكريم ، ويهب لهم العز المكــين والفوز المبين ، ويجمع كلمتهم على التقوى ، ويرص صفوفهم ، ويعزز جانب المجاهدين الذين صدقوا ما عاهــدوا الله عليــه ، ويضفي عليهم وارف نعمائه وسابغ آلائه » .

« وانني لانتظركم شعبي العزيز ، يوم الجمعــة 24 مــن شهر يوليوز هذا ، لتقول كلمتك في هذا المشروع ، حتى يمكننا اذا وافقت عليه ، أن نشرع في الانتخابات في شهر غشت القــادم ، الاولى في 21 غشت ، والثانية في 28 غشت ، وفقنا الله جميعا في اختيارنا ، والسلام عليكم ورحمة الله » .

❋

وقد كان الشعب المغربي الوفي ، عند حسن ظن ملكه العظيم ، فصــوت لصالح الدستور الجديد ، باغلبية كبيرة ، شارفت حدود الاجماع ، كما سبقــت الاشارة الى ذلك ، ثم خاض بعد ذلك معركة الانتخابات البرلمانية ، وقد جرت على

دورتين ، الاولى تتعلق بالانتخابات غير المباشرة ، وقد تمت فى يوم 21 غشت المنصرم ، والثانية تتعلق بالانتخابات المباشرة ، وقد جرت فى يوم 28 منه ، وفقا لما ورد فى الخطاب الملكي الكريم، ووفقا لما ورد محددا بتفصيل فى القانون المنظم للانتخابات التشريعية .

❋

وان هذه المجلة التي تصدر عن وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية ، وتهتم أولا واخيرا بخدمة الاسلام والمسلمين ، ليهمها أن تقف بصورة خاصة ، عند أول جملة على الاطلاق ترد فى تصدير الدستور المغربي ، وهي العبارة التي تقول : « المملكة المغربية دولة اسلامية » .

واذا كان هذا لا يزيد على أن يكون تقريرا لحقيقة تاريخية ، وحقيقة واقعة معاشة ، فان النص عليه فى الدستور ، من شانه ان يدعم هذه الحقيقة ، وان يحميها ويصونها ، ويدفع عنها كل ما يمكن أن تتعرض له حالا أو استقبالا ، من عوامل البلبلة أو التشكيك .

دعوة الحق




**النص الكامل للدستور المغربي الجديد الذي صوت له الشعب المغربي يوم الجمعة 24 يوليوز 1970**

## تصدير

المملكة المغربية دولة اسلامية ذات سيادة كاملة ، لغتها الرسمية هى اللغة العربية ، وهى جزء من المغرب الكبير .

وبصفتها دولة افريقية ، فانها تجعل من بين أهدافها تحقيق الوحدة الافريقية .

وادراكا منها لضرورة ادراج عملها فى اطار المنظمات الدولية ، فان المملكة المغربية التى أصبحت عضوا عاملا نشيطا فى هذه المنظمات تتعهد بالتزام ما تقتضيه مواثيقها من مبادىء وحقوق وواجبات .

كما تؤكد عزمها على مواصلة العمل للمحافظة على السلم والامن فى العالم .

## الباب الاول :

## أحكام عامة
## المبادئ الأساسية

### الفصل الاول :

نظام الحكم بالمغرب نظام ملكية دستورية ديموقراطية واجتماعية .

### الفصل الثاني :

السيادة للامة تمارسها مباشرة بالاستفتاء، وبصفة غير مباشرة بواسطة المؤسسات الدستورية .

### الفصل الثالث :

الاحزاب السياسية والمنظمات النقابية والمجالس

الجماعية والغرف المهنية تساهم في تنظيم المواطنين وتمثيلهم .

ونظام الحزب الوحيد نظام غير مشروع .

**الفصل الرابع :**

القانون هو أسمى تعبير عن ارادة الامة ويجب على الجميع الامتثال له ، وليس للقانون أثر رجعي .

**الفصل الخامس :**

جميع المغاربة سواء أمام القانون .

**الفصل السادس :**

الاسلام دين الدولة ، والدولة تضمن لكل واحد حرية ممارسة شؤونه الدينية

**الفصل السابع :**

علم المملكة هو اللواء الاحمر الذي يتوسطه نجم أخضر خماسي الفروع .

شعار المملكة : الله ، الوطن ، الملك .

## حقوق المواطنين السياسية

**الفصل الثامن :**

الرجل والمرأة متساويان في التمتع بالحقوق السياسية .

لكل مواطن ذكرا كان أو أنثى الحق في أن يكون ناخبا اذا كان بالغا سن الرشد ومتمتعا بحقوقه المدنية والسياسية .

**الفصل التاسع :**

يضمن الدستور لجميع المواطنين :

— حرية التجول وحرية الاستقرار بجميع أرجاء المملكة .

— حرية الرأي وحرية التعبير بجميع أشكاله وحرية الاجتماع .

— حرية تأسيس الجمعيات وحرية الانخراط في أية منظمة نقابية وسياسية حسب اختيارهم .

ولا يمكن أن يوضع حد لممارسة هذه الحريات الا بمقتضى القانون .

**الفصل العاشر :**

لا يلقى القبض على أحد ولا يعتقل ولا يعاقب الا في الاحوال وحسب الاجراءات المنصوص عليها في القانون .

المنزل لا تنتهك حرمته ولا تفتيش ولا تحقيق الا طبق الشروط والاجراءات المنصوص عليها في القانون .

**الفصل الحادي عشر :**

لا تنتهك سرية المراسلات .

**الفصل الثاني عشر :**

يمكن جميع المواطنين أن يتقلدوا الوظائف والمناصب العمومية ، وهم سواء فيما يرجع للشروط المطلوبة لنيلها

## حقوق المواطن الاقتصادية والاجتماعية

**الفصل الثالث عشر :**

التربية والشغل حق للمواطنين على السواء .

**الفصل الرابع عشر :**

حق الاضراب مضمون .

ويبين قانون تنظيمي الشروط والاجراءات التي يمكن معها ممارسة هذا الحق .

**الفصل الخامس عشر :**

حق الملك مضمون .

للقانون أن يحد من مداه واستعماله اذا دعت الى ذلك ضرورة النمو الاقتصادي والاجتماعي المخطط للبلاد.

ولا يمكن نزع الملكية الا في الأحوال وحسب الاجراءات المنصوص عليها في القانون .

**الفصل السادس عشر :**

على المواطنين جميعهم أن يساهموا في الدفاع عن الوطن .

**الفصل السابع عشر :**

على الجميع أن يتحملوا ، كل على قدر استطاعته ، التكاليف العمومية التي للقانون وحده الصلاحية لاحداثها وتوزيعها حسب الاجراءات المنصوص عليها في هذا الدستور .

**الفصل الثامن عشر :**

على الجميع أن يتحملوا متضامنين التكاليف الناتجة عن الكوارث التي تصيب البلاد .

## الباب الثاني :



**الفصل التاسع عشر :**

الملك أمير المومنين والممثل الاسمى للامة ورمز وحدتها وضامن دوام الدولة واستمرارها وهو حامي حمى الدين والساهر على احترام الدستور ، وله صيانة حقوق وحريات المواطنين والجماعات والهيئات .

وهو الضامن لاستقلال البلاد وحوزة المملكة في دائرة حدودها الحقة .

**الفصل العشرون :**

ان عرش المغرب وحقوقه الدستورية تنتقل بالوراثة الى الولد الذكر الاكبر سنا من ذرية جلالة الملك الحسن الثاني ، ثم الى ابنه الاكبر سنا وهكذا ما تعاقبوا ما عدا اذا عين الملك قيد حياته خلفا له ولدا آخر من أبنائه غير الولد الاكبر سنا ، فان لم يكن ولد ذكر من ذرية الملك فالملك ينتقل الى أقرب أقربائه من جهة الذكور ثم الى ابنه طبق الترتيب والشروط السابقة الذكر .

**الفصل الواحد والعشرون :**

يعتبر الملك غير بالغ سن الرشد قبل نهاية السنة الثامنة عشرة من عمره ، والى أن يبلغ سن الرشد يمارس مجلس وصاية اختصاصات العرش وحقوقه الدستورية باستثناء ما يتعلق منها بمراجعة الدستور ويعمل مجلس الوصاية كهيأة استشارية بجانب الملك حتى يدرك تمام السنة الثانية والعشرين من عمره .

يرأس مجلس الوصاية أقرب الاقرباء الى الملك من جهة الذكور وأكبرهم سنا بشرط أن يكون بلغ من العمر احدى وعشرين سنة كاملة ، ويتركب مجلس الوصاية بالاضافة الى رئيسه من الرئيس الاول للمجلس الاعلى ورئيس مجلس النواب وسبع شخصيات يعينهم الملك بمحض اختياره .

قواعد سير مجلس الوصاية تحدد بقانون تنظيمي .

الفصل الثانى والعشرون :

للملك قائمة مدنية .

الفصل الثالث والعشرون :

شخص الملك مقدس لا تنتهك حرمته .

الفصل الرابع والعشرون :

يعين الملك الوزير الاول والوزراء ويعفيهم من مهامهم ويقيلهم ان استقالوا .

الفصل الخامس والعشرون :

يرأس الملك المجلس الوزارى .

الفصل السادس والعشرون :

يصدر الملك الامر بتنفيذ القانون ، وله أن يجرى استفتاء بشأنه أو يطلب قراءته من جديد طبق الشروط المنصوص عليها بالباب الخامس .

الفصل السابع والعشرون :

للملك حق حل مجلس النواب بظهير شريف طبق الشروط المبينة فى الفصلين 69 و 71 من الباب الخامس .

الفصل الثامن والعشرون :

للملك أن يخاطب مجلس النواب والامة ، ولا يمكن أن يكون مضمون خطابه موضع أى نقاش .

الفصل التاسع والعشرون :

يمارس الملك السلطة التنظيمية وتحدد ظهائر شريفة الميادين التى يفوض فيها الملك هذه السلطة للوزير الاول .

الظهائر الشريفة توقع بالعطف من الوزير الاول ما عدا الظهائر المنصوص عليها فى هذا الفصل والفصول 21 – 24 – 35 – 66 – 69 – 77 – 84 – 94 .

الفصل الثلاثون :

الملك هو القائد الاعلى للقوات المسلحة الملكية ، وله حق التعيين فى الوظائف المدنية والعسكرية كما له أن يفوض لغيره ممارسة هذا الحق .

الفصل الواحد والثلاثون :

يعتمد الملك السفراء لدى الدول الاجنبية والمنظمات الدولية ولديه يعتمد السفراء وممثلو المنظمات الدولية .

يوقع الملك المعاهدات ويصادق عليها غير انه لا يصادق على المعاهدات التى تترتب عنها تكاليف تلزم مالية الدولة الا بعد موافقة مجلس النواب .

تقع المصادقة على المعاهدات التى يمكن أن تكون غير متفقة مع نصوص الدستور وذلك باتباع المسطرة المنصوص عليها فيما يرجع لتعديله .

الفصل الثانى والثلاثون :

يرأس الملك المجلس الاعلى للانعاش الوطنى والتخطيط .

الفصل الثالث والثلاثون :

يرأس الملك المجلس الاعلى للقضاء ويعين القضاة طبق الشروط المنصوص عليها فى الفصل 77 كما يرأس المجلس الاعلى للتعليم

الفصل الرابع والثلاثون :

يمارس الملك حق العفو

الفصل الخامس والثلاثون :

اذا كانت حوزة التراب الوطنى مهددة أو اذا وقع من الاحداث ما من شأنه أن يمس بسير المؤسسات

الدستورية فيمكن الملك أن يعلن حالة الاستثناء بظهير شريف بعد استشارة رئيس مجلس النواب وتوجيه خطاب للامة ، وبسبب ذلك تكون له الصلاحية رغم جميع النصوص المخالفة فى اتخاذ التدابير التى يفرضها الدفاع عن حوزة التراب ورجوع المؤسسات الدستورية الى سيرها العادى وممارسة شؤون الدولة .

تنتهى حالة الاستثناء باتخاذ نفس الاجراءات المتبعة لاعلانها .

## الباب الثالث :

# مَجلِسُ النُّوَّاب

## تَنظِيمُ مَجلِس النُّوَّاب

**الفصل السادس والثلاثون :**

يستمد أعضاء مجلس النواب نيابتهم من الامة ،

وحقهم فى التصويت حق شخصى لا يمكن تفويضه

**الفصل السابع والثلاثون :**

لا يمكن متابعة أى عضو من أعضاء مجلس النواب ولا البحث عنه ولا القاء القبض عليه ولا اعتقاله ولا محاكمته بمناسبة ابدائه لرأى أو قيامه بتصويت خلال مزاولته لمهامه ما عدا اذا كان الرأى المعبر عنه يجادل فى النظام الملكى أو الدين الاسلامى أو يتضمن ما يخل بالاحترام الواجب للملك .

ولا يمكن فى أثناء دورات المجلس متابعة أى عضو من أعضائه ولا القاء القبض عليه من أجل جناية أو جنحة غير ما سبقت الاشارة اليه فى الفقرة الاولى من هذا الفصل الا باذن من المجلس ما لم يكن هذا العضو فى حالة التلبس بالجريمة .

ولا يمكن خارج مدة دورات المجلس القاء القبض على أى عضو من أعضائه الا باذن من مكتب المجلس ما عدا فى حالة التلبس بالجريمة أو متابعة مأذون فيها أو صدور حكم نهائى بالعقاب .

يوقف اعتقال عضو من أعضاء مجلس النواب أو متابعته اذا صدر طلب بذلك من المجلس ما عدا فى حالة التلبس بالجريمة أو متابعة مأذون فيها أو صدور حكم نهائى بالعقاب .

**الفصل الثامن والثلاثون :**

يعقد مجلس النواب جلساته فى أثناء دورتين فى السنة .

يرأس الملك افتتاح الدورة الاولى التى تبتدىء يوم الجمعة الثانية من شهر أكتوبر وتفتتح الدورة الثانية يوم الجمعة الثانية من شهر أبريل

اذا استمرت جلسات المجلس شهرين على الاقل فى كل دورة جاز ختم الدورة بمقتضى مرسوم .

**الفصل التاسع والثلاثون :**

يمكن جمع مجلس النواب فى دورة استثنائية اما بطلب من الاغلبية المطلقة لاعضاء المجلس واما بمرسوم.

تعقد دورات المجلس الاستثنائية على أساس جدول أعمال محدد وعند ما تتم المناقشة فى المسائل التى يتضمنها جدول الاعمال تختم الدورة بمرسوم .

الفصـــل الاربعـــون :

للوزراء أن يحضروا جلسات مجلس النواب وجلسات اللجان المتفرعة منه ولهم أن يستعينوا بمندوبين معينين من طرفهم .

الفصل الواحد والأربعون :

جلسات مجلس النواب عمومية ، وينشر محضر المناقشات برمته بالجريدة الرسمية وللمجلس أن يعقد اجتماعات سرية بطلب من الوزير الأول أو بطلب من ثلث أعضاء المجلـس

الفصل الثانى والأربعون :

يضع مجلس النواب قانونه الداخلى ويصادق عليه بالتصويت بيد أنه لا يمكن العمل به الا بعد أن تصرح الغرفة الدستورية للمجلس الاعلى بمطابقته لمقتضيات هذا الدستور .

الفصل الثالث والأربعون :

ينتخب أعضاء مجلس النواب لمدة ست سنوات ، ويطلق عليهم اسم النواب .

يتركب مجلس النواب : من أعضاء منتخبين بالاقتراع العام المباشر ومن أعضاء منتخبين من لدن جماعة ناخبة تتألف من مستشارى المجالس الحضرية والقروية ، ومن أعضاء منتخبين من لدن جماعات ناخبة تشتمل على المنتخبين بالغرف المهنية وعلى ممثلى المأجورين ، ويبين قانون تنظيمى عدد نواب كل فئة وطريقة انتخابهم وشروط قابليتهم للانتخاب وموانعها ، وينتخب رئيس مجلس النواب وأعضاء مكتبه كل سنة فى بداية دورة أكتوبر وينتخب المكتب على أساس التمثيل النسبى لكل فريق .

## سلط مجلس النواب

الفصل الرابع والأربعون :

يصدر القانون عن مجلس النواب بالتصويت ويمكن المجلس أن يأذن الحكومة أن تتخذ فى ظرف من الزمن محدود ولغاية معينة بمقتضى مراسيم يقع التداول فيها بالمجالس الوزارية تدابير يختص القانون عادة باتخاذها ويجرى العمل بهذه المراسيم بمجرد نشرها ، غير أنه يجب عرضها على مجلس النواب بقصد المصادقة عند انتهاء الاجل الذى حدده قانون الأذن باصدارها ، ويبطل قانون الاذن اذا ما وقع حل مجلس النواب .

الفصل الخامس والأربعون :

يختص القانون بالاضافة الى المواد المسندة اليه صراحة بفصول أخرى من الدستور بالتشريع فى الميادين الاتيــة :

- الحقوق الفردية والجماعية المنصوص عليها فى الباب الأول من هذا الدستور .
- المبادىء الأساسية للقانون المدنى والقانون الجنائى .
- احداث أصناف جديدة من المحاكم .
- الضمانات الأساسية الممنوحة لموظفى الدولة المدنيين والعسكرين ويمكن أن يوضح ويتمم هذه المقتضيات قانون تنظيمى .

### الفصل السادس والأربعون :

ان المواد الأخرى التى لا يشملها اختصاص القانون ، يختص بها المجال التنظيمى .

### الفصل السابع والأربعون :

ان النصوص الصادرة فى صيغة قانون يمكن تغييرها بظهير شريف بعد رأى مطابق من الغرفة الدستورية بالمجلس الاعلى اذا كان مضمون تلك النصوص داخلا فى اختصاص السلطة التنظيمية .

### الفصل الثامن والأربعون :

يمكن الاعلان عن حالة الحصار لمدة ثلاثين يوما بمقتضى ظهير شريف يوافق عليه المجلس الوزارى و يمكن تمديد هذا الأجل الا بقانون .

### الفصل التاسع والأربعون :

يصدر قانون المالية عن مجلس النواب بالتصويت طبق شروط ينص عليها قانون تنظيمى .

ان نفقات التجهيز التى يتطلبها انجاز التخطيط لا يصوت مجلس النواب بقبولها الا مرة واحدة عندما يوافق على التخطيط ويستمر مفعول الموافقة تلقائيا على النفقات طيلة مدة التخطيط . وللحكومة وحدها الصلاحية لتقديم مشروع قوانين ترمى الى تغيير البرنامج المصادق عليه كما ذكر .

اذا لم يقع قبول الميزانية فى 31 دجنبر فان الحكومة تفتح بمرسوم الاعتمادات اللازمة لسير المرافق العمومية والقيام بالمهام المنوطة بها على أساس ما هو مفتوح بالميزانية المعروضة بقصد المصادقة .

### الفصل الخمسون :

ان المقترحات والتعديلات التى يتقدم بها أعضاء مجلس النواب ترفض اذا كان قبولها يؤدى بالنسبة للقانون المالى اما الى تخفيض الموارد العمومية واما الى احداث تكليف عمومى أو الزيادة فى تكليف موجود .

## ممارسة السلطة التشريعية

### الفصل الواحد والخمسون :

للوزير الاول ولاعضاء مجلس النواب على السواء حق التقدم باقتراح القوانين .

توضع مشاريع القوانين بمكتب مجلس النواب .

### الفصل الثانى والخمسون :

يمكن للحكومة أن تدفع بعدم القبول كل اقتراح أو تعديل لا يدخل فى حيز اختصاص القانون .

واذا حدث خلاف فان الغرفة الدستورية من المجلس الاعلى تبت فيه فى ظرف ثمانية أيام بطلب من مجلس النواب أو من الحكومة .

### الفصل الثالث والخمسون :

تحال المشاريع والاقتراحات لاجل النظر فيها على لجان يستمر عملها خلال الفترات الفاصلة بين الدورات .

### الفصل الرابع والخمسون :

يمكن للحكومة أن تصدر خلال الفترة الفاصلة بين الدورات وباتفاق مع اللجان التى يعنيها الامر مراسيم — قوانين يجب عرضها بقصد المصادقة فى أثناء الدورة الموالية العادية لمجلس النواب

الفصل الخامس والخمسون :

يضع مكتب مجلس النواب جدول أعماله ، ويتضمن جدول الاعمال بالاسبقية وحسب الترتيب الذى تحدده الحكومة مناقشة مشاريع القوانين المقدمة من جانب الحكومة واقتراحات القوانين التى وقع قبولها من طرفها .

وتخصص بالاسبقية جلسة فى كل أسبوع لاسئلة أعضاء مجلس النواب وأجوبة الحكومة .

الفصل السادس والخمسون :

لاعضاء مجلس النواب وللحكومة حق التعديل وللحكومة بعد افتتاح المناقشة أن تعارض فى بحث كل تعديل لم يعرض من قبل على اللجنة التى يعنيها الامر .

يبت مجلس النواب بتصويت واحد فى النص المتناقش فيه كله أو بعضه اذا ما طلبت الحكومة ذلك مع الاقتصار على التعديلات المقترحة أو المقبولة من طرف الحكومة .

الفصل السابع والخمسون :

تتخذ القوانين التنظيمية وتغير طبق الشروط الاتية :

لا يقدم المشروع أو الاقتراح لمداولة وتصويت مجلس النواب الا بعد مضى عشرة أيام على ايداعه .

ولا يمكن اصدار الامر بتنفيذ القوانين التنظيمية الا بعد عرضها على الغرفة الدستورية من المجلس الاعلى بقصد الموافقة

## البـاب الرابـع :

# الحكومة

الفصل الثامن والخمسون :

تتألف الحكومة من الوزير الاول والوزراء .

الفصل التاسع والخمسون :

الحكومة مسؤولة أمام الملك وأمام مجلس النواب.

يتقدم الوزير الاول أمام مجلس النواب بعد تعيين الملك لاعضاء الحكومة ويعرض البرنامج الذى يعتزم تطبيقه .

الفصل الستون :

الحكومة تسهر على تنفيذ القوانين ، الادارة موضوعة رهن تصرفها .

الفصل الواحد والستون :

للوزير الاول حق التقدم باقتراح القوانين ، ولا يمكنه أن يودع أى مشروع بمكتب مجلس النواب قبل المداولة فى شأنه بالمجلس الوزارى .

الفصل الثانى والستون :

تحمل التدابير التنظيمية الصادرة عن الوزير الاول فى حدود التفويض المنصوص عليه فى الفصل 29 التوقيع بالعطف من لدن الوزير المكلف بتنفيذها .

الفصل الثالث والستون :

يتولى الوزير الاول تنسيق النشاطات الوزارية .

الباب الخامس :

# علاقات السلط بعضها ببعض

## العلاقات بين الملك ومجلس النواب

الفصل الرابع والستون :

اذا عرض على الطابع الملكي اقتراح قانون فللملك أن يطلب من مجلس النواب أن يقرأه قراءة جديدة .

الفصل الخامس والستون :

تطلب القراءة الجديدة بخطاب .

الفصل السادس والستون :

للملك أن يعرض على الامة بظهير شريف كل مشروع أو اقتراح قانون قصد الموافقة عليه عن طريق الاستفتاء .

الفصل السابع والستون :

نتائج الاستفتاء تلزم الجميع .

الفصل الثامن والستون :

اذا وافق الشعب بالاستفتاء على مشروع قانون رفضه مجلس النواب تعين حل هذا المجلس .

الفصل التاسع والستون :

للملك بعد استشارته رئيس الغرفة الدستورية وتوجيه خطاب للامة ، أن يحل مجلس النواب بظهير شريف .

الفصل السبعون :

يقع انتخاب مجلس النواب الجديد في ظرف ثلاثة أشهر على الاكثر بعد تاريخ الحل .

وفي أثناء ذلك يمارس الملك تلافيا للفراغ بالاضافة الى السلط المخولة له بمقتضى هذا الدستور السلط التي يختص بها مجلس النواب .

الفصل الواحد والسبعون :

اذا وقع حل مجلس النواب فلا يمكن حل المجلس الذي يليه الا بعد مضي سنة على انتخاب المجلس الجديد .

الفصل الثاني والسبعون :

يقع اشهار الحرب بعد احاطة مجلس النواب علما بذلك .

## علاقات مجلس النواب بالحكومة

الفصل الثالث والسبعون :

بامكان الوزير الاول بعد المداولة بالمجلس الوزاري أن يربط لدى مجلس النواب مواصلة الحكومة تحمل مسؤوليتها بتصويت يمنح الثقة بشأن تصريح يفضي به الوزير الاول في موضوع السياسة العامة أو بشأن نص يطلب المصادقة عليه .

ولا يمكن سحب الثقة من الحكومة أو رفض النص

الا بالاغلبية المطلقة للاعضاء الذين يتألف منهم مجلس النـــواب .

لا يقع التصويت الا بعد مضى ثلاثة أيام كاملة على اليوم الذى طرحت فيه مسألة الثقة .

يؤدى سحب الثقة الى استقالة الحكومة استقالـة جماعيـة .

**الفصل الرابع والسبعون :**

يمكن مجلس النواب أن يعارض فى مواصلة الحكومة تحمل مسؤوليتها وذلك بالمصادقة على ملتمس رقابة ، ولا يقبل الملتمس الا اذا وقعه على الاقل ربع الاعضـــاء الذين يتألف منهم المجلس .

لا تصح الموافقة على ملتمس الرقابة من لدن مجلس النواب الا بتصويت الاغلبية المطلقة للاعضاء الذين يتألف منهم المجلس ، ولا يقع التصويت الا بعد مضى ثلاثة أيام كاملة على ايداع الملتمس .

تؤدى الموافقة على ملتمس الرقابة الى استقالـــة الحكومة استقالة جماعية .

اذا وقعت مصادقة مجلس النواب على ملتمـــس الرقابة فلا يقبل أى ملتمس رقابة بعده طيلة سنة .

## البـاب السـادس :

# القضـاء

**الفصل الخامس والسبعون :**

القضاء مستقل عن السلطة التشريعية وعن السلطة التنفيذية .

**الفصل السادس والسبعون :**

تصدر الاحكام وتنفذ باسم الملك .

**الفصل السابع والسبعون :**

يعين القضاة بظهير شريف باقتراح مـن المجلس الاعلى للقضـــاء

**الفصل الثامن والسبعون :**

لا يعزل قضاة الاحكام ولا ينقلون الا بمقتضى القانـــون .

**الفصل التاسع والسبعون :**

يرأس الملك المجلس الاعلى للقضاء ويتألف المجلس الاعلى للقضاء بالاضافة الى رئيسه من :

- وزير العدل خليفة للرئيس .
- الرئيس الاول للمجلس الاعلى .
- المدعى العام للملك لدى المجلس الاعلى .
- رئيس الغرفة الاولى بالمجلس الاعلى .
- نائبين ينتخبهما قضاة المحاكم الاستئنافية من بينهم.
- نائبين ينتخبهما قضاة المحاكم الاقليمية من بينهم .
- ونائبين ينتخبهما قضاة محاكم السدد من بينهم .

**الفصـل الثمانـــون :**

يسهر المجلس الاعلى للقضاء على تطبيق الضمانات الممنوحة للقضاة فيما يرجع لترقيهم وتأديبهم .

## الباب السابع :

# المحكمة العليا

**الفصل الواحد والثمانون :**

أعضاء الحكومة مسؤولون جنائيا عما يرتكبون من جنايات وجنح أثناء ممارستهم لمهامهم .

**الفصل الثانى والثمانون :**

يمكن أن يوجه مجلس النواب التهمة اليهم وأن يحالوا على المحكمة العليا .

**الفصل الثالث والثمانون :**

يبت فى أمرهم مجلس النواب بالاقتراع السرى وبأغلبية ثلثى الاعضاء الذين يتألف منهم المجلس باستثناء الاعضاء الذين يعهد اليهم بالمشاركة فى المتابعة والتحقيق والحكم .

**الفصل الرابع والثمانون :**

تتألف المحكمة العليا من أعضاء ينتخبهم المجلس من بين النواب ، ويعين رئيسها بمقتضى ظهير شريف .

**الفصل الخامس والثمانون :**

يحدد قانون تنظيمى عدد أعضاء المحكمة العليا وكيفية انتخابهم وكذلك المسطرة التى يتعين اتباعها .

## الباب الثامن :

# الجماعات المحلية

**الفصل السادس والثمانون :**

الجماعات المحلية بالمملكة هى العمالات والاقاليم والجماعات وكل جماعة محلية أخرى تحدث بالقانون .

**الفصل السابع والثمانون :**

تنتخب الجماعات المحلية مجالس مكلفة بتدبير شؤونها تدبيرا ديموقراطيا طبق شروط يحددها القانون .

**الفصل الثامن والثمانون :**

ينفذ العمال فى العمالات والاقاليم مقررات مجالس العمالات والاقاليم وينسقون بالاضافة الى ذلك نشاط الادارات ويسهرون على تطبيق القانون .

## الباب التاسع :

# المجلس الأعلى للإنعاش الوطني والتخطيط

**الفصل التاسع والثمانون :**

يؤسس مجلس أعلى للانعاش الوطنى والتخطيط .

**الفصل التسعون :**

يرأس الملك المجلس الاعلى للانعاش الوطنى والتخطيط ، ويحدد قانون تنظيمى تركيب هذا المجلس .

**الفصل الواحد والتسعون :**

يحال مشروع التخطيط لاجل دراسته على المجلس الاعلى للانعاش الوطنى والتخطيط .

**الفصل الثانى والتسعون :**

يعرض مشروع التخطيط على مجلس النواب قصد الموافقة عليه بعد اقرار المجلس الوزارى له .

## الباب العاشر :

# الغرفة الدستورية للمجلس الأعلى

**الفصل الثالث والتسعون :**

تؤسس بالمجلس الاعلى غرفة دستورية .

يرأس هذه الغرفة الرئيس الاول للمجلس الاعلى .

**الفصل الرابع والتسعون :**

تشتمل الغرفة الدستورية بالاضافة الى الرئيس على :

- قاض من الغرفة الادارية للمجلس الاعلى ، وأستاذ بكليات الحقوق ، يعينان بظهير شريف لمدة ست سنوات .
- وعضو يعينه رئيس مجلس النواب وذلك فى مستهل مدة النيابة .

**الفصل الخامس والتسعون :**

يحدد قانون تنظيمى قواعد تنظيم الغرفة الدستورية وقواعد سيرها .

**الفصل السادس والتسعون :**

تمارس الغرفة الدستورية الاختصاصات المسندة اليها بفصول الدستور وتبت علاوة على ذلك فى صحة انتخاب أعضاء مجلس النواب وصحة عمليات الاستفتاء .

## الباب الحادي عشر :

# مراجعة الدستور

**الفصل السابع والتسعون :**

للملك حق اتخاذ المبادرة قصد مراجعة الدستور

**الفصل الثامن والتسعون :**

يمكن مجلس النواب أن يقترح على الملك مراجعة الدستور اذا تم اتفاق ثلثى أعضائه على تقديم هذا الاقتراح .

**الفصل التاسع والتسعون :**

تصير المراجعة نهائية بعد اقرارها بالاستفتاء .

**الفصل المائة :**

النظام الملكى للدولة وكذلك النصوص المتعلقة بالدين الاسلامى لا يمكن أن تتناولها المراجعة .

## الباب الثاني عشر :

# أحكام انتقالية

**الفصل الواحد بعد المائة :**

الى أن يتم تنصيب مجلس النواب يتخذ جلالة الملك الاجراءات التشريعية والتنظيمية اللازمة لاقامة المؤسسات الدستورية وسير السلط العمومية وتدبير شؤون الدولة .

دراسات اسلامية

# «هذا بلاغ للناس»

## دفاعا عن منطق عصرنا وكرامة عقولنا

للدكتورة بنت الشاطىء

« وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا . فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا . ذلك مبلغهم من العلم ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى » صدق الله العظيم

فجاة من حيث لا نتوقع ، يتردد في افقنا كلام عن حاجة الناس الى تفسير عصري للقرءان ، يستجيب للتقدم العلمي ويتابع ما يستحدث الانسان من علوم العصر ، وما يكتشف من اسرار الذرة والاليكترونات . .

ويسال سائل : كيف يمكن ان يتجمد فهمنا للقرءان عند ما فهمه اسلافنا منذ أربعة عشر قرنا ، وقد عاشوا بعقلية عصور غابرة ، لم تكن تدري اى شيء عن منجزات عصر اقتحام الفضاء وغزو القمر ؟

وهذا كلام يبدو في ظاهره منطقيا ومعقولا ، يلقي اليه الناس اسماعهم ويبلغ منهم غاية الاقناع ، دون ان يلتفتوا الى مزالقه الخطرة التي تمسخ العقيده والعقل معا ، وتختلط فيها المفاهيم وتتشابه السبل ، فتفضي الى ضلال بعيد . . .

الا ان نعتصم بايماننا وعقولنا ، لنميز هذا الخلط الماسخ لحرمة الدين ومنطق العصر وكرامة العلم !

— ◆ —

واول ما يشغلني من هذه القضية ، هو ان الدعوة الى فهم القرءان بتفسير عصري يحررنا من فهم الاولين .

تسوق الى الاقتناع بالفكرة السامة التي تناى بأبناء العصر عن معجزة نبي امي ، بعث في قوم أميين ، في عصر كان يركب الناقة والجمل لا ( المرسيدس والبوينج وابوللو ولونا ، ) ويستضيء بالحطب لا بالكهرباء والنيون ، ويستقي من نبع زمزم ومياه الآبار والامطار ، لا من مصفاة الترشيح ومرطبات الكولا . . .

وفي بيئة لا عهد لها بمفاعل الذرة ومعاهد التكنولوجيا ومراكز الكمبيوتر وقواعد سفن الفضاء . . .

ونتورط من هذا ( المطب ) الى المزلق الخطر ، يتسال الى عقول ابناء هذا الزمان وضمائرهم ، فيرسخ فيها ان القرءان اذا لم يقدم لهم علوم الطب والتشريح والرياضيات والفلك ، واسرار البيولوجيا والاليكترونات والكونيات ، فليس صالحا لزماننا ولا جديرا بأن تسيغه عقليتنا العلمية ويقبله منطقنا العصري !

هكذا باسم العصرية ، نغريهم من حيث تدري ولا تدري ، بأن يرفضوا فهم القرءان كما فهمه الصحابة في عصر المبعث ومدرسة النبوة ، ليفهموه في تفسير عصري من بدع هذا الزمان !

وباسم العلم ، نخايلهم بتأويلات محدثة ، تلوك كلمات عن الذرة والالكترون وتكنولوجيا السدود !

وفى ضجيج النقع المثار والبلبلة المحيرة ، تتعذر الرؤية الثاقبة التي تميز حقا من باطـل ، وعلمـا من دجل ، وايمانا من زخرف قول وبهرج بدعة .

ويفوتها ان تفصل بين منطق تفكير علمي ، وجراة ادعاء وطبول اعلان . .

**« ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوًا ، اولئك لهم عذاب مهين . واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كان لـم يسمعها كان فى اذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم » .**

والعلم فريضة ،

والشهادة امانة ،

وكلمة الحق مسئولية وتكليف .

وفى مواجهة التيار الجامح ، اؤدي فريضة العلم وامانة الشهادة ، لا اخشى فى الحق لومة لائم . .

وادع الان ، بدعة هذه الدعوة الى فهم القرءان بغير ما فهمه الصحابة فى مدرسة النبوة وعصر المبعث .

لافرغ اولا من فتنة عصرية زائفة ، ودعوى علمية مغلوطـة .

— ◆ —

**باسم العصرية** ، اقول ان كرامة **انسان العصـر** تابى عليه ان ياخذ العلم ، اى علم ، من غير اهله . وتنكر ان تروج فينا دعوة الى اهدار قيمة التخصص ، وانا لنعلم علم اليقين ان عصرنا ما حقق شيئا من تقدمـه العلمي الا بايمانه بالتخصص ، واصراره على وضـع الحدود التي تحول دون استباحة اي مجال للمعرفـة لغير ذوي الخبرة والاختصاص .

واذا جاز لطبيب او فلكي او زراعي ، ان يفسـر للناس القرءان بما تيسر له فهمه منه ، جاز لكـل من يستطيع من علماء العربية وفقهاء الدين قراءة كتاب فى الطب او الفلك او الزراعة ، ان يقدمه للناس بما تيسر له فهمه من هذه العلوم . .

واذا استباح كل مسلم ان يفسر للناس القرءان باجتهاده دون دراية او مؤهل ، بدعوى ان القرءان نزل للعالميـن .

ساغ ان نعطل وظيفة المفتي وقضاة الشريعة ، فلا يحتكرون فقه الاسلام وهو ديننا جميعا ..

وجاز بالمنطق نفسـه ان نوفر على الامة ، وهـي مثقلة باعباء التنمية وتكاليف معركة الشرف والوجود والمصير ، اعباء كليات اللغة العربيـة والشريعـة والدراسات الاسلامية ، من حيث لا حاجة لنا الى من يحتكرون التخصص فى هذه العلوم ، او يحترفون الفقه بها والفتيا فيها .

بل يجوز ايضا ، ان نسـد ذرائـع الاحتكـار والاحتراف ، فلا نسمح لفئة من علمـاء القانـون ان يحتكروا القانون المدني ، وآخرين القانون الجنائي ، او الشريعة الاسلامية ، او القانون الدولي ، او القانون المقارن . . . كيلا يحجروا على غيرهم من حملة اجازة الحقوق ، حرية الحركة ومجال العمل . . .

وكي ناخذهم بمنطق « **عمومية الثقافة واشتراكية العلم وحرية انسان العصر**» فلا يفكروا «**بعمامة محترف يدافع عن اختصاصاته الرسمية التي ياكل منها خبزه**».

اى تزييف للعصرية ، يسمح بمثل هذا الاهدار لقيمة التخصص ، والمسخ لمفهوم الحرية والتقدم ؟

وهل ترانا نحترم عصريتنا ونامن على مسيرتنا مع رواد الفضاء وغزاة القمر، اذا نحن تحررنا من منطق زمن مضى . لم يكن يسمح لاى مسلم ان يفتي و «مالك» فى المدينة ، ونادينا بسقوط هذا الجمود والاحتكار ، فابحنا لمن شاء من العالمين الذين نزل لهم القرءان ، ان يفتي فى الحرام والحلال !

## باسـم العلـم :

اعلن رفضى لمن يتصدون للفتيا والتفسير بغير علم ولا مؤهل ، وقصارى ما نعلمـه ، ان اى مفسـر عصري ، له تخصص فى علم واحد من هذه العلـوم . فان قيل انه يتحدث فى سائرها بمعارفه العامة ، قلنا ان اى طالب بالمدرسة الثانوية له مثل هذه المعارف العامة . ولا يعوز فقهاء العربية والقرءان ، هذا القدر من المعارف المتاح لعامة المثقفين . وليسوا بحيـث يكتبون فى التشريح مثلا ، بمعارفهم العامة ، وبدعوى عمومية الجسم البشري الذي هو للناس جميعا ، على سـواء !

ولا اتردد فى الجهر بانه لا حرمة فينـا لمـن لا يحترم العلم ، بل تسقط كل حرمة له ، بمجرد خوضه فيما لا يعلم ، وجراته على ان يقول « ادري » فيمـا لا يـدري !

قد افهم ان يتكلم طبيب فيما يفهمه من آيات قرءانية يمكن ان تتصل بالطب، وان يكتب خبير زراعي، فيما يفهمه من آيات كتابنا فى النبات والفاكهة والزرع ولواقح الرياح .

وان يتحدث عالم رياضي ، فيما يتيسر له فهمه من دلالات الاعداد القرآنية ،

وان يلتفت خبير كيميائي ، الى آية القدرة الالهية فى تسوية بنان الانسان ،

وان يقف عالم جغرافي عند آية القدرة الالهية فى **البحرين يلتقيان : هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج ، وبينهما برزخ لا يبغيان ،**

وان يقف عالم فلكي عند آية القدرة فى **السماء رفعها الله بغير عمد ترونها ، وما فى خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار ، من آيات لاولي الالباب .**

قد افهم هذا كله ومثله معه ..

ولكن الذي لا افهمه ، ولا ينبغي لي ان افهمه ، هو أن يجرؤ مفسرون عصريون على ان يخوضوا فى كل هذا ، فيخرجوا على الناس بتفاسير قرآنية وفتاوي دينية ، فيها طب وصيدلة وطبيعة وكيمياء ، وجغرافيا وهندسة وفلك وزراعة وحيوان وحشرات وجيولوجيا وبيولوجيا وفسيولوجيا ...

او ان اتخلى عن منطق عصري وكرامة عقلي فآخذ فى المجال العلمي « بضاعة الف صنف » معروضة فى الاسواق !

او ان اتخلى عن كبرياء علمي وعزة اصالتي ، فاعيش فى عصر العلم بمنطق قريتي ، حين يفد عليها الباعة الجائلون بالف صنف ، يروج لها ضجيج اعلاني بالطبل والمزمر عن « كل شيء لكل شيء » او « تباع كله » فى فكاهتنا الشعبية الساخرة بالادعاء !

## باسم العلم :

ارفض هذه الردة العقلية ، ترجع بنا القهقرى الى عصور غابرة ، فتزين لنا ان نفكر بالمنطق الاسطوري الذي يتلقى فيه انسان عن ساحر من الجن ، كلمة السر التي تفتح له ابواب الخزائن الموصدة وتبيح له كنوزها الخفية ؛ فنتصور ان من العصريين من يستأثر بكلمة السر من مثل « افتح يا سمسم » فتفتح له خزائن علوم الدنيا والدين ، وتبيح له خفايا الغيب واسرار الحكمة ، فلا يلبث ان يخرج على الناس ، وفى جرابه طرائف من علوم الطب والطبيعة والكيمياء ، والرياضيات والفلك ، والنبات والحشرات ، ومكتشفات من مجاهل الميتافيزيقا ، وما استأثر به الله من علم الغيب والساعة !

ارفض ان يسخر مفسرون عصريون بمنطقنا العلمي ، نحن الذين تعلمنا ان نقول : لا ندري ، حين لا ندري ، فيزينوا لنا ان نقرأ تأويلات لهم يزيفونها بقناع العلم ، واول ما يعيه تلاميذ المدارس من مبادىء العلم ، رفضه الرجم بالظن ، واول ما نلقنه طلابنا فى منهج المعرفة ، هو ان القرءان حرر العقل الانساني غرور الخوض فى الغيبيات بغير علم ، وليست مما يخضع لتجربتنا ومشاهدتنا ، لنقول فيها برأى . وانما حسب المؤمنين منا ان يقفوا عند الذي جاءهم به الدين من امرها ، اما غير المتدينين فحسبهم ان يؤمنوا بالعلم الذي لا يبيح لاحد ان يخوض فيما لا يعلم ، وان يقطع بنفي او يقين ، فى مجاهل ميتافيزيقية لم يكشف له العلم عنها .

وارانا اليوم ، نواجه فى عصر العلم من ينتحلون الدراية بكل علوم الدين والدنيا ، ومن يخوضون فى الغيب فينبئنا احدهم بما سوف يحدث فى الصين سنة 2 000 ميلادية ، تأويلا لكلمات القرءان فى يأجوج ومأجوج !

ومن يفسر لنا آيات القرءان فى القيامة والبعث للاخرة ، بانها لا تعدو ان تكون مجازا عن تجلي وجه الله سبحانه !

وتبلغ بهم الاستهانة بعقليتنا العصرية ومنطقنا العلمي ، أن يتصوروا ان هذا مما يجوز فى عصر العلم !

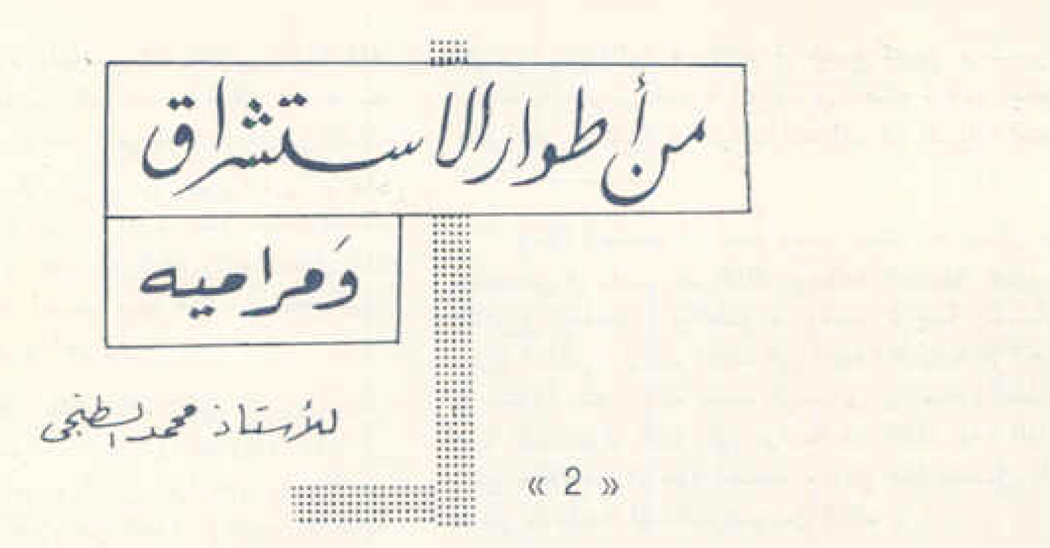
**« وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا . فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا . ذلك مبلغهم من العلم ، ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى»**

— ◆ —

فماذا عن القرءان الذي يراد لنا ، باسم العلم ومنطق العصر ، ان نفهمه بتفسير عصري يحررنا من الجمود على فهم الصحابة للقرءان فى مدرسة النبوة وعصر المبعث ؟

الحديث فى ذلك يطول ، فالى لقاء . والسلام على من اتبع الهدى .

**القاهرة : بنت الشاطىء**




ثم يجيب المستشرق نلينو عن الغرض من دراسة العربية الان ( والوقت 1928 ) فيقول كان الغرض الاصلي من القرن الثاني عشر الى السادس عشر دراسة الكتاب المقدس ؛ اما الان فهو دراسة التاريخ وخدمة العلم والوقوف على علاقة العرب باوربا وتحرير التاريخ العالمي الذي تجمع مواده من كل مكان ، ولكن الآن بالنسبة للعلاقات التجارية والاستعمارية فان في اوربا مدارس خاصة بتعليم العربية للشباب الراغبين في التجارة مع الشرق العربي او الراغبين في التوظف في طرابلس او الجزائر وهؤلاء بالطبع لهم اغراض عملية هي غير اغراض المستشرقين العلمية » انتهى كلامه.

## باعث نشر الدين المسيحي بين الامم الشرقية

ورغم تقديرنا لتصريح هذا المستشرق فيما يتعلق بالبواعث على دراسة اللغة العربية وذكره لاغراض غير علمية ضمن هذه البواعث فانه اغفل ناحية ذات اهمية في هذه البواعث وهي ناحية الرغبة في التبشير بالدين المسيحي ونشره بين الامم الشرقية ، على ان هذه الرغبة هي الباعث على تأسيس عدة مدارس في اوربا ، ولا ادل على هذا مما ذكره عالم لغوي مسيحي من اعظم علماء اللغة العربية بين المسيحيين العرب وهو الشيخ سعيد الشرتوني صاحب قاموس اقرب الموارد في اللغة العربية ، فقد نشر بحثا قيما في جزء اكتوبر من مجلة المقتطف لعام 1900 تعرض فيه لعناية الاعاجم باللسان العربي فقال : « واما اشتغال الافرنج بالعربية فقد ابتدا في اوائل القرن السادس عشر للميلاد ، واول كتاب عربي طبع في الديار الاوربية لا يتقدم تاريخ طبعه سنة 1514 » .

ثم قال : « واعلم ان للاحبار الرومانيين في ادخال العربية الى الديار الافرنجية او في تكثير سواد المقبلين عليهما من الافرنج يد لا تنكر ، وذلك ان البابا غريغوريوس الثالث عشر انشا مدرسة للموازنة في مدينة رومة سنة 1584 للميلاد ، وقد خرج من تلك المدرسة خلق كثير من اهل العلم وارباب القلم ، فالفوا وترجموا وعلموا في اوربا ، وفي هؤلاء جبرائيل الصهيوني الاهدني الذي اقرا العربية والسريانية في مدرسة باريس الملكية وطبع كتاب قواعد العربية سنة 1616 ، وفي رواية سنة 1613 وكان هو احد العلماء الموارنة الثلاثة الذين مالاوا ميخايل لاجي الكاهن الفرنسي على عمل ( البوليكلوتا الباريسية اي الكتاب المقدس بعدة لغات ) وفيهم ايضا نادرة الزمان الملقب بأمير العلماء يوسف سمعان السمعاني صاحب التاليف الممتعة الضخمة ، الذي عاد الى الشرق وضرب في آفاقه واخذ من نفائس تصانيف علمائه ما اخذ ونشر بين ظهراني الافرنج تواريخ الامم الشرقية كافة باللغة اللاتينية .

## احداث مجمع نشر الايمان سنة 1622

وان البابا غريغوريوس الخامس عشر احدث الجمعية المعروفة بمجمع نشر الايمان سنة 1622 وانشا لها البابا اربانوس الثامن الذي جلس على الكرسي الروماني سنة 1627 مدرسة لتعليم اللغات الشرقية لمن يترشحون رعاة دين في الاطراف المشرقية وجعل فيها من المشارقة الاساتذة للعربية والسريانية ، والراجح النازل منزلة اليقين ان اولئك الاساتذة لم يكونوا الا من تلاميذ مدرسة الموارنة المشار اليها العارفين بهاتين اللغتين الشرقيتين وباللغة الطليانية المحتاج اليها وصلة بين المعلم والتلميذ ، اذ لم يكن

بين يدي الحبر الموما اليه من المضطلعين بتأدية هذه الخدمة الا تلاميذ مدرسة الموارنة ؛ فذلك كله قد استاق الافرنج للجد فى تعلم العربية وغيرها من اللغات الشرقية فاقبلوا حينئذ على درس العربية ، وكان هذا الشيء اول الامر حبة خردل فاخذ ينمو شيئا فشيئا ويتزايد عدد طلابها ويتعدد ظهراؤها وانصارها فى تلك الامم الافرنجية ، وقد اشتهر فيهم عدد من المحصلين. هذا كلام صاحب اقرب الموارد .

وان المتتبع لكلام هذين الاستاذين المسيحيين يجدهما لا يذكران صراحة من البواعث رغبة اوربا فى الاستفادة من علوم العرب الذين كانوا خير واسطة فى القرون الوسيطة فى القيام على العلوم الرياضية والفلكية والطب ، حتى ادوها الى اوربا مهذبة ذات طابع عملي لا نظري ، فقط وان وقع التصريح بتهذيبهم الجليل لهذه العلوم من نفس الاستاذ نلينو المذكور .

## حول الاستفادة من معارف العرب

فقد سئل الاستاذ نلينو عن المواد التي تخصص فيها ، فقال فى الادب العربي كله على وجه الاجمال ، ولكني تخصصت بدرس اليمن والفلك ونشوء الفرق الاسلامية وعلاقة الفلسفة العربية بالاغريق القدماء . قال مندوب الهلال : قلت ما الذي لفت نظركم الى الفلك عند العرب وماذا رأيتم فيه من حيث السداد والخطأ فى معلومات العرب عنه ؟

قال : لقد سبق ان ذكرت لك المستشرق سكياباريلي فلهذا المستشرق شقيق يسمى باسمه ايضا هو اخصائي فى علم الفلك ، وقد اراد ان ينشر فى الايطالية «زيج البتاني» فى علم الفلك ، وكانت النسخة الاصلية لهذا الكتاب فى مكتبة الاسكوريال فى اسبانيا، فسافرت انا لاسبانيا ونسخت هذا الكتاب ونشرته بالعربية ، ثم ترجمته الى اللاتينية وعلقت عليه بالحواشي والتفاسير حتى بلغ ثلاثة مجلدات ضخمة ولما شرعت فى النسخ والترجمة عثرت على اغلاط رايت اني لن افطن لها ما دمت اجهل الفلك فشرعت فى درس هذا العلم فى نابولي وحررت عندئذ عبارته .

واما من حيث معلومات العرب عن الفلك فان العرب اخذوا نظرياتهم عن اليونان ؛ ولكنهم امتازوا عليهم بأن خرجوا من النظريات الى العمليات ، فانهم فى عصر المأمون اقاموا عدة مراصد وصححوا الجداول الخاصة بحركات القمر ، وكانوا يعتقدون كاليونان ان الارض مركز الكون ، ولكنهم فى جميع كتبهم يؤمنون باستدارة الارض فميزة العرب فى الفلك ، انهم جعلوا هذا العلم استقرائيا ، وكان عند اليونان نظريا ، انتهى كلامه .

وهذا الحديث له قيمة علمية حيث انه صادر من متخصص فى نفس علم الفلك وعلاقة الفلسفة العربية بالاغريق القدماء ، وبالطبع ما وقعت ترجمة كتاب ( زيج البتاني ) فى علم الفلك الى اللغة اللاتينية الا لاجل الاستفادة منه ، وقد بعثت الرغبة فى ترجمته والتعليق عليه المستشرق نلينو على دراسة علم الفلك لهذه الغاية حتى حققه من الوجهة العلمية ، ومن هنا نتنقل الى بعض ما طبعه المستشرقون من الكتب .

## ما طبعه المستشرقون من الكتب العربية

ونجد بواعث الاستفادة من دراسة هذه الكتب ظاهرة فى كثرة ما طبعه المستشرقون منها فى مختلف فروع المعرفة ، وقد سجل اللغوي المشهور سعيد اشرتوني صاحب اقرب الموارد فى البحث الذي المعنا اليه سابقا عدد ما اطلع اليه من طبع المستشرقين للكتب الى عامه 1897 ميلادي ، وعمل لها كشفا خاصا باسماء جميعها ، وذكر الامكنة التي طبعت فيها ، فاوصل العدد الى 578 كتابا .

وذكر فى كشف المطبوعات من كتب الطب والجبر والهندسة والجغرافية والفلاحة الكتب الآتية : القانون لابن سينا مع كتاب النجاة له ، وتذكرة الكحالين وهو مختصر فى علاج امراض العين مع ترجمته باللاتينية وكتاب الفلاحة لابن العوام الاندلسي الاشبيلي وكتاب الجبر لابي عبد الله محمد بن موسى بن شاكر ، وكتاب آخر فى الجبر لعمر بن ابراهيم الخيالي النيسبوري ، وتحرير اصول اقليدس ، وهو تعريب هندسة اقليدس لنصير الدين الطوسي طبع فى رومة 1594 ، وفى لندن 1657 ، وكتاب المسالك والممالك لان خردازبة المتوفى 300 هجرية طبع فى لندن سنة 1889 فى المجموعة المسماة الجغرافية العربية ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي ، وقال انه اعظم كتاب فى الجغرافية عند العرب والمسالك والممالك والمفاوز والمهالك لابن حوقل الرحالة الشهير طبعت منه عدة اجزاء فى ليدن وبون سنة 1871 ميلادية . واحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم للمقدسي طبع فى لندن فى جملة المجموعة المسماة المكتبة الجغرافية ، وعجائب الهند للبيروني الخوارزمي الحكيم المشهور المتوفى 1308 ميلادية

وكتاب الجبال والامكنة والمياه للزمخشري طبع في ليدن 1856 ، وكتاب الشريف الادريسي في وصف افريقيا واسبانيا طبع في ليدن مع ترجمة فرنسية وشروح سنة 1866 انتهى . والعناية بهذه الكتب وطبعها وترجمتها الى اللاتينية او الفرنسية او غيرها انما حصل لاجل الاستفادة منها اولا وبالذات لان اوربا في القرن السادس عشر الذي ابتدات العناية فيه بهذه الكتب لم يكن مصر نهضتها قد بان وظهر كما تقدمت الاشارة اليه من قول جوريب ماكيب في رجوع الفضل في نهضة اوربا الى المغرب .

### كلام مالك بن نبي بين التعديل الثقافي والتعديل السياسي

اما بعد ان تمكنت فيها النهضة العلمية الحديثة فكانت اطلاعها على احوال الشرق والدول الاسلامية بوجه عام من اجل تمكين الاستعمار ونشر المسيحية والطعن في الاسلام ورسوله عليه السلام ، وقد ذكر الكاتب العبقري الجزائري مالك بن نبي بحثا قيما حول انتاج المستشرقين واثره في الفكر الاسلامي في مجلة القبس الجزائرية العدد 3 سنة 1969 قال فيه : ان اوربا اكتشفت الفكر الاسلامي في مرحلتين من تاريخها فكانت في مرحلة القرون الوسطى قبل وبعد طوماس الاكويني تريد اكتشاف هذا الفكر وترجمته من اجل ثقافتها بالطريقة التي اتاحت لها فعلا تلك الخطوات الموفقة التي هدتها الى حركة النهضة منذ اواخر القرن الخامس عشر .

وفي المرحلة العصرية والاستعمارية فانها اكتشفت الفكر الاسلامي لا من اجل تعديل ثقافي بل من اجل تعديل سياسي لوضع خططها السياسية مطابقة لما تقتضيه الاوضاع في البلاد الاسلامية .

هذا من حيث الاستفادة العلمية واستغلال خيرات البلاد التي استعمروها ؛ ومن جهة اخرى وطدوا لهذا الاستغلال بمحاربة اديان البلاد المغلوبة والطعن في اصحاب تلك الاديان ؛ وبالخصوص الدين الاسلامي ونبيه العظيم .

وقد قدم الدكتور محمد البهي المدير العام للثقافة الاسلامية بالازهر تقريرا ضافيا للمؤتمر الاسلامي بالقاهرة نشر القسم الاول منه في مجلة الازهر جزء نونبر 1959 تحت عنوان المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الاسلام ، ومن جملة ما جاء فيه : « ان كتاب التبشير والاستعمار » يذكر نقلا عن مصادر التبشير ما ياتي : يعلن المبشرون انهم استغلوا الصحافة المصرية على الاخص للتعبير عن آراء المسيحية اكثر مما استطاعوا في اي بلد اسلامي اخر ، لقد ظهرت مقالات كثيرة في عدد من الصحف المصرية ، اما ماجورة في اكثر الاحيان او بلا اجرة في احوال نادرة .

### تحذير من المستشرقين من مقدمة الدكتور محمد البهي الى المؤتمر الاسلامي

ولهذا جاء في مقدمة الدكتور محمد البهي لهذا التقرير قوله : ان من صالح قيادة الامة كشعب موحد الاتجاه قوي في احاسيسه المشتركة ان ينحي عملاء التبشير والاستشراق من جوانب التوجيه العام ، سواء في التثقيف او النشر او الصحافة او الاذاعة .

ان عملاء التبشير والاستشراق هم عملاء الاستعمار في مصر والشرق الاسلامي ، وهم الذين دربتهم دعوة التبشير على انكار المقومات التاريخية والثقافية والروحية في ماضي هذه الامة ، وعلى التنديد والاستخفاف بها ، وهم الذين وجههم كتاب الاستشراق الى ان يصوغوا هذا الانكار والتنديد والاستخفاف في صورة البحث ، وعلى اساس من اسلوب الجدل والنقاش في الكتابة او الالقاء او الاذاعة .

ان التبشير والاستشراق كلاهما دعامة الاستعمار في مصر والشرق الاسلامي ، وكلاهما دعوة الى توهين قيم اسلامية ، والغض من اللغة العربية الفصحى ، وتقطيع اواصر القربى بين الشعوب العربية ، وكذا بين الشعوب الاسلامية ، والتنديد بحال الشعوب الاسلامية الحاضرة والازدراء بها في المجالات الدولية العالمية ، ثم ذكر الدكتور محمد البهي حفظه الله المرامي التي يرمي اليها المبشرون والمستشرقون بتفصيل نقطة نقطة ، الا انه ليس من المناسب للوقت الضيق لهذا الحديث ان استرسل في ذكر كل هذه الاغراض ، بل انتقل الى اعترافات خطيرة صادرة من نفس المستشرقين .

فهذا المستشرق جرجس سال الانجليزي المتوفى 1736 م الذي ترجم القرءان الى اللغة الانجليزية الف

مقالة عن الاسلام باللغة الانجليزية وترجمها الى العربية رجل سمى نفسه هاشما العربي ، وفي آخر الكتاب « الشيخ اليازجي » بين هلالين وطبعت سنة 1913 طبعة ثالثة ، وعلى واجهة الكتاب يطلب من المطبعة الانجليزية الامريكية ببولاق مصر : ففي هذا الكتاب اعترافات من المستشرقين بالتهجمات الواقعة على القرءان والاسلام وعلى رسول الاسلام بشكل فضيع وصريح .

فهو يقول : ليس من غرضي هنا ان اقطع بالسبب الذي دفع محمدا الى ركوب هذا الامر ، هل محض هوس منه في امر الدين ام انه اراد ان يتذرع به الى الرئاسة وقضاء شهوات البدن كما ذهب اليه جمهور مؤلفي النصارى . على انه لا يمتنع عندي ان يكون الامر كما قالوا ، ولكنه من المحتمل ايضا ان هذا الرجل لم يقصر مطامعه من اول وهلة على ادراك تلك الغاية الشخصية لا غير ، ولا ينكر ان المقصد الذي بنى عليه دعوته وهو رد الوثنيين من العرب الى معرفة الالاه الحق وعبادته دون غيره هو مقصد حميد شريف خلافا لما زعم احد علمائنا المتاخرين من انه ابدل قومه من وثنيتهم دينا آخر هو مثلها في القبح .

ثم يقول بعد ذلك ما ياتي : ولمنكر هذا الهوس من محمد ان يقول كيف يكون محمد ذا هوس وقد ابدى من الحزم والحصافة في تتبع مقصده ما لا يبديه ذو هوس في الدين ولا يعقل صدوره من رجل مختل الدماغ فنجيب عنه ان المهوسين لا يسلكون كلهم على نهج الرزانة والتحرز الذي سلكه محمد ( عليه الصلاة والسلام ) الا اننا كثيرا ما راينا اناسا قبله قد حادوا عن مقتضى المعقول من جهة واحدة او في امر واحد وكانت افعالهم فيما سوى ذلك غاية في الحزم والسداد.

وزاد فقال : وبعد ، فانه لما كان انتصار الاسلام فجاة ونشا عن تغلب اصحابه على النصارى اندثار كنائس المشرق التي كانت قبله زاهية مزهرة كانت كراهية النصارى لهذا الدين الذي عاد عليهم بالوبال امرا لا بد منه **فلا عجب والحالة هذه ان يفرغوا جهدهم في تقبيحه وتهجين واضعه ووصفهما باقبح الاوصاف.**

ويقول في شان القرءان المقدس لقومه بلغتهم : ومما لا مراء فيه ولا ينبغي ان يختلف فيه اثنان ان محمدا هو في الحقيقة مصنف القرءان ، واول واضعيه وان كان لا يبعد ان غيره اعانه عليه كما اتهمته العرب لكنهم لشدة اختلافهم في تعيين الاشخاص الذين زعموا انهم كانوا يعينونه عليه وهنت حجتهم وعجزوا عن اثبات دعواهم .

ومن السخافات التي كتبها هذا المستشرق دعواه ان المسلمين يكابرون في قضية التثليث في حق الالاه بعد ان اعترف بصحة عقيدة المسلمين في ذات الله وصفاته حيث قال ص 144 ما يعتقده محمد واهل السنة والجماعة من المسلمين في الله وصفاته هو اعتقاد صحيح حق لا يشوبه سوى مكابرتهم في انكار التثليث كما يظهر ذلك من القرءان نفسه .

## وعن تجرىء فولتير على الاسلام

يقول الاستاذ توفيق الحكيم المصري المشهور قرات لتسع سنوات خلت قصة فولتير التمثيلية التي يدعوها ( محمد ) فخجلت ان يكون كاتبها معدودا من اصحاب الفكر الحر فقد سب فيها النبي سبا قبيحا عجبت له ، لكن عجبي لم يطل فقد رايته يهديها الى البابا نوبوا الرابع عشر بهذه العبارات : فلتستغفر قداستك لعبد خاشع من اشد الناس اعجابا بالفضيلة اذا تجرا فقدم الى رئيس الديانة الحقيقية ما كتبه ضد مؤسس ديانة كاذبة بربرية ، والى من غير وكيل رب السلام والحقيقة استطيع ان اتوجه بنقدي قسوة نبي كاذب واغلاطه فلتاذن لي قداستك في ان اضع عند قدميك الكتاب ومؤلفه وان اجرا على سؤالك الحماية والبركة ، واني مع الاجلال العميق اجثو واقبل قدميك القديستين . فولتير 17 غشت 1745 ، انتهى من مجلة المغرب الجديد في الجزء الاول من سنتها الاولى

وقد اشتهر الوزير الفرنسي هانوتو بحملاته ضد الاسلام فتصدى له الشيخ محمد عبده رحمه الله برد عنيف جهله فيه وافحمه ، ومن جملة ما نقله هانوتو عن كتاب الفرنسي كيمون ( باتولوجيا الاسلام ) ان الديانة المحمدية جذام نشا بين الناس واخذ يفتك بهم فتكا ذريعا ، بل هي كمرض مريع وشلل عام وجنون ذهولي يبعث الانسان على الخمول والكسل ولا يوقظه منهما الا ليسفك الدماء ويدمن على معاقرة الخمور ويجمح في القبائح ، وما قبر محمد في مكة الا عمود كهربائي يبث الجنون في رؤوس المسلمين ويلجئهم الى الاتيان بمظاهر الهستريا ، وقال هانوتو معلقا على هذا القول ان امثال هذا الكاتب يعتقدون ان المسلمين وحوش ضارية وحيوانات مفترسة كالفهد والضبع

( كما يقول المسيو كيمون ) وان الواجب ابادة خمسهم ( كما يقول ايضا ) والحكم على الباقين بالاشغال الشاقة وتدمير الكعبة ووضع ضريح محمد في متحف اللوفر ( وهذا ايضا قوله ) .

قال الوزير هانوتو معلقا : وهو حل بسيط وفيه مصلحة للجنس البشري ، اليس كذلك ؟ ثم قال ولكن قد برح عن خاطر الكاتب انه يوجد نحو 130 مليون مسلم وان من الجائز ان يهب هؤلاء المجانين للدفاع عن انفسهم والذود عن بيضة دينهم .

ثم ذكر هانوتو الراى المقابل الذي يرى ان الاسلام دين ومدنية يتصلان بالديانة المسيحية ومدنيتها بعروة الاخاء والتضامن .

## كيف تقع اغلاط كبرى من المستشرقين

ويجدر بنا هنا ان ننقل كلام استاذ جامعي من اشهر الباحثين العرب ومؤلفيهم النابهين هو الاستاذ المرحوم احمد امين فيما يعرض لبعض المستشرقين في تاليفهم وابحاثهم ، وهذا في الحقيقة تاييد لما ابانه السيد رشيد رضا رحمة الله على الجميع فهذا المستشرق الالماني الاستاذ آدم ميتزالف كتاب الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري باللغة الالمانية وترجم الكتاب بالانجليزية والعربية ، وفي تقديم هذا الكتاب لاحظ عليه الاستاذ احمد امين بقوله ويؤخذ عليه ( اي على مؤلفه ) انه احيانا يعسر عليه النص فيفهمه على غير وجهته ، واحيانا يبتر النص وقد كان الاتيان به كاملا يوضح رايه او يخالف وجهة نظره كما يؤخذ عليه ، انه يستدل في بعض المسائل على راي بنص واحد ولو عرضت النصوص كلها لخرج الباحث منها براي يخالف رايه ، واحيانا نراه بحكم عقيدته ونشأته واعتماده على النصوص فقط دون الروح والذوق الفني والجو الاسلامي والعربي يشرد في رأيه ويخطىء في نظره انتهى، وهناك عدم اخذهم العلم عن اساتذة بل من الكتب والاستدلال بجزئية وجعلها كقاعدة كلية والتباس الاصطلاحات عليهم حتى يقعوا في اشد الاغلاط .

ثم قال الاستاذ احمد امين ، ولكن هذا لا يذهب بقيمة الكتاب وفائدته للباحثين الاسلاميين ، فالكتاب يعلمنا طرق البحث العلمي ويقدم لنا درسا فيها في صبر العلماء على معاناة البحث ، والاستناد الى اخبار عدد من المصادر وغربلتها واخذ ما فيها ، ويكشف لنا عن نواح من الحضارة مجهولة ، انتهى .

ويزيدنا بصيرة في هذا الموضوع لناخذ الحيطة والحذر فيما يقدمه لنا المستعربون غير المسلمين ، الاستاذ الفذ العبقري المرحوم عباس محمود العقاد الذي تكلم على بحوث علماء المقارنة بين الاديان المنشورة في المجلد الحادي والثلاثين من مجلة الازهر حيث ذكر ان علم المقارنة بين الاديان يسمى علما مع الحيطة المتفاهم عليها بين الباحثين والقراء لانه من المعارف التي يقيمها المشتغلون بها على اسس مختلفة كاختلافهم في العقيدة الدينية وفي النظر اليها ، فلينظره من اراد.

ولا شك ان من تامل بامعان ما قدمناه من تحامل المستشرقين على الدين الاسلامي وتصريح بعضهم بوجوب تقبيحه ووصف الداعي اليه باقبح الاوصاف يلتفت الى الكتاب العرب لينظر الى اى حد اعتمدوا على ابحاث هؤلاء المستشرقين في ابحاثهم وتاليفهم وما قدموا من توجيه في هذا الصدد للشباب المسلم فيجد منهم الناصح الامين ومنهم من جرفه تيار الطاعنين في دين الاسلام فايد نظريتهم فيه كما سيتبين ، فقد انتقد الكتاب المسلمون نظريات متطرفة من الافكار على الدكتور طه حسين كما لاحظ تطرفه المستشرقون انفسهم ، فقد الف المستشرق هاملتون جب كتابه دراسات في حضارة الاسلام وترجمة ثلاثة من الدكاترة الاساتذة في الجامعة الامريكية ببيروت هم احسان عباس ومحمد نجم ومحمد زايد ، وطبع الكتاب سنة 1964 .

قال هاملتون جب ملاحظا على الدكتور طه حسين انه اخذ يطبق نوعا من التحليل الديكارتي على الادب العربي ، وقال : عن مبالغة طه حسين في ابحاثه او تطرفه بعبارة اخرى انه اخذ يختاق المحافظين حتى بلغ به الامر ان طبق منهج الشك الفلسفي الى حد لم يكن الراى العام المصري على استعداد لتقبله ، ويمكننا ان نتتبع تطوره المتدرج نحو التطرف في الكتابين اللذين اصدرهما عن الشعراء العرب ، غير انه لم يكد ينشر كتابه الثالث الذي دعاه في الشعر الجاهلي حتى ثارت ضجة ادت الى سحب الكتاب من السوق واتهام مؤلفه بالالحاد . وهنا نجاه حسن حظه مرة ثانية من النتائج السيئة لهذه الجراة ، ولم تؤد محاولة المحافظين على اضطهاده الا الى تمكين شهرته وتعزيز مكانته في صفوف الاحرار والى جعله معبود الطلبة ، ولذا لم يبال شيئا بل اعاد نشر الكتاب في السنة التالية بعد ان عدل فيه بعض التعديل مجاملة للراي العام ووسعه بشكل واضح ، وجعل اسمه ( في الادب

الجاهلي ) ، وجاء في هامش هذا الكتاب في التعليق وقد نقده الاستاذ مرجليوت في مجلة الجمعية الاسيوية الملكية سنة 1927 – 902 \ 904 ، وقد اثار هذان الكتابان عددا من الردود التي كتبها كتاب من مدرسة المحافظين ، ونجد بحثا طريفا لهذه القضايا في مجلة المشرق 62 – 1928 ص 195 وما بعدها . وفي المجلد 27 \ 1929 ص 434 وما بعدها . وانظر عن الخصومة بين الدكتور طه حسين ونقاده في موضوع الشعر الجاهلي ، التحليل الذي كتبه الاستاذ اكراتشوكوفسي انتهى . وذكر في تعليق آخر ان التحليل في مجلة معهد العلوم في الاتحاد السوفياتي سنة 131 .

## حول الاعتماد على الرواية والحفظ او الغائهما على كل حالاتهما

وانا اذا نظرنا الى منهج الشك الديكارتي الذي طبقه الدكتور طه حسين على الادب نجده اعتمد فيه على قاعدة لا يسلمها المنصفون ، لانها تهدم كثيرا من النظريات والوقائع التاريخية وتجعل الامة العربية امة لا ادب لها ولا شعر الا المنحول المكذوب عليها ، فقد قرر المستعرب الاستاذ هور نسبة شعر امية ابن ابي الصلت اليه ولم يرتضيه الدكتور طه حسين فكتب في مناقشاته قوله : ومع اني من اشد الناس اعجابا بالاستاذ هوار وبطائفة من اصحابه المستشرقين وبما ينتهون اليه في كثير من الاحيان من النتائج العلمية في تاريخ الادب العربي وبالمناهج التي يتخذونها للبحث فاني لا استطيع ان اقرا هذا الفصل دون ان اعجب كيف يتطور العلماء احيانا في مواقف لا صلة بينها وبين العلم. ويقول بعد ذلك : ايمكن ان يكون المستشرقون انفسهم لم يبراوا من هذا التعصب الذي يرمون به الباحثين من اصحاب الديانات ؟ .

اما انا فلست مستشرقا ولست رجلا من رجال الدين ؛ وانما اريد ان اقف من شعر امية ابن ابي الصلت نفس الموقف العلمي الذي وقفته من شعر الجاهليين جميعا وحسبي ان شعر امية بن ابي الصلت لم يصل الينا الا من طريق الرواية والحفظ لا شك في صحته كما شككت في شعر امرىء القيس والاعشى وزهير . انتهى .

وبناء على هذه القاعدة التي ذكرها الدكتور طه حسين لايعتمد الباحثون طريق الرواية والحفظ ؛ وهذه القاعدة اذا اخذنا بها تبطل جميع المرويات مهما تعاضدت وتواترت او استفاضت او اشتهرت ، فان الرواية قد تبلغ مبلغ التواتر والشهرة والاستفاضة بين الجماهير فلا يبقى معها موضع للشك ، وقد تكون من الصادق الامين فتقبل ؛ نعم اذا كانت الرواية من غير رواة صادقين او الحفظ من غير ذوي الصدق في نقلهم هناك يتطرق الشك ؛ وهذا هو النقد النزيه الذي اعتمده حفاظ حديث الرسول فتقبلوا الصادق وصححوه وردوا المكذوب على الرسول وابطلوه ؛ وماذا نفعل في كتب الاحاديث التي نعلم انها لم تدون في اكثرها الا من حفظ الرجال ، انكرها كلها ونشك فيها فنبطل العمل بجميع مضمونها ؛ وماذا نعمل في القرءان وقد جمعت كثير من آياته من صدور الصحابة وهي متواترة ؛ وماذا نعمل ازاء الباحثين الذين يبحثون عن اعراف الجماعات وتقاليدها التي تبنى عليها الاحكام الخاصة المبنية على تلك الاعراف ؛ وكلها عن طريق الرواية .

وما هو موقفنا من اناس يحضرون اطروحاتهم في موضوعات التصوف او الادب الشعبي فيتلقون ذلك من افواه الحفاظ ؛ انكر كل ذلك عليهم ؟ اذا كان منهج الشك يوصلنا الى انكار الادب والتاريخ واحكام عظيمة الاهمية في الدين فلا كان ذلك المنهج ولا عاش بين اظهر البشر .

وبعد فواجب الشباب المغربي المثقف ان يعتمد على نفسه في البحث عن تراثه الادبي والعلمي وعن دينه ويطلع على ما كتبه فلاسفة الاسلام في موضوع هذا الدين العظيم مثل كتاب مناهج الادلة وفصل المقال فيما بين الفلسفة والشريعة من الاتصال للفيلسوف ابن رشد والرد على الدهريين للفيلسوف جمال الدين الافغاني والاسلام والنصرانية للامام محمد عبده والوحي المحمدي للشيخ رشيد رضا والرسالة الخالدة لعبد الوهاب عزام ، وامثال هذه الكتب متحريا النزاهة وكذلك ينبغي ان يعتمد الشباب على نفسه في ابراز معالم تاريخ امته وقطره على الخصوص ، وان لا يقلد احدا في اي بحث مهما بلغت شهرته ؛ وان يكون مستقل الفكر في معالجة الشؤون التاريخية المتعلقة بامته المغربية ؛ وان يستنتج من خلال مراجعته ما يجعله موقنا بان جماعة كثيرة من المستشرقين واتباعهم استخدموا اطلاعهم وسيلة لنكران الحق والطعن في الاسلام ولاحتقار الشعوب غير الاوربية ، وغمط مزاياها ، والله يوفق الجميع لبناء عظمة الامة الاسلامية من جديد حتى تتبوا مكانة الكرامة اللائقة بها والعزة التي كتبها الله للمومنين ، ولله العزة ولرسوله وللمومنين .

**الرباط : محمد الطنجي**

# موضوعات مغربية

# تثيرها ذكريات إسلامية

للأستاذ عبد القادر زمامة

## 1 ) ـ المعرفة تنبعث من حراء ..

فى يوم ذكرى الميلاد الشريف .. تشرئب الاعناق .. وتتراقص حبات القلوب .. الى تلك البقعة الطاهرة .. التى شهدت انبعاث نور المعرفة والحكمة من حراء .. فاتصلت الارض بالسماء ، اتصالا قلب اوضاعها العفنة .. فبدل خوفها امنا .. وجهلها علما .. وضلالها هداية .. وكفرها ايمانا .

انبعثت المعرفة من حراء تطوي الصفحات السود من تاريخ الانسان .. الذى لطخ الارض بالدماء .. واستعبد الضعفاء والابرياء .. واطفا مصابيح العقل .. واوقد نيران الشهوات .. وتحكم فى الارزاق والخيرات .. يعطي ويمنع .. ويرفع ويضع .. استجابة لمقاييس او مفاهيم املاها الشيطان .. واضاليل تبناها الانسان ..

انبعثت المعرفة من حراء لتبطل ناموس الشعوذة .. وتفتت صخور الكهانة وتعطل دولاب السلاليات .. واللونيات .. فالانسانية واحدة .. بأبيضها واسودها واصفرها . واحمرها .. يكمل بعضها بعضا .. ويعين بعضها بعضا ..

انبعثت المعرفة من حراء لتعلم الانسان ان هناك وراء قوة العضل .. وجبروت المال .. وفتك السلاح قوة اخرى هي قوة الايمان .. التى تربط بين الانسان وبين عالم النور والصفاء والخير والقوة .. التى لا تفنى ولا تزول ..

انبعثت المعرفة من حراء لتصحح المفاهيم والمقاييس. والمعايير. والديانات. والافكار. ولتطلق العقل من سجنه الذى ظل محبوسا فيه طيلة قرون طويلة .. ليناتى للوسطاء .. والكهنة .. ان يبدلوا كلام الله .. ويعبثوا بشرائعه ويطفئوا جذوة الطموح والذكاء فى الانسان ..

اخذت المعرفة طريقها الى بطحاء مكة .. تجمع تلك القلوب الحية .. وتنير تلك الضمائر الطيبة .. وتنادي تلك الآذان المرهفة .. فغرست جذورها من اول يوم فى اعماق الاعماق .. وتمكنت من حبات القلوب .. وحركت السواكن .. بآيات بينات تشع بالحكمة .. وتنطق بالحق .. وتجادل بالمنطق ..

وكان الرسول عليه السلام الذى انبعثت الحكمة بين يديه فى حراء .. وشع نور المعرفة امام عينيه بها .. يعلم من اسرار النفوس .. وطبائعها .. ما جعل من سلوكه نحو الناس مثالا انسانيا حكيما.. يسير فى دعوته سير الحكيم المتبصر .. المتجرد .. المومن .. فيقطع المراحل .. ويتجاوز الابعاد .. ويذلل الصعاب سلاحه دائما الايمان والمعرفة .

وكونت مدرسة الرسول عليه السلام تلك الامثلة الحية من الرجال الافذاذ ، الذين اقاموا الدليل العملي القاطع على انه باستطاعة الانسان اذا شرب من معين المعرفة الحقيقية المبنية على الايمان والطهر ... ان يبلغ درجة الكمال الممكن فى هذه الحياة .

وظلت المعرفة التى انبعثت من حراء شعلة وهاجة فى يد اولئك الذين كتبوا باعمالهم وجهودهم الصفحات الخالدة من حضارة الاسلام .. وثقافة المسلمين ..

### 2 ) ــ الآثار النبوية

لا يوجد قطر من اقطار الاسلام الا كنا نجد فيه قضية تشغل الاقلام والالسنة حقبة طويلة من الزمن .. وهذه القضية هي قضية الآثار الشخصية للرسول عليه السلام .. من بردة .. ونعل .. وخاتم .. وشعرات .. وما الى ذلك ..

فالمعروف ان المسلمين احبوا الرسول عليه السلام وتفانوا فى هذه المحبة واحبوا آثاره .. وتفانوا فى محبتها والمحافظة عليها طيلة قرون ..

فحينما خلع بردته الشريفة والبسها الشاعر كعب بن زهير .. ظلت هذه البردة حديث الصحابة والتابعين .. وتغالى الناس فى شرائها من ورثة كعب .. ثم كانت من نصيب معاوية بن ابي سفيان الذى بذل فى سبيل الحصول عليها اموالا طائلة .. وصارت اهم شيء يتوارثه الخلفاء الامويون .. ويتبركون به .. فاذا خرج الخليفة الى صلاة الجمعة او العيد .. جعلها فوق ظهره تعظيما وتشريفا ..

ثم انتقلت هذه البردة الى الدولة العباسية وصارت شعار الخلفاء .. يحيطونها بكل مظاهر التقديس والتكريم .. ويجعلونها فى اوعية خاصة بلغت النهاية فى الزخرفة والتزيين ..

وحرصت الدولة العثمانية ايام خلافتها على ان يمتلك الخلفاء الاتراك البردة التى كانت عند الخلفاء العباسيين .. وكان المعروف انهم حصلوا على هذه البردة .. ونقلوها الى (استانبول) وجعلوها فى صندوق من ذهب مرصع بالجواهر .. وافردوا لها حجرة خاصة كانت تسمى حجرة البردة الشريفة ..

ولم يكتف المؤرخون بالحديث عن البردة هاته.. بل انهم تحدثوا عن القضيب الذى كان الرسول عليه السلام يحمله بيده الشريفة .. وذكروا الايادي التى تداولته قبل ان يصل الى الخلافة العثمانية وكان هؤلاء الخلفاء يقولون انهم يملكونه .. ويحمله بعضهم فى يده فى بعض المواسم الدينية ..!!

وهناك الشعرات النبوية التى كانت معروفة فى بلاد الهند وتحدث المؤرخون عنها وعن الامراء الذين كانوا يملكونها ويحافظون عليها تبركا بها ويحيطونها بكل مظاهر التكريم .. وما زال ذلك معروفا فى الباكستان الى الآن ...

وهناك اشياء اخرى من الآثار النبوية الشريفة جعلت المؤلفين يهتمون بها اهتماما بالغا .. ويتتبعون اخبارها .. ومراحلها منذ قرون .. ويؤلفون فى ذلك كتبا معروفة عند الباحثين والدارسين .

وهنا فى المغرب شغلت قضية النعال النبوية الشريفة حيزا كبيرا من الكتب والاخبار .. فالمعروف تاريخيا أن هناك فى مدينة فاس دارا تسمى (اقدام النبي) عليه السلام وهذه الدار ما زالت معروفة بهذا الاسم الى الآن .. بحي مجاور لحي مصمودة ...

وكان اهل هذه الدار من الشرفاء الذين هاجروا الى المغرب من بلاد الاندلس .. منذ عصر الموحدين وكانوا يملكون نعلين اثنين من نعال رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وقد توارثوهما خلفا عن سلف منذ هاجروا من المشرق الى الاندلس .. فلما هاجروا الى المغرب صحبوا معهم هذه الذخيرة الثمينة .. فكانوا يطلعون عليها من رغب فى ذلك من الملوك والامراء والصلحاء والعلماء .. وتحدث كثير من هؤلاء عن النعلين الشريفين ومشاهدتهم .. وتبركهم بهما .

وصار الناس فى فاس وفى المغرب عموما يرسمون رسما على الورق يمثل النعلين المحفوظين فى ( دار اقدام النبي ) ويزخرفون الرسم بماء الذهب والالوان الزاهية .. ويكتبون داخل الرسم عبارات وابيات لتعظيم الرسول . والتبرك بنعليه الشريفين.

وشغلت قصة النعلين حيزا كبيرا من اهتمامات العلماء والمؤرخين .. وقد الف فى ذلك ابو العباس المقري مؤلف نفح الطيب كتابا قيما سماه : « فتح المتعال فى مدح النعال » وذكر فى هذا الكتاب اشياء طريفة وممتعة من الاخبار والاشعار المتعلقة بالنعال الشريفة .

وقد اطلعت على نسخة خطية جميلة فريدة من كتاب ( فتح المتعال ) فى مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة منذ سنتين .. ووجدت المقري قد اجاد وافاد فى هذا الكتاب .. ووفى موضوع النعلين الشريفين حقه من البحث والتنقيب والافادة ..

وهناك علماء ءاخرون زاروا الدار التى بها نعال الرسول فى فاس وتبركوا بها ونظموا قصائد بديعة فى الموضوع لا مجال لذكرها الآن .

كما ان التاريخ يحدثنا ان ظروفا مرت بالمغرب استدعت ان يطلب الناس النعال النبوية ليقدموها شفيعا لاطفاء نيران الحقد والغضب .. والاصلاح بين المتنازعين ..

وهكذا كانت ءاثار المصطفى عليه السلام محل تقدير وتعظيم يتبرك الناس بها وذلك دليل المحبة والاخلاص للنبي الكريم الذى بعثه الله رحمة للعالمين ...

## 3 ) ـ النواة الحضارية

حينما يكتب المؤلفون تاريخ الحضارة والثقافة فى الاسلام .. ينسون او يتناسون العهد النبوي .. الذي كان فى الحقيقة النواة الحضارية الاولى لكل ما جاء بعد من ازدهار ثقافي وحضاري عند المسلمين فى امتداداتهم عبر القارات الثلاث ..

ويخطيء كل الخطا من يظن ان ذلك العهد كان عهدا بدويا ساذجا .. فانه لم يكن بدويا .. ولا ساذجا برغم ان كثير من مظاهر البداوة .. والسذاجة تحيط به ..

فكتب السيرة النبوية .. وكتب الحديث الشريف .. تحدثنا عن نظام دولة اسلامية كانت لها سائر المقومات والمؤهلات والمرافق ..

فهناك جيش بقواده ، واعلامه ، ومعداته ، ومخازنه للسلاح ، والميرة ، والدواب .. وهناك شرطة بالنهار .. وعسس بالليل .. وسجن .. وعقاب .. وتعزير .. وقاض ومحتسب .. واسواق .. ومعاملات .. وعقود .. والتزامات ..

ولكل هاته الاشياء احكام ونظام .. ونوازل نزلت .. ووقائع وقعت .. سجلتها كتب السيرة.. وكتب الحديث .. اما الصناعات فى مكة والمدينة فقد كانت لهما جوانب اقتصادية وحضارية هامة ..

حيث اننا نجد القيون .. جمع قين بمعنى الحداد الذى يصنع السيوف والاسنة والادوات الحديدية .. الاخرى ...

كما نجد الصاغة .. جمع صائغ بمعنى صانع الحلي والمجوهرات الثمينة . وهناك البيطار .. والجرائحي .. والحجام .. والصيرفي .. وهناك حرف اخرى يكفي ان نشير اليها هنا مثل النساج .. والبناء .. والنجار .. وما الى ذلك .. فهذا مجتمع ليس بدويا ولا ساذجا ..

وحينما انبعثت المعرفة من حراء .. اصبحت رسالة وامانة فى عنق كل مسلم .. يؤديها بكل ما يملك من وسائل .. مادية ومعنوية .. فلهذا دب فى المجتمع الذى نشا حول الدين الجديد تيار المعرفة ينير السبيل امام السائرين .. ويرفع سجوف الانعزال امام الحائرين ..

وكانت السنوات الثلاث والعشرون التى حمل فيها الرسول عليه السلام لواء الدعوة بمنزلة الاساس المكين والنواة الحضارية الاولى لدولة المسلمين ..

## 4 ) ـ كتابان عظيمان

كتابان عظيمان شهيران الفهما المغاربة ، وطبقت شهرتهما ارجاء العالم الاسلامي منذ قرون .. والكتابان معا مؤلفان بروح التفاني فى محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وابراز شمائله الكريمة .. وصياغة ذلك فى اسلوب ادبي بديع ..

الكتاب الاول هو كتاب الشفا فى التعريف بحقوق المصطفى .. الفه القاضي ابو الفضل عياض السبتي دفين مدينة مراكش المتوفى بها سنة 544هـ.

وكان عياض اماما فى الفقه ، بارعا فى الحديث واللغة والادب والتاريخ .. شاعرا ، كاتبا ، مفكرا .. بهرته شيم الرسول واخلاقه وبلاغته واحاديثه فالف كتاب «الشفا» وجمع فيه كل شاذة وفاذة من الاخبار المتعلقة بشيمه واخلاقه .. ورتب كتابه ادق ترتيب فجاء كتابا مثاليا من النظام والترتيب ، جامعا لما تفرق فى الكتب والمجامع ..

واشتهر كتاب الشفا فى سائر بقاع الارض فكانت نسخه الخطية تعد بالآلاف وصار عمدة ومصدرا ومرجعا لكل من يحاول الكتابة او التاليف فى سيرة المصطفى عليه السلام .

واعتنى العلماء به فدرسوه وشرحوه ونوهوا به وبمؤلفه القاضي عياض السبتي .. واعتبروا كتاب الشفا مفخرة من مفاخر المغرب .. ودليلا قاطعا على نبوغ المغاربة فى التاليف والتصنيف .

واهتم اهل المغرب والاندلس بنسخ كتاب الشفا والتبرك به .. فكانوا اذا سكنوا دارا قدموا

بين ايديهم كتاب الشفا وجعلوه مع المصحف الشريف فى احسن مكان بها .

والكتاب الثاني هو كتاب ( دلائل الخيرات ) الذى الفه محمد بن سليمان الجزولي المتوفى سنة 870 هـ ..

وقد كان الجزولي عالما ناسكا متصوفا سائحا قام بعدة رحلات داخل المغرب وخارجه .. وعاش فى عصر توالت فيه النكبات والمصائب على المسلمين وعم الجهل وانتشرت الضلالة والامية .. فارتأى الجزولي أن يجمع العوام على الاستغفار والصلاة على النبي .. فالف كتاب دلائل الخيرات ..

وقد نال الجزولي بسبب كتابه هذا مكانة مرموقة فى حياته وبعد مماته .. وله ضريح شهير بمراكش ...

## 5 ) ــ رجــال رجراجــة

هناك فى تاريخ المغرب قصة يتداولها المؤرخون بعدة اساليب وصيغ .. وهي قصة رجال سبعة قيل انهم خرجوا من قبيلة رجراجة الشهيرة المجاورة لمدينة اسفي ووفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل عليهم وكلمهم بلسانهم .. فأسلموا وحجوا ثم رجعوا الى بلادهم لينشروا الاسلام بها .. وقد عرف هؤلاء الرجال بسبعة رجال .. ولهم اضرحة شهيرة هناك ..

وهذه القصة التي يثبتها بعض الرواة وينفيها البعض .. احتلت جزءا من الكتب والاقلام عند المغاربة .. وهي وان لم تكن مستحيلة من الناحية العقلية .. فاننا لا نجد لها سندا فى المصادر القديمة التى وصلتنا ...

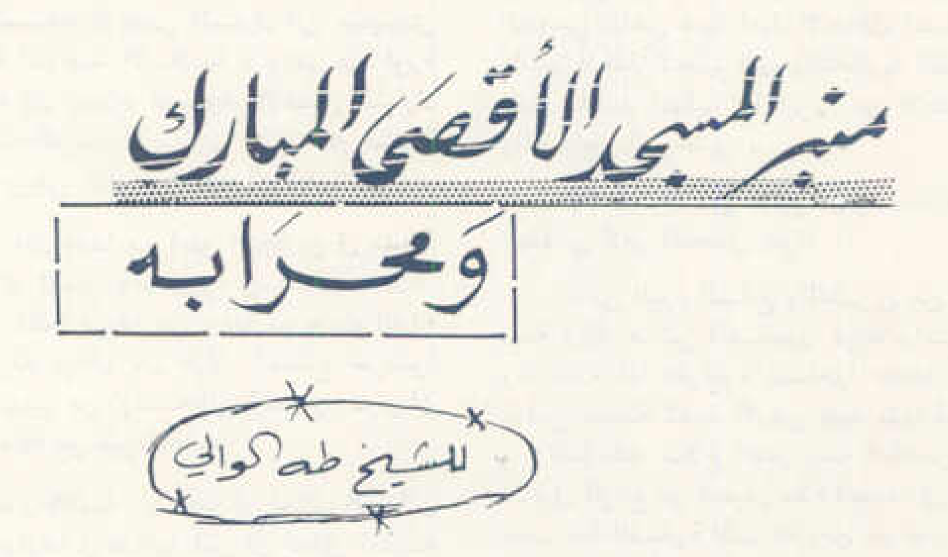
ورغم ذلك فان الشائع الذائع ان رجال رجراجة هاجروا فعلا الى المشرق واسلموا ثم رجعوا الى وطنهم .. وكانوا حملة لواء الاسلام به ..

ولهؤلاء الرجال السبعة اضرحة معروفة الى الآن .. على الضفة الجنوبية لنهر تانسيفت .. ولكل واحد منهم اسم خاص به وذرية معروفة بانتسابها اليه ..

وقبيلة رجراجة كانت معروفة بأسبقيتها الى الاسلام ومتانة دين رجالها .. وقد تزعموا محاربة البرغواطيين اتباع صالح البرغواطي الذى زعم انه موحى اليه .. فافسد على الناس دينهم وعقيدتهم .. باكاذيب واضاليل معروفة ...

وهناك فى قبيلة رجراجة تأسست عدة رباطات للدفاع عن حوزة الاسلام .. ونشر العلم والدين . وقد حفظ لنا التاريخ صفحات ذهبية لعدة مآثر قام بها المسلمون الاولون فى المغرب منذ ايام الفتح الاسلامي .. على يد قبيلة رجراجة .. وقبائل اخرى حملوا لواء الدعوة التى اشرق نورها الوهاج من غار حراء .. فعم المشرق والمغرب .. برسالة محمد عليه الصلاة والسلام .

**فاس ــ عبد القادر زمامة**




ان الحريق الذي افتعله اليهود في المسجد الاقصى المبارك يوم الخميس الواقع في 8 جمادى الاخيرة سنة 1389 هـ الموافق في 21 آب سنة 1969م التهم المنبر الذي اعده السلطان الملك نور الدين محمود بن زنكي سنة 560 هـ ( 1164 م ) واتمه ابنه الملك الصالح السلطان اسماعيل سنة 570 هـ ( 1174 م ) ووضعه في مكانه الحالي في المسجد الملك الناصر السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب سنة 583 هـ ( 1187 م ) .

وقد رأينا ، في هذه المناسبة ان نذكر نبذة عن تاريخ هذا المنبر الاثري الرائع والمراحل التي مرت عليه مع الكتابات التي رقمت فيه ، لعل اهل الضمائر الحية من المسلمين وغيرهم يدركون بشاعة الجريمة النكراء التي ارتكبها اليهود بحق هذه التحفة المقدسة والاثر الفني الجميل ويعملون ، قبل فوات الاوان ، على تدارك بقية المقدسات الدينية في بيت المقدس قبل ان تصل اليها يد اليهود ، اعداء الحضارة والانسانية ، بالتدمير والخراب .

## لماذا وكيف صنع نور الدين هذا المنبر

ان وراء حرص السلطان الملك نور الدين الشهيد المعروف بلقب « ذو اليد » على صنع هذا المنبر قصة رائعة من قصص الايمان الراسخ والاخلاص العميق ، لا باس من عرضها على ابناء جيلنا لما فيها من عظة بالغة وعبرة مفيدة لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ...

فقد ذكر صاحب كتاب الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية المعروف باسم ابي شامة؛ انه جاء الى السلطان نور الدين ذات يوم جماعة من العلماء ، فلما انتهوا اليه وجلسوا بين يديه قال قائلهم:

« ايها السلطان نطلب اليك ان تبتسم » .

فسألهم السلطان وعلام الابتسام ؟ فقال الرجل : جئنا اليك ايها السلطان نروي عليك بسندنا المتصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا مسلسلا قاله الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يبتسم ، ومن شروط الحديث المسلسل ان يفعل راويه مثلما كان يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يحدث به .

فالتفت اليهم السلطان نور الدين والاسى يكاد يفطر فؤاده وقال :

« ... كيف ابتسم ايها القوم ، والمسجد الاقصى المبارك في بيت المقدس راسف في قيود الذل والهوان تحت سنابك خيل الاعداء من الكفار ... »

وكان الصليبيون ، يومئذ ، يحتلون المدينة المقدسة ويتخذون من المسجد الاقصى المبارك معبدا دينيا لهم .

ومن ذلك اليوم ، صمم هذا السلطان المجاهد ، ان يصرف كل همه في اعداد العدة العسكرية لمناجزة

الصليبيين القتال وانقاذ المقدسات الاسلامية من تحت وطأتهم ليعود المسجد الاقصى المبارك الى سابق عهده تحت راية التوحيد الاسلامية ، وبادر من فوره الى اصدار امره بان يصنع للمسجد الاقصى المبارك منبر يليق بمكانته الدينية لكي يكون هدية منه خالصة لوجه الله تعالى ويبقى خالدا في مكانه الى ابد الابدين .

وبالفعل ، فان عددا من امهر النجارين في مدينة حلب بداوا باعداد المنبر واستمروا في صنعه عدة سنين حتى جاء قطعة فريدة من نوعها من حيث الدقة والجمال والزخرفة ويقال بان هؤلاء الصناع حرصوا على اتمام هذا المنبر من اوله الى آخره دون ان يدخلوا فيه اي مادة من غير الخشب .

الا ان الاقدار الالهية ، شاءت ان تختار السلطان نور الدين الى جوارها في عليائها قبل ان يحقق امله المنشود فمات رحمه الله والمنبر ما يزال في طور الاعداد . فلما تولى ابنه السلطان الملك الصالح اسماعيل تابع ما كان ابوه قد بدا به حتى اتمه نهائيا في ايامه اي حوالي سنة 570 هـ ( 1174 م ) .

ولم يتمكن المسلمون من تحقيق رغبة ملكهم في وضع المنبر حيث اريد له ان يكون من المسجد الاقصى المبارك ، لان بيت المقدس كانت حتى ذلك الحين ما تزال في ايدي الغاصبين من الصليبيين .

## صلاح الدين يحقق امنية نور الدين

مات الملك الصالح اسماعيل ابن نور الدين وهو ما يزال بعد غلاما لم يبلغ الحلم ، فالتف المسلمون تحت راية صلاح الدين ابن اخت السلطان نور الدين ونادوا به قائدا وزعيما ، فنهض صلاح الدين بالامر كاحسن ما ينهض البطل اذا دوت بمسمعيه نداءات البطولة والفداء واصغى الى قول الشاعر الذي خاطب خاله نور الدين في قصيدة جاء فيها :

فانهض الى المسجد الاقصى بذي لجب
يوليك اقصى المنى فالقدس مرتقب

واذن لموجك في تطهير ساحله
فانما انت بحر لجه لجب

فراى ان هذا الشاعر حينما خاطب خاله نور الدين انما كان يعنيه هو كذلك بهذا الخطاب . فتجهز لاتمام رسالة سلفه وتحقيق ما حالت المنية بين نور الدين وبين هدفه ، ولما ان كان اليوم السابع والعشرين من رجب الفرد سنة 583 ، اذا ببيت المقدس تنفض عنها اعباء الاحتلال الصليبي وترفع راسها للمنقذ العظيم لكي يكللهابالوية الظفر المؤزر على انغام اناشيد المهللين والمكبرين من الابطال المسلمين والجحاجح الموحدين .

وهنا نترك لابن الاثير ان يحدثنا عن يوم بيت المقدس الاغر المحجل بقوله :

« في اليوم السابع والعشرين من شهر رجب سنة 583 هـ كبر المسلمون فرحا واعتزازا بنصر الله وتأييده ، اما الفرنج ، فصاحوا تفجعا وتوجعا فسمع الناس صيحة كادت الارض تميد منها لعظمها وشدتها .. فلما ملك صلاح الدين بيت المقدس واستقر بها ، اقام في الرابع من شعبان صلاة الجمعة في المسجد الاقصى تحت قبة الصخرة المشرفة ومن حولها ، وكان الخطيب والامام محي الدين ابن الزكي قاضي دمشق ..

ثم تابع ابن الاثير قوله « ثم رتب فيه ( اي في المسجد الاقصى المبارك ) خطيبا واماما برسم الصلوات الخمس ، وامر بان يعمل له منبر ، فقيل له ان نور الدين محمودا ، كان قد عمل بحلب منبرا ، امر الصناع بالمبالغة في تحسينه واتقانه وقال : « هذا قد عملناه لينصب بالبيت المقدس » .. فامر صلاح الدين باحضاره ، فحمل من حلب ونصب بالقدس ، وكان بين عمل المنبر وحمله ما يزيد على عشرين سنة ... وكان هذا من كرامات نور الدين وحسن مقاصده رحمه الله ... »

وهكذا ، اخذ المنبر الشريف مكانه الذي اراده له نور الدين ولكن على يد ابن اخته وخليفته في زعامة العالم الاسلامي الملك الناصر ، ناصر الدنيا والدين،بطل ملوك الاسلام والمسلمين السلطان العظيم صلاح الدين.

وان جميع الذين تعاقبوا على حكم بيت المقدس من ملوك المسلمين وامرائهم ، من ايام الايوبيين حتى آخر عهد العثمانيين حافظوا على هذا الاثر الرائع والتحفة النادرة الفريدة والمقدسة ، حافظوا عليها بالمهج والدماء وارخصوا في سبيل كرامتها النفس والنفيس وبذلوا في جوارها اغلى الوان الفداء ... حتى كانت ارادة الله فوقعت الطامة الكبرى وسقطت بيت المقدس يوم 5 حزيران سنة 1967 ميلادية صريعة الذل والهوان بيد القوات اليهودية اهل البغي والعدوان .. وما لبثت هذه القوات ان دست في المسجد الاقصى الذي بارك الله حوله ، علجا اجنبيا في اليوم الثامن من شهر جمادي الاخرة سنة 1389 هـ

( 21 آب سنة 1969 م ) فرماه هذا العلج بشواظ من لهب النفط احرق منه المنبر الذي تركه السلف امانة غالية بيد الخلف فاصبح التراث الذي وقفه نور الدين ومن بعده صلاح الدين رمادا تذروه ريح الاحتلال اليهودي في مطاوي النسيان .. فوا أسفاه على مقدسات الاسلام والمسلمين وهي تتهاوى انقاضا تحت نيران اليهود الغاصبين فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، وانا لله وانا اليه راجعون .

والفاجعة بالمنبر الشريف لم تنته بها المأساة ، ذلك ان الحريق المشؤوم تطاول بألسنته الملتهبة الى المحراب الذي طهره صلاح الدين من رجس الصليبيين وجدد بناءه بما يتفق وروعة المنبر الذي في جواره .. فما كان حظ المحراب من النار المحرقة خيرا من حظ جاره اذ تهاوت منه الحجارة التي حملتها كواهل المجاهدين وعطرتها انفاس المصلين من الابطال المرابطين واصبح ما فوقها من نقوش الآيات الكريمة كالح الوجه حطيم الكتابة تحيط به اقسى انواع الكآبة ..

بذلك خسر المسلمون منبر نور الدين ومحراب صلاح الدين في ساعات معدودة في يوم بكت من شؤمه ملائكة السماء حزنا على محارم الله لدى اهل الارض . فهل ينتفض في المسلمين ميراثهم من عزائم اسلافهم الاولين فيثاروا لكرامة امتهم وعزة دينهم ويعيدوا الى رحاب الاقصى المبارك البهجة التي غابت عنه يوم اناخ عليه الاحتلال اليهودي بكلكله البغيض ؟ ...

ان ارواح الشهداء التي بذلها اهل الفداء من اجل الاقصى المبارك في مختلف عهود التاريخ الاسلامي تضج اليوم بنداء الثار فلعل المسلمين اليوم يصيخون لهذا النداء ويقيلون حرمات الله في بيت المقدس مما اصابها بالاحتلال اليهودي وينقذونها قبل ان تتطاول اليها ايدي الاعداء بالتدمير والتخريب فحينئذ لات ساعة مندم اذ لا ينفع يومئذ اي ندم .

فالبدار ايها المسلمون البدار ، واني لاكاد اسمع ابا المظفر الابيوردي وهو يرفع عقيرته من وراء الحجب والسنين بقصيدته التي قالها بين يدي ملك دمشق حينما تم للفرنج اخذ بيت المقدس .. اجل اني لاكاد اسمعه يقول وكأنه يعنينا اليوم :

مزجنا دماء بالدموع السواجم
ولم يبق منا عرضة للمراحم

وشر سلاح المرء دمع يفيضه
اذا الحرب شبت نارها بالصوارم

فايها بني الاسلام ان وراءكم
وقائع يلحقن الذرا بالمناسم

اتهويمة في ظل امن وغبطة
وعيش كنوار الخميلة ناعم

وكيف تنام العين ملء جفونها
على هفوات ايقظت كل نائم

واخوانكم ( بالقدس ) يضحى مقيلهم
ظهور المذاكي او بطون القشاعم

تسومهم ( الهود ) الهوان وانتم
تجرون ذيل الخفض فعل المسالم

وكم من دماء قد ابيحت ومن دمى
تواري حياء حسنها بالمعاصم

وبين اختلاس الطعن والضرب وقفة
تظل لها الولدان شيب القوادم

وتلك حروب من يغب عن غمارها
ليسلم يقرع بعدها سن نادم

يكاد لها المستجن بطيبة
ينادي بأعلى صوته يا لهاشم

ارى امتي لا يشرعون الى العدا
رماحهم والدين واهي الدعائم

ويجتنبون النار خوفا من الردى
ولا يحسبون العار ضربة لازم

اترضى صناديد الاعارب بالاذى
ويغضي على ذل كماة الاعاجم

فليتهم اذ لم يذودوا حمية
عن الدين ، ضنوا غيرة بالمحارم

وان زهدوا في الاجر اذ حمي الوغى
فهلا اتوه رغبة في المغانم

لئن اذعنت تلك الخياشيم للبرى
فلا عطسوا الا باجدع راغم

دعوناكم والحرب ترنو ملحة
الينا بالحاظ النسور القشاعم

تراقب فينا غارة عربية
تطيل عليها ( الهود ) عض الاباهم

فان انتم لم تغضبوا بعد هــذه
رمينا الى اعدائنا بالجرائم ...

او اكاد اسمع قول الاخر وهو ينادي بأعلى صوته:

احل الكفر بالاســلام ضيمـا
يطول عليـه للديـن النحيـب

فحق ضائـع وحمـى مبـاح
وسيـف قاطـع ودم حبيـب

وكم من مسلم امسـى سليبـا
ومسلمة لهـا حـرم سليـب

امـور لو تاملهـن طفـل
لطفل فى عوارضـه المشيـب

اتسبى المسلمات بكـل ثغـر
وعيش المسلمين اذن يطيـب

امـا للـه والاسـلام حـق
يدافع عنـه شبـان وشيـب

فقل لذوي البصائر حيث كانـوا
اجيبوا الله ، ويحكم ، اجيبوا ..

فهل من سامع او مجيب ؟ ...

يمتشق الحسام انقاذا للاقصى المبارك بدلا من استدرار الدموع واطالة البكاء والنحيب ! ..

### الكتابات الاثرية فى المنبر

حفرت على جوانب المنبر الكتابات الآتية ، وهي مما امر بكتابته نور الدين محمود بن زنكي :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، امر بعمله العبـد الفقير الى رحمته الذاكر لنعمته المجاهد فى سبيلـه المرابط لاعداء دينه الملك العادل نور الدين ، ذكـر الاسلام والمسلمين ، منصف المظلومين من الظالمين ابو القاسم محمود بن زنكي ابو سيف ، ناصر اميـر المؤمنين اعزه الله انصاره وادام اقتداره واعلى مناره ونشر فى الخافقين الويته واعلامه واعز اولياء دولتـه واذل كفار نعمته وفتح له وعلى يديه واقره بالنصر ، وارحمنا برحمتك يا رب العالمين ، سنة اربع وستين وخمسمائـة » .

وكتب على يمين الخطيب من ناحية المحراب :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، فى بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه ، يسبح له فيها بالغـدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكـر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة » .

وكتب على يسار الخطيب من الجهة الغربيـة للمنبـر :

بسم الله الرحمن الرحيم ، انما يعمر مساجـد الله من آمن بالله واليوم الاخر واقام الصلاة واتـى الزكاة ولم يخشى الا الله . فعسى اولئك ان يكونوا من المهتديـن » .

وكتب على رقبة المنبر : وهو من كتابة اسماعيل ابن نور الدين :

بسم الله الرحمن الرحيم ، عمل فى ايام مولانـا الملك العالم العادل الصالح اسماعيل بن محمود زنكي»

وكتب على الدفة اليمنى من المنبر :

«بسم الله الرحمن الرحيم ، ان الله يامر بالعـدل والاحسان وايتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون . واوفوا بعهـد الله اذا عاهدتم ، ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون ، ولا تكونـوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا ، تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ، ان تكون امة هي اربى من امة، انما يبلوكم الله به ، وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون. ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة » .

### الصناع الذين عملوا المنبر وكتابتهم عليه :

ان الذين قاموا بصنع هذا المنبر الاثري كانـوا من اهل حلب وقد تركوا فيه اسماءهم فى الكتابة التالية وذلك فى ستة سطور بعضها فوق بعض :

1 ـ صنعه سلمان بن معالي رحمه الله .
2 ـ عمل حميد بن ظافر رحمه الله .
3 ـ عمل ابي الحسن بن يحى رحمه الله .
4 ـ صنعه حميد بن ظافر رحمه الله .
5 ـ صنعه حميد بن ظافر الحلبي رحمه الله .
6 ـ صنعه فضائل وابو الحسن ولدي يحيى الحلبـي رحمه الله .

### سنـة تمـام المنبـر

توفي السلطان الملك نور الدين قبل ان يتم صنع المنبر فتولى السلطان الملك الصالح اسماعيـل بن

محمود اتمام عمل ابيه وكتب على « زنار » المنبــــر الكلمات التالية :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، تمامه في ايام ولده الملك العالم العادل الصالح اسماعيل بن محمـــود بن زنكي بن آق سنقر » وكان ذلك في سنة 570 هجرية .

### الكتابة على محراب صلاح الدين

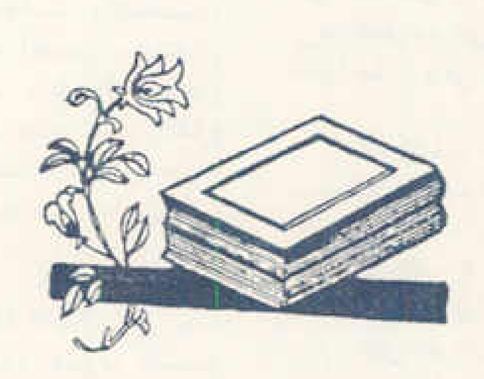
ذكر المؤرخون ان الملك الناصر ، بطل الاسلام والمسلمين ، السلطان صلاح الدين الايوبي ، بعد ان ازال معالم الكفر عن المسجد الاقصى المبارك ، امـر رحمه الله ان يجدد فيه محرابه الذي غيره الفرنـــج وطمسوا هيئته الاسلامية .

فقام امهر البنائين بتجديد هذا المحراب وترميمه وكتبوا عليه الكلمات التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم ، امر بتجديد هـــذا المحراب المقدس وعمارة المسجد الاقصى الذي هو على التقوى مؤسس . عبد الله ووليه يوسف بن ايوب ابو المظفر الملك الناصر صلاح الدنيا والدين . عندما فتحه الله على يديه في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة. وهو يسأل الله ادامة شكر هذه النعمة واجزل حظه من المغفرة والرحمة » .

اما بعد ، فاننا نسأل الله عز وجـــل ان يديـــل للاسلام والمسلمين من اعدائهم اليهود واحلافهم من المستعمرين اهل البغي والظلم ، وان يمد عباده من اوليائه المؤمنين برجال بررة مخلصيـــــن ، يعـــودون بالمسجد الاقصى المبارك الى سيرته الاولى كما كان على عهد صلاح الدين من البهجة والرفعة والخلـــود والمنعة .. وما ذلك على الله بعزيز ..

**بيروت: طـــه الولـــي**



# مع التشريع الاسلامى

## فى امتداداته وفى مصادره الخالدة

للأستاذ محمد العيسوى عنبرى

تغير وجه الحياة وتبدلت اوضاعها منذ اللحظة الاولى من ميلاد الرسالة الاسلامية . واصبحت ءامال الانسانية معقودة عليها فى الكشف عما تعانيه من شقاء وحرمان ، لتعيد اليها حياتها الرخية التى تنشدها فى كل مكان .

ولسنا بحاجة الى ابراز مواطن الزحف الاسلامي ومدى تعبئاته القوية لانقاذ الانسانية مما اصابها والحيلولة بينها وبين مراتع الخطايا والتحلل والسخافة والانحراف ــ بعدما ساد الصمت . وتنفس صبح الاسلام . وتبددت المخاوف وحل الامل محل اليأس . واليقين محل الشك . ــ تحت تأثير الابداع الاسلامي فى تغطيته للحاجات الانسانية . وفى قدرته عن التعبير عن ءامالها ، والاستجابة لمطالبها ، واضطلاعه للتوفيق بينها .

كل ذلك يشهد على ان طريقة الاسلام فى بعث الانطلاق الانساني ــ طريقة فريدة تفوق جميع الرسالات الالهية الاخرى عندما تقارنها بها ــ عند خطواتها الاولى .

لقد كان هذا امرا معروفا من امتداد التشريع الاسلامي وشموله ، ومن سيطرة مفاهيمه لكل ما له علاقة بسيرة الحياة ، وبسريرة البشر وطبيعته وحال المجتمعات . ومعروفا ايضا فى نصوصه الخالدة التى تسع مفاهيمها لما لم تتسع له جميع الدعوات ، وجميع المذاهب ، وجميع التصنيفات الحضارية .

على هذا الوضع استقرت شريعة الله ، وعلى هذا الاساس قام امر الله ، وعلى هذا النهج استقام المسلمون الاولون الذين كانوا من خير الادلة عليها ، ومن خير الدعاة لها ، ومن خير المدافعين عنها والمتفقهين فيها .

فهم فى الحقيقة كانوا احداثا اسلامية تجمعت فى اشخاص ، ونماذج صادقة فيها خير دلالة لمن يريد التعرف على حقيقة دين الاسلام فى قوة اشراقها ، وفى وضوح محجتها .

قد تكيفت هذه الجماعة المومنة من الرعيل الاول ــ بذلك الميراث الضخم الذى اوحى اليها بكثير من الاستعدادات ، وبكثير من التصورات والاشواق والمشاعر التى لا تتعدى كلمة واحدة : وهي انهم عاشوا على هدى القرءان ، ومحكومين بحكم القرءان ، وعلى خلق القرءان الذى كان خلق رسول الله ــ ص ــ فلم تمسهم السيادة عفو الخاطر ، ولا رافقتهم بمحض الصدفة وانما هي سيادة اكتسبوها بجهود ايمانهم العميق، الذى تجردوا به لله تعالى عن حظوظ انفسهم، وعن كل متاع يستبد بهم دون رضاه .

ومكان المسلم من دينه ــ فى كل زمن ــ يدعوه الى معرفة هذه الحقيقة ، والايمان بها ، ليمزجه بالعمل من اجلها ، والجهاد فيها ، ولتعود اليه سيرته الاولى التى اختفت وراء عوامل شتى .

واذا ما استهدف ذلك ، فلابد له من تحري الاحداث ، وتقصي الآثار ، والايحاءات النفسية والاجتماعية التي كانت تطبع المسلمين زمن نزول القرءان على رسول الله ( ص )

والذين يشهدون في نفوسهم هذه الملابسات ، ويشهدون هذه التصورات على حقيقتها ويشهدون معها وجه الحاجة الى الاستمتاع بهذه الثمرات الطبيعية ، والى دعمها والموت دونها — هم الذين يمكن أن تتكون في نفوسهم ءاثار مشابهة ، من نوع الآثار السابقة البالغة مداها في اعماق الماضي الازلي الخالد ، لانه كما يقال : « الافكار المتشابهة ، تخلق الاوضاع المتشابهة » وهي قضية مسلم بها ، كم لنا عليها من مثل، ذلك لان الذين‌ينسون الماضي لايستفيدون تمام الاستفادة من الحاضر . ولعل الخليفة عمر بن الخطاب قد عبر عن ذلك اصدق تعبير ، قبل ان تحتك التطورات الاجتماعية ، وتتخذ لها المقاييس ، فقال : « ان مما ينقض الاسلام عروة عروة ، ان تجهل او تنسى ما كنا عليه في الجاهلية » .

ومن هذه الملابسات وجدت العقيدة الاسلامية طريقها الى قلوب المومنين ، لا في صورة نظرية غير ذات شعور ، ولا في صورة لاهوت ، ولا في صورة جدل كلامي فارغ كما القناه ، ولكن في صورة امة في افراد ، وافراد في امة ، اشتبكت مصالحها واتحدت اتجاهاتها ، وعاشت كما اراد لها الله ، لتبقى نقية العقيدة ، نقية الضمير ، نقية الاحساس ، نقية الهدف . وبصورة عامة ، لتبقى نقية التصورات الاسلامية الحقيقية التي هي مادة التجمع الاسلامي .

ومن الخير لنا ان نعلم انه لا غنى عن القول بان التشريع الاسلامي لا يوجد فيه مكان للتخلي او الفراغ ، او لمحاولة تجميد هذا التشريع ، وحصره في منطقة معينة ، او تعقيم فكرته ، بوقوفها عند حد المعرفة النظرية ، والمران الذهني ، او سلوك طريق التبعية ، والتسليم بالسيادة المؤدية الى شل نشاط الحياة البشرية ، ووقف سيرها ، والتي هي دائما في تغير مستمر، وحركة زاحفة .

وقد ينشأ عن هذا لا محالة صيحات الم، وخلق مفاهيم معاكسة لمفاهيم الاسلام ، نصبح معها مدعوين للقضاء عليها ، ولمحو اضافاتها السيئة التي الصقت بها ، ولمحو كل فكرة ايضا غير متناسقة مع الفكرة الاسلامية العامة .

ومن اجل ذلك ، لم يقم الرسول بدعوته — وهذه حقيقة يجب ان تكون ملء قلوب المومنين ، وفي منتهى تصورهم الصادق لدعوته ولشريعته — اقول : لم يقم بدعوته تحت اي شعار من الشعارات، ولا لعامل من العوامل الارضية ، او تحت راية قومية او تحت ظلال بيئة خاصة بفترة معينة ، بل كان هدفها الوحيد ان تخلص قلوب العباد كلهم لله الواحد تحت شعور وجداني مشترك ، وعلى مستوى تجمع متماسك . وهذا ما اعطى للشريعة الاسلامية قيمتها الكبرى في انتظام الوجود الانساني انتظاما بديعا غير خاضع لمجرد الحس ولا للتجربة ، ولا للاوضاع المادية البحتة ، ولا للمقررات العقلية المجردة ، ولا للانطباعات الحضارية الخاضعة «للتطور العام» ، الذي يعني التحلل من القيم والمقومات جملة وتفصيلا. وان كان الاسلام لا ينفيها نفيا باتا من المجال الانساني ، لان الالتزام بشريعة الله ، والقيام بامر الله ، ليس فيه ما يقطع الصلة بين هذه الاشياء وبين مفهوم الالتزام . على ان الاسلام اوسع افقا وارحب صدرا فوق ما يتصوره الادعياء واللصقاء فهو يعتمد على العقل حيث ائتمنه على انفس شيء ، وهو تحقيق العقيدة، ولا يفرق بين عبادة ومعاملة وسائر التصرفات الدنيوية ، لانه كما يقول « سيد قطب » ، قدس الله روحه في الجنة ، في كتاب الخصائص : « ان تقسيم النشاط الانساني الى عبادات ومعاملات مسالة جاءت متاخرة عند التاليف ، في مادة الفقه ، ومع انه كان المقصود به — في اول الامر — مجرد التقسيم الفني الذي هو طابع التاليف العلمي . الا انه — مع الاسف — انشا فيما بعد ءاثارا سيئة في الحياة الاسلامية كلها ، ليس في التصور الاسلامي نشاط انساني لا ينطبق عليه معنى العبادة ، او لا يطلب فيه تحقيق هذا الوصف ، والمنهج الاسلامي كله غايته تحقيق معنى العبادة اولا واخيرا » . واذا كان الامر كذلك ، فان جميع البواعث كيفما كانت ءاثارها ، لابد ان ترد الى البواعث الدينية التي تصدر عن مقتضى العقيدة وعن مقتضى التلقي ومقتضى الملابسات التي نرى لزاما حتمية مشاهدتها واستحضارها ، لتعين على قوة الدفع في استكمال التعبئات لمواجهة الاحداث ، ولتتفتح كل الاعمال وكل الحركات عن خير ما يراد لها ، وعن حسن ما يطلب منها ، وما دام الناس يواجهون حياتهم الدينية على هذا النحو من الاستيعاب والشمول وعدم التجزئة ، فانهم ينطلقون — وهم راضون عن انفسهم متمتعين بسكينة الله التي ينزلها عليهم في كل

مجال ـ ليسهموا بنصيبهم في توفير العصمة لهذا الدين من كل تزييف وتزوير ـ من الافكار المتلصصة، او الافهام الغير المتمرسة .

على ان الله سبحانه هيا لهذه الشريعة اسباب العصمة ، واعد لها صنوف الضمانات ، وخولها حق الكفالة العامة . ومن اجل ذلك ظل التشريع الاسلامي محفوظا لم يشهد تلك التاثرات بالعوامل المذهبية والخلافات القومية ، والتعرض للجدل الديني والفكري ، مثل ما شاهدناه في ديانات اخرى ، وما حدث من ذلك بين صفوف المسلمين ، لم يكن فيه ما يحمل الطابع الاسلامي، وانما هو نتيجة الانحرافات عن وضع الدين ، ونتيجة الفجوات العميقة التي يجب الاعتبار بها والوقوف عندها . فهل شاع اي سؤال في رحاب الاسلام عن قيمة العقل او الحس او الواقع، وهل تردد على الشفاه في حرم الاسلام ـ ما تردد على شفاه الآخرين . الحقيقة، انه لم يقع بينه وبين العقل البشري ، ولا بين العلم البشري ذلك الصدام الذي لم تتمد فيه السيوف في اوربا قرارا من التبعية الدينية التي فرضتها عليها الاحتكارات الكاثوليكية (1) فقد سجل النظام الكنسي : ان تفسير المسيحية حق من حقوق البابا واعضاء مجلسه ، على وجه من التسوية بين نص الكتاب المقدس وبين ءارائهم ، فكان ذلك اساسا لعقيدة التثليث وسر الاعتراف وصكوك الغفران .

هذه هي رسوم العبادة في المسيحية ، التي كان يسميها «لوثر» سنة 1653 ـ 1546 م. : تعاليم الشيطان . فلذلك هاجم الكنيسة الكاثوليكية في صكوك غفرانها ، وفي وسائل عبوديتها ، واسترقاقها للمجتمع الاوربي حتى نجحت دعوته ، فكان له راي اصلاحي ، ومذهبه المعروف . وقد حمل رسالته من بعده «كلفن» 1509 ـ 1964 م . حيث قام هو ايضا بدوره في اصلاح التعاليم المسيحية ، وتطهير الفكر الاوربي .

وانا لا نملك هنا الا ان نعلن ـ بكامل الاعجاب ـ ونشير لشهادة الفيلسوف الفرنسي « فولتير » 1694 ـ 1778 ، بعد ما درس دعوة الرسول محمد ـ ص ـ ودرس الحركة الاصلاحية التي قام بها « لوثر » واتباعه ، سجل شهادته هذه التي حفظها له التاريخ : « ان «لوثر» ، و«كلفن» ، كلاهما لا يصلح ان يكون حذاء لمحمد ص » (2) .

ولنرجع الى اصول الاسلام لنقف على مصادرها الخالدة ، لنستلهم منها طريق الخلاص ، وسعة الامن في رحاب الله وطريق افتكاك البشر من يد القوى المجهولة المختفية وراء تزييفات حقائقها وتزويرات مفاهيمها .

فاول هذه المصادر كتاب الله « الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » ، والذي هو الخلاصة الكاملة للرسالات الالهية كلها ، والتسجيل الاخير الذي يرافق الانسانية في جميع مراحلها . ذلك الكتاب الذي تمت كلماته واحكمت ءاياته ، ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، وقد اعتنى المسلمون بحفظه وجمعه ودراسته وضبط كلماته ، اعتناء وافيا لم يتم لغيره من الكتب المنزلة ، صاحبته العناية الالهية وامتدت معه ، حتى اكمل الله هذا الدين ، ولن تزول عنه عنايته ما دام كونا ناطقا يعبر عن الاجيال وعن الوجود الانساني ، وعن هذا الكون الصامت ، وعن ءايات الله في الانفس والآفاق ، حتى يتبين للناس انه الكتاب الذي ينطق عليهم بالحق ، وانه ـ وحده ـ هو الحق .

ومن مقتضيات هذه العناية ان يبقى هذا الكتاب مقروءا ومكتوبا على الدوام ، رطبا على الالسنة، محفوظا في الصدور ، يتلى بين ظهراني العدو والصديق ، تلاوة لها سابقة الفضل والاستماع والانتفاع ، من غير ان تلاحقه ملاحقات او ضياع . فكل حركة من الحركات ، وكل عمل من الاعمال ، في سبيل القرءان ، ينال صاحبها منها رضى عند الله وقربا منه ، وانسابه . ولم تضن عنا احاديث الرسول ـ ص ـ ووصاياه ، بالحض على تعهده وترديده واحيائه والمهارة فيه ، فساسوق لك نبذة صالحة منها . روى البخاري أن رسول الله ـ ص ـ قال : « خيركم من تعلم القرءان وعلمه » . وروى البخاري ومسلم : « الذي يقرا القرءان وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة . والذي يقرا القرءان ويتعتع فيه وهو عليه شاق له اجران » . وروى مسلم : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب

(1) يراجع هذا الموضوع بتوسع ، في كتاب « الفكر الاسلامي وصلته بالاستعمار الغربي » للدكتور محمد البهي ، وفي «كتاب الدعوة الى الاسلام» تاليف «ارنولد» ، الترجمة العربية .

(2) يراجع هذا الموضوع في كتاب «الخصائص» «لسيد قطب» نقلا عن الدكتور «الكسيس كاريل» . و«محاضرات النصرانية» «محمد ابو زهرة» ، باستثناء شهادة «فولتير» .

الله ويتدارسونه بينهم ، الا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » . وروى ابن حبان عن ابي ذر الغفاري، قلت يا رسول الله اوصني . قال : « عليك بتلاوة القرءان ، فانه نور لك فى الارض وذخر لك فى السماء » . الى غير ذلك من الاحاديث فى هذا الموضوع .

لذلك كان اولى المومنين بالله حملة كتابه ووعاته والقائمون عليه ، فاليهم يتوجه الخطاب النبوي ، لانهم هم الذين يستحضرون وصيته فى قوله : ــ فيما رواه البخاري عن حذيفة بن اليمان ــ . « يا معشر القراء استقيموا فلقد سبقتم سبقا بعيدا . وان اخذتم يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا ».

احتل القرءان مكانته الاصيلة فى التجمع الانساني . فكان اماما للناس وهدى الى يوم القيامة، ومفخرة عظيمة تمتنع على التحديات وعلى الصياغات. نزل منجما ــ فى تشريعه وفى تنزيله ــ حسب الحوادث، لنفهم منه حقيقة القضايا المعروضة، وحقيقة دور الرسول الكريم من تلقي الوحي من عند ربه ، فى ان طابع المهل وطابع التريث ، وقراءته على الناس على مكث، ليس مما يخدم بشرية القرءان والوحي النفسي، كما يروجه المغرضون بخصومة القرءان. ومن هنا يمكن ان نفهم ايضا حقيقة الاتجاه المعين ، والتكييف المعين لحكم النازلة المعينة المحكومة بحكم تحقيق المصلحة ودفع المفسدة بالنسبة للفرد والجماعة ، فى اطاره التنجيمي . استغرق نزول القرءان 22 سنة واثنين وعشرين يوما على ارجح الاقوال . وكان نزوله على هذا النحو مثار اعتراض من المشركين ، ومثار احتكاك ببيانه المعجز الذى اخذهم فى تقليهم . فدعوا الى اللغو فيه ، وعدم السماع له فضلا عن الاستماع . وقد رد الله عليهم فى سورة «الاسراء» : وقرءانا فرقناه لتقراه على الناس على مكث ، ونزلناه تنزيلا » . وفى سورة «الفرقان» : « وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرءان جملة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك، ورتلناه ترتيلا » (3) . ولعل من اسبق الآثار الى ذهن الدارس للقرءان المنبعثة عن شعور عميق ان لا يكون شان القرءان عنده كشان سائر المدونات . والقوانين الوضعية ، والمجلات العدلية ، التى تنطبع صياغتها بطابع لا يتخفف من الحشر والتزود بالمقادير البالغة الجافة البعيدة عن بواعث الضمير وعن الدفع الروحي ، وعن المفهوم الكلي الاسلامي العام ، لان طريقة القرءان تعتمد على رسم خطة العلاج والوقاية وتحصين المجتمع فى افراده وفى جماعته ، وتخالف طريقة تعجل النتائج والتسرع الى ضبط السطحيات والمظاهر التى هي من مقتضيات الصنعة البشرية. قبل الاسترشاد بوسائل يقظة الضمير وانتباه الرقيب النفسي ، فى انتزاع النوازع الجامحة من العقم والفساد والتحلل . اخذ القرءان ينزل، وكان اول نزوله بمكة فى رمضان سنة 41 ــ من ميلاده صلى الله عليه وسلم موافق 611 م ــ الى سنة 54 ربيع الاول . تصدى الرسول الكريم (ص) طوال هذه المدة للدعوة الى الله والى توحيده، والى ترسيخ العقيدة فى نفوس اتباعه ، حتى تجد مسالكها ومساكنها فى قلوبهم التى هي مسالك الالف والفطرة والضرورة البشرية ودفء الايمان بالله .

وقد اقتضى ذلك من الرسول محمد (ص) ان يعيش لتحقيق هذه الفكرة حتى تختمر فى قلوب الناس ، ويتعرض لاذاهم حتى يبلغ مناه فى استقرار تلك الفكرة فى اشواقهم واعماقهم .

وما كان من الضروري ولا من الحكمة وسداد الراي ان ينزل الى تفصيل التشريع الاسلامي ليلتزم الناس بحكم الله . والحال ان عقيدة التوحيد لم تمسهم فى صميمهم، ولم تنتظم افئدتهم فؤادا فؤادا، فكان دور التشريع المكي يقضي بالاقتصار فى مجموعه وفى خطته ــ على التمهيد للدعوة ــ ، وبنائها فى القلب والعاطفة قبل تشييدها على المسرح الخارجي، ولانه لا تشريع لمن لا قدرة له على التنفيذ.

فلذلك كان تشريع الاحكام بعد الهجرة الى المدينة التى اعز الله فيها دينه ، واتم نعمته ، والتى صارت عاصمة للمسلمين ، ومركزا حصينا لهم . نزل الباقي من القرءان بالمدينة ، من ربيع الاول سنة 54 الى ذي الحجة سنة 63 ــ موافق 622 م. من ميلاده (ص) ، وهي السنة العاشرة من الهجرة . وما نزل من القرءان فى هذه الفترة يسمى المدني وفى الفترة الاولى يسمى المكي . واول الآيات نزولا فى ارجح الاقوال : اقرا باسم ربك. وخلافهم فى تحديد ليلة النزول كاختلافهم فى ليلة

(3) يراجع ما كتبه الشيخ الامام « حسن البنا » فى بحوثه المنشورة فى مجلة الشهاب . وفى كتاب «السلام فى الاسلام وما فى كتاب النظرات .

القدر ، بعد اتفاقهم على انه فى رمضان . ورجح ابن اسحاق انها كانت ليلة 17 من رمضان ، وءاخر ءاياته نزولا فى ارجح الاقوال : اليوم اكملت لكم دينكم .. وحكى الطبري ان ذلك يوم عرفة عام حجة الوداع . ولم ينزل على النبي (ص) بعد هذه الآية شيء من الفرائض ، ولا تحليل شيء ولا تحريمه ، وان الرسول عليه السلام لم يعش بعد نزول هذه الآية الا احدى وثمانين ليلة . روى الطبري ذلك عن ابن عباس والسدى وابن جريج .

كل هذه التحريات وهذه الاهتمامات المتزايدة من المسلمين بالقرءان التى نرى دقتها البالغة بارزة فى تسجيل سوره البالغة 114 وتسجيل ءاياته البالغة 6229 فى قول المكيين . وفى احصاء كلماته البالغة: 77.439 ، وعدد حروفه 740.740 (4) . اقول : كل هذه التحريات ، كانت مظهرا ءاخر لعصمة الله ولحفظه لهذا القرءان الذى لم يتم لغيره من المصادر الالهية قبله . والذى نلمح منه تفسيرا جليا لحقيقة اخرى :

1 ـ ذلك اننا اذا قارنا ثبوت القرءان وصحة مصدره ونسبته الى الله فى درجات الصحة المتناهية. وفى مكانها الازلي البارز، وبين ثبوت مصادر الاديان قبله. نجد ان جميع الشكوك التى تحوم حول قيمة هذه المصادر التاريخية والموضوعية والعلمية . وحول. تحليل الاحداث الزمنية، تتبدد غيومها من نفسها ، وتبهر انفاسها عندما تسمع صوت القرءان الصوت الازلي الخالد ، والموقف يتبدل تماما عندما تقف على عتبة الدراسة القرءانية التى تكبر عن الخصومة الاستشراقية ، وعن كيد الصليبية ، والصهيونية العالمية .

ومجموع الوثائق التاريخية تشهد لذلك : فقد الغى مجمع « نيقية » كثيرا من اخبار الانجيل ، ولم تستطع البراهين العلمية اثبات الاناجيل الاربعة الى عيسى عليه السلام ، لان المنطق التجريدي استراح الى القول بان الاناجيل وضعت بعد المسيح باكثر من قرن اي بعد عصر الحواريين الذين تنسب اليهم التعاليم المسيحية . لذلك لا نتجاوز حدود الاعتدال ، اذا قلنا بان الاناجيل الاربعة لم يكن واحد منها بالانجيل الذى انزله الله تعالى على عيسى ، والذى يومن به المسلمون ، وهو قول صادق ، يؤيده انجيل « مرقس » . ورسالة « بولس » (5) وما قيل فى الانجيل يقال فى التوراة ، على اختلاف يسير بين المؤلفين والرواة .

2 ـ ونقف هنا لنرى صدق القرءان وتحديه ، واتصال البيان العربي باعجازه ، وتعبيره عن حقائق الكون والوجود الانساني . فقد عرض القرءان نفسه على الدنيا ، وتنقل بين فجاجها طوال 14 قرنا يجول بين الاجيال والشعوب ومختلف الحضارات . وتسمع ءاياته من عواصم العالم ، فهل اعترضته فى طريق انتشاره دراسة نقدية ، او انعقدت له المجامع العلمية لتشير اليه باصابع الاتهام ، او استولت عليه الريب، واستغرقت الناس شكوكهم ، واستهلكتهم ابحاثهم العلمية ـ عن حسن نية ـ لينالوا من قيمته واصالته ، ما كانوا ليصلوا لذلك ، ولو اوغلوا فى سيرهم ، وتقولوا على الله وعليه الاقاويل . فان الله تعالى تولى حفظه بنفسه، وخذل دونه الاطماع، ولم يكل امره الى الناس ، كما استحفظ بني اسرائيل على التوراة والانجيل ، فلم يحفظوهما ، بل حرفوا الكلم عن مواضعه ، ونسوا حظا مما ذكروا به ، انظر معي قوله تعالى : « انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيئون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء » .

ما كانوا ليصلوا الى ذلك ، ولو ظلت الملاحم متصلة ، والمجهودات تنفق بغير حساب ، مثل مجهودات المستشرق «مرجليوت . ومجهودات فى «الشعر الجاهلي» . وتولى كبرها مستشرقون ءاخرون . وما كان ليفت فى عضد هذه الهبة الالهية الخالدة . وليفت فى عضد المومنين بها ـ ما دام بايديهم الضمان على الدهر ، الذى جاء ببشارة مبكرة فى مكة ، على يد هذه الآية الكريمة : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون» ، حيث تكفل الله تعالى بحماية الدعوة وبقائها، وحماية الداعي وحماية مادة دعوته، وسط امواج المستقبل العاتية، والتقلبات المنتظرة المملوءة بكثير من المفاجئات . وهو تحد من

---

(4) الاحصائيات من المصدر السابق للامام الشهيد « حسن البنا »

(5) « الظاهرة القرءانية » لمالك بن نبي وكتاب «الانسان ذلك المجهول» تاليف «كاريل» ترجمة اسعد شفيق

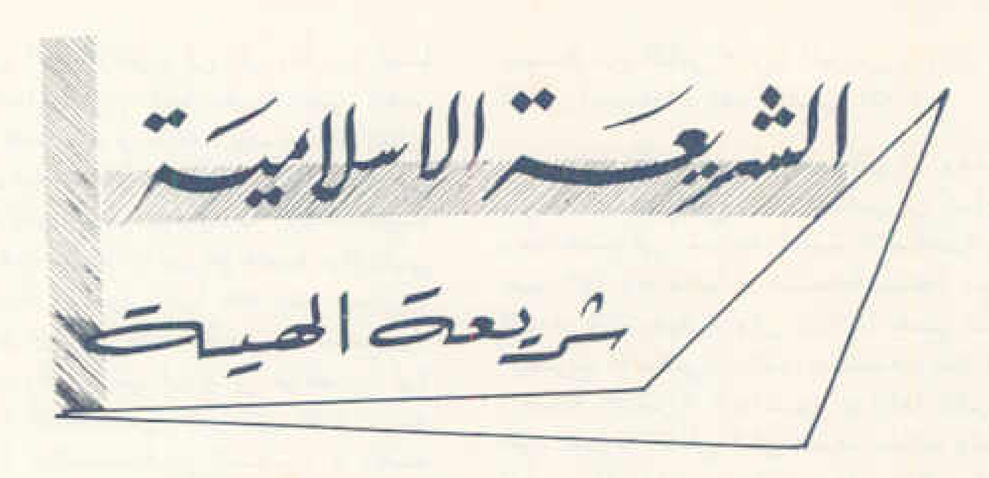
نوع ءاخر يطمئن اليه المومنون فى كل زمان ـ كما اطمأن اليه الرسول الكريم فيما مضى، حتى تنفس صبحه عن نصر لدينه ، ولرسالته ، رغم ما كان يعانيه من محاصرة فى شعاب مكة ومن مقاطعة ومؤامرة على قتله او نفيه . فمن عرف موضوعات الآيات المكية كهذه الآية وعرف دورها وافق حوادثها والليالي الطويلة التى قضاها الرسول (ص) مدة عشر سنين . يحكم حكما قاطعا ان مثل هذه الظروف لا تسمح ولا تتفق لبادرة من بوادر الامل ان تشق طريقها ـ لولا عناية الله والثقة المتجلية فى الله تعالى الذى وعد رسوله بالنصر ، وبالعصمة من الناس. « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون » .

وروى الترمذي والحاكم عن عائشة ، ورواه الطبراني عن ابي سعيد الخدري . قال : كان النبي (ص) يحرس بالليل . فلما نزلت هذه الآية : «والله يعصمك من الناس » ترك الحرس ، وقال : يا ايها الناس انصرفوا ، فقد عصمني الله » .

ولقد كان جديرا بالقرءان ـ وهذه صفاته وسماته ـ ان يتفتح امام الناس فى كل عصر ، ويستجيب فى تشريعه لمطالب الانسانية فى كامل تصوراتها وحاجاتها ، استجابة ممتدة مع جميع الادوار التاريخية ، وفى ذلك ما يفسر لنا طبيعة التشريع الاسلامي ، الذى يستهدف بناء الفضائل فى الجماعة البشرية ، وتشييد مزاياها الكبرى ، حتى تقوم بدورها العملي ، فى تكييف صلات وثيقة ، تنشد الخير والمعروف بين الناس على نطاق واسع، وهذا ما يعبر عنه بممارسة التشريعات الموضوعية التى امتاز بها الاسلام .

**فاس ـ محمد العيسوي**






للأستاذ عبد الواحد الناصر

**غالبية رجال الفكر فى العالم الاسلامي ، ولاسيما اساتذة القانون وكثير من الفقهاء المحدثين ، لايفرقون بين الشريعة الاسلامية والفقه الاسلامي .. وهذه الكلمات بيان للحقيقة، حقيقة الشريعة الاسلامية .**

( لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ، ان الله قوي عزيز )

فالدين الاسلامي ليس عقيدة فحسب او شعائر تعبدية وطقوسا دينية لا غير ، وانما هو تشريعات قانونية ايضا : ( ولا تاخذكم بهما رافة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ) .

فدين الله ليس هو الصلاة والزكاة والصوم والحج فحسب ، ولكنه نظام للحياة يشمل العبادات والاعتقادات والاخلاق كما يشمل قوانين السلوك والمعاملات ومختلف التشريعات : ( ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها، ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون ) ..

واقامة الدين تعني اقامة جميع ما شرعه الله لعباده من دين ، سواء كان شعائر تعبدية او تشريعات قانونية : ( فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ) .. ولذلك تنعدم اقامة الدين فى كل ارض تقام فيها الصلاة ولا يقام فيها قانون الله ونظام شريعته : ( الم تر الى الذين يزعمون انهم ءامنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ) .. وغني عن كل بيان ان كل اعراض عن شريعة الله وتحاكم الى شريعة الطاغوت ليس من مصلحة الانسان فى شيء : ( ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السماوات والارض ومن فيهن ) ...

وبناء على ما سبق نستخلص الحقيقتين التاليتين :

**الاولى** : ان الله وضع شريعة تنظم جميع مجالات الحياة الانسانية ، يجب على الناس ان ياخذوا بها وحدها دون غيرها: (ام جعلوا لله شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله ) .

**والثانية** : ان كل ارض رفضت شريعة الله او استبدلتها بقانون غير قانون الله — وان صلت وصامت وحجت البيت الحرام ! — قد رفضت فى الحقيقة دين الله الذي لا يتجزأ : ( ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ) ...

وانطلاقا من هاتين الحقيقتين ، فان مدلول الشريعة الاسلامية — حسب النصوص القرءانية الكريمة — ليس هو الشعائر التعبدية او التشريعات القانونية فحسب ، ولكنه نظام الحياة الذي وضعه الله للناس كافة ( وانزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل

شيء ) ليسيروا عليه في كل شأن من شؤونهم وفي كل امر من امورهم ...

على ان الفقهاء المحدثين والمتفقهين الجدد ، ولاسيما الذين حاولوا مسايرة الثقافات المعاصرة ، لم تعد غالبيتهم تأخذ بهذا المفهوم الصحيح «للشريعة الاسلامية»، فانعدم بذلك لديهم الخط الفاصل ، الواضح ، القائم بين التشريع الاسلامي كما بلغه الرسول — صلى الله عليه وسلم — وهو وحده « الشريعة الاسلامية » وبين كل الانتاج الفقهي الذي جاء متأخرا عنه .. فصاروا يحصرون الشريعة الاسلامية في نطاق الاحكام القانونية او لا يميزون بينها وبين الفقه ، فيطلقون كلمة الشريعة على الفقه، وكلمة الفقه على الشريعة .

وهذا الخلط بين الشريعة والفقه جعل معظم الكتاب — ولاسيما القانونيين منهم — يذهبون الى ان الشريعة الاسلامية هي ثمرة قرون طويلة من الاجتهاد العلمي ، وانها ، ما توصل اليه المجتهدون من الامة الاسلامية بناء على نصوص القرءان والسنة .

وقد انساق مع هذا الاتجاه بعض الكتاب المسلمين ، منهم الاستاذ فتحي عثمان الذى يقول في كتابه « الفكر القانوني الاسلامي بين اصول الشريعة وتراث الفقه » ص 45 : ( فما اصطلح اهل الفقه على تسميته بالشريعة ليس في الواقع في اغلب الاحوال الا ثمرة قرون طويلة من الاجتهاد العلمي )!!.

وقد لاحظ الدكتور محمد يوسف موسى هذا الاتجاه الخاطيء ، وحاول الرد عليه في مقدمة كتابه « احكام الاحوال الشخصية » مستشهدا بالنصوص الاسلامية واقوال الفقهاء المسلمين وعلماء اللغة ، وعاد لينقل هذا الرد بنفسه في الصفحة التاسعة من كتابه « المدخل لدراسة الفقه الاسلامي » : ( جرى الامر في كليات الحقوق بالجامعات العربية على اطلاق كلمة « الشريعة الاسلامية » ، على « الفقه الاسلامي » ، بل على انها مرادفة له ، مع ان الشريعة اعم كثيرا من «الفقه» وسبق أن عرفت في اللغة العربية قبل ظهور كلمة « فقه » بزمن طويل )

**ان الشريعة ليست هي الفقه** .. ولا زال المسلمون الواعون قديما وحديثا يميزون بينهما . فهي كما قال احدهم : ( عدل الله بين عباده ، ورحمته بين خلقه ، وظله في ارضه ، وحكمته الدالة عليه ) .. وقد فرق احد العلماء المسلمين بينها وبين الفقه حين قال ، ( ان معنى الشريعة انها تحد للمكلفين حدودا في افعالهم واقوالهم واعتقاداتهم ) . والفقه كما يعرف الجميع ينصب على الافعال ولا يهتم بالاعتقادات التى يبحث فيها علم التوحيد .. وهو لذلك الانتاج الاجتهادي المرتكز على احكام الشريعة الالهية ، المتعلقة بالاعمال والافعال من حلال وحرام ، ومن وجوب وكراهة ، ومن ندب واباحة ...

وقد ابرز هذا الاتجاه بدقة ، العالم الاسلامي الكبير ابو الاعلى المودودي في كتابه ( القانون الاسلامي وطرق تنفيذه ) ، والدكتور سعيد رمضان في كتابه عن « التشريع الاسلامي » والمرحوم عبد القادر عودة في كتابيه « التشريع الجنائي الاسلامي ، والاسلام واوضاعنا القانونية » ...

وقد سار على هذا الاتجاه صاحب كتاب « دفاع عن الشريعة » الاستاذ السيد علال الفاسي حيث يقول في الصفحة 75 حول مميزات الشريعة الاسلامية ان من ( ابرز هذه المميزات انها نزلت بوحي من الله تعالى ، فهي لم تكن قواعد قليلة ثم كثرت ، ولا مباديء واعرافا متفرقة وقع جمعها ، ولا هي راجعة للاصول التى ترجع اليها القوانين الانسانية في نشأتها مع فكرة القبلية وسلطة رئيسها ؛ ولا مع التطور الذي سارت فيه الخلايا الاجتماعية حتى تكونت الدولة . ولا هي اعراف اخذ بها الجمهور وسار عليها فتبناها المشرع ودونها وامر بالعمل بها ، ولكنها شريعة نزلت من السماء كاملة في معناها شاملة في فحواها سامية في مغزاها ...)

وهذه الفقرة تطابق الفقرة التى سطرها الشهيد عودة في الجزء الاول من كتابه التشريع الجنائي الاسلامي في الصفحة 15 حيث يقول تحت عنوان « نشأة الشريعة » : ( لم تكن الشريعة قواعد قليلة ثم كثرت ، ولا مباديء متفرقة ثم تجمعت ، ولا نظريات اولية ثم تهذبت ولم تولد الشريعة طفلة مع الجماعة الاسلامية ثم سايرت تطورها ونمت بنموها ، وانما ولدت شابة مكتملة ، ونزلت من عند الله تعالى كاملة جامعة مانعة لا ترى فيها عوجا ولا تشهد فيها نقصا ، انزلها الله تعالى من سمائه ..)

اما الشرائع البشرية فقد نشأت ضئيلة القواعد محدودة المباديء والنظريات ، وتطورت مع تطور الجماعات البشرية ، فازدادت قواعدها وكثرت مبادئها ونظرياتها ، ونمت بنموها شيئا فشيئا حتى وصلت الى ما هي عليه اليوم .

فالجماعات الانسانية هي التى خلقت هـذه الشرائع ، وصاغتها بكيفية تسد حاجاتها ، وتنظم حياتها ، وتلائم افكارها ومعتقداتها . ولذلك كانت هذه الشرائع الوضعية سريعة التطور والنمو والسمو كلما كانت الجماعات التى تنظمها جماعات متطورة وراقية وسامية ، وبطيئة فى تطورها ونموها كلما كانت هذه الجماعات ضعيفة بدائية لا تاخذ باسباب النمو والتقدم والازدهار .

وخلاصة القول الفصل ، ان الشريعة الاسلامية هي ما شرعه الله لعباده من قواعد لتنتظم حياتهم فى مجموعها ، وان الفقه «الاسلامي» هو الاجتهاد البشري المرتكز على الجزء القانوني من اجزاء الشريعة الاسلامية ، وانه ضل سواء السبيل من استعمل كلمتي الشريعة والفقه على انهما مترادفتان ، كما هو شائع ذائع لدى اغلبية الكتاب واساتذة القانون ...

تطوان : عبد الواحد الناصر



للمناهج مقدمات لا بد منها

# الفكر الاسلامى أضاف إضافات أساسية إلى الفكر الحديث

للأستاذ أنور الجندى

تدرس جامعاتنا ومدارسنا وكلياتنا فى العالم العربي كله ، بل وفى العالم الاسلامي الاوسع ، دراسات الطب والفلسفة والاقتصاد والعلوم السياسية والعلوم الفيزيائية والتاريخ وعلم النفس والاجتماع دون أن تشير بحرف واحد الى الخلفية التاريخية الاسلامية المصدر ، او الى المراحل التى قطعها الفكر الاسلامي فى بناء هذه العلوم وتنميتها ، فلا يعرف الشباب العربي ان اجدادهم كان لهم دور خطير فى بناء هذه المناهج والعلوم ، ودون ان يعرفوا وجهة نظر الفكر الاسلامي والثقافة العربية فى مختلف هذه العلوم والدراسات . وكل ما يدرس فى الجامعات ليس فى الحق الا نظريات الفكر الغربي التى تشكلت منذ اوائل عصر النهضة الادبي فى مختلف تطوراتها بين المناهج الراسمالية والمناهج الاشتراكية . ولا تمثل تلك الدراسات فى الحق الا تاريخا لمراحل تطور هذه النظريات وهذه الفلسفات وجوانب نقصها والاضافات التى تجددت عليها ، واوجه الصراع بين العصور والفلاسفة ، وبين المذاهب المختلفة المتعارضة . وهذا كله انما يمثل تاريخ اوربا والغرب ونظريات اوربا والغرب التى لم يشارك العالم الاسلامي ولا الامة العربية فيها ، والتى حين تقدم الينا الان لتكون مادة الدراسة فى جامعاتنا انما تكشف عن عزلة واختلاف واضح بين مجتمع ومجتمع وفكر وفكر وعصر وعصر ، وتشكيل نفسي وذاتي ووجداني متباين جد التباين .

وليس هناك اعتراض على ان ندرس النظريات والمذاهب والانظمة العالمية فى مجال الاقتصاد والسياسة والاجتماع والنفس والتربية ، ولكن يجب ان يكون هناك ثلاث مقدمات واضحة فى نفس الشباب العربي المثقف :

اولا : ان هذه وجهات نظر وليست قوانين مسلمة .

ثانيا : انها وجهات نظر الغرب عن تجارب نبعت من محيطه ومجتمعه .

ثالثا : ان لفكرنا العربي الاسلامي وجهات نظر فى مختلف هذه القضايا قد يختلف عن وجهة نظر الفكر الغربي .

رابعا : ان الفكر الاسلامي قد قدم لهذه المناهج جميعا اوليات واضافات بنائية حية .

فاذا استوى امام المثقف العربي الفهم العميق واليقين الاكيد من ان فكر امته قد ساهم فى هذا الفكر الاوربي الذى فرض نفسه على كل ثقافات البلاد التى خضعت للثقافات الغربية فان من شأن ذلك ان يمنحه شيئا كبيرا من الثقة والاحساس على انه قادر فى مرحلة قريبة أن يدرس الى جانب وجهة نظر الغرب فى مختلف قضايا السياسة والاجتماع والاقتصاد والنفس والتربية ، ان يدرس وجهة نظر فكره العربي الاسلامي الذى يستمد مقوماته اساسا

من رصيد الامة العربية ومن القرءان الكريم ومن الاسلام ، وانه قد استوى للمسلمين والعرب منذ وقت بعيد منهج فكر ومنهج حياة يختلف الى حد بعيد وفى مسائل اساسية وجذرية مع الفكر الغربي .

ولعل ابرز ما يقدم فى هذا المجال هو القول بأن الحلول الجذرية لمعضلات العصر وازمة الحضارة والمجتمع الحديث، هذه الحلول يقدمها الفكر الاسلامي على نحو جامع بين المثالية والواقعية ، وفى مقدمة ذلك قضية القضايا وهي : ما تختلف فيها الايديولوجيات الماركسية والغربية : قضية الفرد للمجتمع والمجتمع للفرد وانه قد وضع منذ خمسة عشر قرنا قاعدة بناءة فى هذا المجال حينما ربط بين الفرد والمجتمع ، وجعل المجتمع فى خدمة الفرد ، والفرد فى خدمة المجتمع .

وفى قضايا : التفرقة العنصرية والعدل الاجتماعي والاخاء الانساني والوحدة وتقارب القوميات وضع الفكر الاسلامي ـ مستمدا من القرءان ـ قواعد ونظما ما تزال البشرية فى اشد الحاجة الى التعرف عليها .

فاذا استعرضنا مثلا دراسات الطب والعلوم الفيزيائية فان دور العرب والمسلمين بالغ الاثر ، فالمسلمون هم الذين وضعوا اساس ( المنهج العلمي التجريبي ) بعد ان تخلصوا من الفلسفة النظرية اليونانية، وانهم صححوا نظريات الاغريق فى الفلك والبحار ورفضوا السحر والخرافة واقاموا بناء علميا فى هذه المجالات وخاصة فى مجال الطب، وفرقوا بين الفلسفة الرياضية والطبيعة واتاحوا لها فرصة النماء، بينما عارضوا الفلسفة الالهية التى تتعارض مع مفاهيمهم فى التوحيد والنبوة ، وانشاوا فلسفة مؤمنة تدور فى فلك الايمان بالله بعيدا عن شطحات الالحاد ومغريات الاباحة .

وللفكر الاسلامي قوانينه ونظمه فى مجال العلوم السياسية والاقتصاد والتاريخ وعلم النفس مما قدمه الماوردي والفارابي وابن خلدون والبيروني والغزالي وابن سينا ، هذه الآراء والمفاهيم التى صهرها فلاسفة الغرب فى علومهم ودراساتهم وصاغوها صياغة جديدة فعزلوها عن مصادرها الاسلامية المرتبطة بالتوحيد .

وفى مجال الفقه والتشريع والقانون كان للفكر الاسلامي القدح المعلى فى نظريات ما تزال حتى الآن بكرا وما تزال منارا يهتدى به .

واذا قلنا ان الفكر الاسلامي قد اضاف اضافات اساسية الى الفكر الحديث فى مختلف مجالاته لم نكن مبالغين ولا نكون قد عدونا الحقيقة .

— * —

ففى علم التربية والنفس ، لقد كانت كتابات ابن سيناء والغزالي والماوردي تمثل الخطوط العامة الاساسية التى ما تزال هي الاسس العامة للنظريات التربوية الحديثة .

والاصول التى قدمها ابن خلدون ما تزال اساس علوم العمران ( اي الحضارة ) التاريخ والاقتصاد والسياسة ، وعلى شبابنا ان يذكر دوما ان رجال فكره العربي الاسلامي هم الرواد فى هذه المجالات وان الماوردي اول من نادى بفكرة التاثير المتبادل بين الفرد والمجتمع ، والموازنة بين حقوق الافراد وحقوق الجماعة من غير تضحية احدهما لحساب الآخر، كما تحدث عن الحافز الفردي .

وليذكروا ان البيروني قدم اهم نظرية اقتصادية عن الادخار واكتناز الاموال وانفاقها وعالج قضية كنز الاموال وعدم تركها للتداول ، وبين الخطر الذى يترتب على ذلك ، وقال ان الحركة من ضرورات الحيات فاذا وقفت هذه الحركة حدثت أزمة اقتصادية هائلة .

وسبق الغزالي ( ديكارت ) وغيره بنحو ستة قرون الى القول بأن الشكوك هي الموصلة للحق ، « فمن لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر ومن لم يبصر بقي فى العمي والضلال .

وان الغزالي سبق ( هربرت سنبسر ) ايضا فى تصوير الدولة او المدنية بجسم الانسان : وقد شبه الغزالي الملك بالقلب ، واصحاب المهن الحرة باعضاء الجسم ، والشرطة بعصب الانسان والوزراء بحسن الادراك ، والقضاة بالشعور .

وعرف العلماء المسلمون باخلاص العلم لله . وتمحيص مادة البحث ، وكراهية التعصب ، وبذل الجهد للتحرر من المؤثرات فى الاحكام والاحتياط امام التاريخ القديم المأثور .

ويجب أن يكون فى مقدمة المناهج ان العلماء العرب المسلمين قد صححوا اخطاء علماء اليونان امثال بطليموس فى نظريته القائلة بأن النسبة بين زاوية السقوط وزاوية الانكسار ثابتة ، وقال ابن

الهيثم ان هذه النسبة لا تكون ثابتة بل تتغير وصدق العلم الحديث رأيه .

وابن الهيثم هو الذي سبق بيكون فى الطريقة الاستقرائية وسما عليه ، وقد جمع ابن الهيثم بين الاستقراء والقياس وقدم الاستقراء على القياس ، وحدد الشرط الاساسي فى البحث العلمي هو طلب الحقيقة دون ان يكون لرأي سابق او نزعة من عاطفة ايا كانت دخل فى الامر . ويقول « ونجعل غرضنا فى جميع ما نستقريه ونتصفحه استعمال العدل لا اتباع الهوى ونتحرى فى سائر ما نميزه وننتقده طلب الحق لا الميل مع الآراء » .

ولنذكر ان ابن الهيثم اضاف فى الشريعة والفقه نظريات عرفتها الدوائر القانونية فى اوربا وقدرتها : من امثال حرية التعاقد ، ومنع الحيل فى الاحكام ، واحياء اعمال الفضولي المحسن والمحافظة على اموال الغرماء .

ولا يزال يذكر تاريخ العلم تلك الميزة الواضحة لمفهوم العلم فى الفكر الاسلامي ، وهي اتحاد الدين والعلم ، وفى ذلك يقول هورتن : المستشرق الالماني فى كتابه : « استعداد الاسلام لقبول الثقافة الروحية »

كان العرب فى القرون الوسطى تقريبا الى سنة 1500 م اساتذة اوربا ، وان ما نشأ من ظن الاوربيين من ان الدين الاسلامي لا يتمشى مع المدنية ، انما جاء من جهلهم بهذا الدين وعدم تعمقهم به ، وفى الاسلام نجد اتحاد الدين والعلوم وهو الدين الوحيد الذى يوحد بينهما ، ونجد فيه كيف ان الدين موضوع بدائر العلم ، ونرى وجهة الفيلسوف ووجهة الفقيه، سائرين معا باتحاد ومتجاورتين كتفا لكتف دون نزاع . »

— ❋ —

ولنذكر ان فلاسفتنا وعلماءنا لم يتقبلوا الفكر اليوناني حين ترجم اليهم ، تقبلا تلقائيا ولكنهم نظروا اليه فى تحفظ ونقد ، وخالفوا ارسطو وافلاطون وغيرهما من فلاسفة اليونان فى كثير من النظريات والآراء فلم يتقيدوا بها بل اخذوا ما يتفق مع منهج التوحيد وصححوا ما لم يكن صحيحا بالتجربة . وتركوا ءاثارهم وبصماتهم وطابعهم على مجاري الفكر الحديث .

**القاهرة : انور الجندي**




للأستاذ محمد المنتصر الريسوني

- 4 -

### ح ـ قضية الوحي :

الوحي في اللغة الاشارة والكتابة والرسالة والالهام والكلام الخفي ، وكل ما القيته الى غيرك ، وقد توسع ابن منظور (1) في شرح هذه الكلمة ووضح معانيها اللغوية العامة مستشهدا بالآيات القرءانية والابيات الشعرية .

واما الحقيقة الشرعية للوحي فهي اعلام الله الى انبيائه ، والغاية من هذين التعريفين هي رفع اللبس عن الاذهان حتى لا يختلط على بعضها الفرق بين الحقيقة اللغوية والشرعية ، لان هناك من يلتبس عليه جوهر الوحي الذي اختص به رسل الله وانبياؤه ، والجوهر اللغوي الذي يحتوي على معان متعددة .

وهذا الوحي الشرعي لم يكن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وحده تلقاه من ربه ، فمن قبله بعث الله رسلا حملوا الوحي . واضطلعوا برسالاتهم السامية ، لذلك فظاهرة الوحي لم ينفرد بها نبينا، ولم تكن فريدة من نوعها لا تمت بصلة الى وحيهم ، انها ظاهرة واحدة منبعها واحد كما جاء في التنزيل الحكيم .. « انا اوحينا اليك ، كما اوحينا الى نوح والنبيئين من بعده ، واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهارون وسليمان، وءاتينا داوود زبورا ، ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل، ورسلا لم نقصصهم عليك ، وكلم الله موسى تكليما » .

فالوحي الذي كلف الله به رسله من قبل هو نفسه الذي ذكره القرءان غير ما مرة فقال تعالى : « والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحي يوحى » وقال « قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ، ان اتبع الا ما يوحى الي » .

وليست هذه الظاهرة الالهية التي هي ما اثبته قاموس الكتاب المقدس من انه حلول روح الله في روح الكتاب الملهمين لاطلاعهم على الحقائق الروحية، والاخبار الغيبية من غير ان يفقد هؤلاء الكتاب بالوحي شيئا من شخصياتهم فلكل منهم نمطه في التاليف واسلوبه في التعبير » .

بناء على هذا فالتعريف السابق يقرب الى ظاهرة الكشف التي عرفت من قديم لدى الشعراء والعارفين.

(1) لسان العرب ج 20 ص 257 وما بعدها وقد اورد نفس التعريف الفيروزابادي في قاموسه ج 4 ص399 من غير ما اسهاب ابن منظور .

(2) هذا القاموس الفه جورج بوست ونشرته المطبعة الامريكية ببيروت سنة 1894 انظر مباحث في علوم القرءان ص 25 للدكتور جيمي الصالح

والكهان والدجاجلة المدلسين ، اذ الاكشف فى اغلب الاحوال يكون نتيجة جهد رياضي وكد تاملي ، ويكون غير مستوعب للكمال اليقيني ، من هذا الوادي جاءت الاسطورة القائلة بآلهة الشعر التى عرفت عند اليونانيين ، وخرافة شياطين الشعر عند الشعراء العرب (3) .

ولا جرم ان هذه الحالة التى تحدث عنها علم النفس صاحبها يتجرد عن الشعور، فى حين ان الوحي يصحبه الوعي التام والادراك الكامل، وفى هذه الحالة الكشفية او الالهامية كما يسميها البعض يقول فليكس كلاي
« اننا نطلق كلمة الالهام على لحظات الابداع الفجائية، وهي لحظات تنتابنا مصحوبة بأزمات انفعالية . وتبدو بعيدة عن العمليات العادية للعقل والشعور، بعيدة عن حكم الارادة وسيطرتها تاتي غير متوقعة ، ومجيئها غير مرهون بدعائنا كالنوم والاحلام ».

والوحي الالهي بما يحمله من حقائق دينية ثابتة ، وانباء غيبية ، وتشريعات محكمة يستنكف من ان يذعن لهذه القوانين التى تعتمد على الفراسة والحدس الباطني ، فى حين يتمثل هو فى تلق سام بين ذات ملقية آمرة، وذات متلقية مأمورة خاضعة مطيعة تستوعب فى غير خلط ولا شطحات .

وان الوحي الذى كان يتلقاه الرسول صلى الله عليه وسلم على مراتب تحدثت عنها كتب الحديث وهي كما يلي :

1 ــ الرؤيا الصادقة : روى البخاري فى صحيحه (5) عن السيدة عائشة رضي الله عنها قال: اول ما بديء به رسول الله من الوحي الرؤيا الصالحة فى النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح الخ .. »

2 ــ ما كان يلقيه الملك فى قلبه من غير ان يراه، كما فى قوله صلى الله عليه وسلم : « ان روح القدس نفث فى روعي انه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله ، واجملوا فى الطلب ، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على ان تطلبوه بمعصية الله فان ما عند الله لا يطاب الا بطاعته » .

3 ــ وحي يأتيه مثل صلصلة الجرس فتعتريه شدة ، سببها تقريب الطبيعة البشرية الى موافقة الطبيعة الملائكية، وبتعبير ابن خلدون : انسلاخ من البشرية الجسمانية ، واتصال بالملائكية الروحانية. وهذه الصلصلة ــ كما قال ذلك العلماء (6) ــ تنبيه بقدوم الوحي كي يفرغ الرسول لسماعه ، وينسلخ من الجو البشري ، فينغمر بقلبه وسمعه وجميع جوارحه فى مناخ ملائكي ، وهذه الحالة الالهية كانت تعتريه قائما او قاعدا او سائرا او راكبا فى الصباح او المساء وهي اشد حالات الوحي عليه كما جاء فى صحيح لبخاري (7) ان الحارث بن هشام سال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله : احيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، واحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعي ما يقول » .

4 ــ تمثل جبريل له فى صورة رجل وقد مر ذكر ذلك فى الحديث السابق .

5 ــ رؤية الملك فى شكله فيبث فيه ما امر بتبليغه .

6 ــ ما تلقاه ليلة المعراج من اوامر كفرض الصلوات

7 ــ تكليم الله له من وراء حجاب بلا واسطة ملك كما فى حديث الاسراء .

هذه الحالات من الوحي التى كانت للرسول عليه الصلاة والسلام تنفي نفيا قاطعا من ان يكون امرا الهاميا او كشفيا كما يفهمه علماء النفس ، لانه ظاهرة بعيدة عن كل التحليلات العلمية التى يحاول فيها علماء النفس وغيرهم ان يفسروها بها ، وهم مهما اوتوا من نبوغ علمي فائق فلا يستطيعون البتة تفسير تلك الظاهرة ماديا ، لكونهم ابعد ما يكونون عن سر الروحانيات التى هي اسمى من مقاييسهم العلمية ، تلك المقاييس التى استعصى عليها شرح كثير من

(3) انظر شياطين الشعراء للدكتور عبد الرزاق حميدة .
(4) انظر الاسس النفسية للابداع الفني فى الشعر خاصة ص 186 وما بعدها للدكتور مصطفى سويق.
(5) بدء الوحي 7/1
(6) انظر فتح الباري ج 1 ص 16 ــ الطبعة الاولى ــ لابن حجر .
(7) بدء الوحي 6/1

الظواهر النفسية والكونية ، ووقفت امامها عاجزة كل العجز ، اذن كيف يمكن لهؤلاء ان يتوصلوا الى تفسير الاسرار الروحية الخفية الدقيقة ؟ وكنا نستسيغ بعض الشيء ان تنكر ظاهرة الوحي في العصور الجاهلية التى كان العقل الانساني فيها قاصرا مغلقا، ولكن لا يساغ اليوم ان تنكر وقد زخرت حياتنا بالبراهين العلمية المدهشة التى هي بدورها تعين الفكر الانساني على قبول الحقائق الغيبية ، ولناخذ على سبيل المثال عجائب التنويم المغناطيسي(8) التى اقرها اليوم العلم الحديث ، والتى يسلب فيها الرجل ارادة من هو اضعف منه ، فيصبح رهن اشارته يتصرف فيه كيف يشاء حتى انه يستطيع ان يلقنه ما يريد ، ويمحو من ذاكرته اسمه فاذا كان هذا تصرف انسان في انسان مثله فما بالك بمن خلق الوجود وتفرد بالربوبية والجبروتية .

والقرءان الكريم نفسه يؤكد في غير ابهام ولا غموض انه وحي صرف من الله في كثير من الايات كقوله تعالى : « وانك لتلقى القرءان من لدن حكيم عليم » وكقوله جل وعلا « قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك ، ان اتبع الا ما يوحى الي » .

وهذه الايات وغيرها ردود على من يشك في الهية (9) القرءان ومن له طبع مشرق لا ينطوي على حقد او سوء مبيت .

فقضية الوحي القرءاني مرتبطة ارتباطا كليا بوحي الرسل الآخرين فاذا اعترف حصفاء الغرب من المسيحيين بوحي موسى وعيسى ، ساغ لهم من غير ادنى شك ان يعترفوا بالوحي المحمدي . اما ان يثيروا موجة التشكيك حول وحي معين مقصود فهذا ما لا يقره العقل والطبع .

وما علينا بعد هذا الا ان نؤمن بان الوحي المحمدي مستقل كامل الاستقلال عن شخص الرسول، ومجرد عن العوامل النفسية اذ الرسول عليه السلام ليست له مقدرة في التصرف فيه ولا حتى استخدام ذاكرته في حفظه ما دام هو المتولى تحفيظه ، والمتكفل بالشاذة والفاذة من تنزيله ، وشخصيته لا ارادة لها امام ارادة الله القوية ؛ ولا اختيار له البتة في تلقي الوحي او انقطاعه ، فالله متصرف فيه ينزله عليه متى شاء لذلك كان الوحي يترى نزولهعليه صلى الله عليه وسلم ، سواء كان في فراشه يستريحاو في سفر ، في ليل او نهار ، في برد او حمارة القيظ، وقد ينقطع ، وهو في اشد الاشتياق اليه كما حدث بعد ان نزلت سورة « العلق » حيث فتر الوحي ثلاث سنين ، فحزن الرسول عليه السلام اشد الحزن ، وامسى مهموما مكدودا حتى انه كان يهم بالتردي من قمم الجبال ، وكلما اشرف على قمة منها ظهر له جبريل وقال : يا محمد انت رسول الله حقا ، ثم يزول عنه الهم وتنبسط نفسه الشريفة .

وفي مسالة تحويل القبلة كان عليه السلام يلتمس الوحي من السماء فيقلب وجهه الشريف في جوانبها ، ونفسه تنتزى شوقا الى استجابة رغبته، وظل على هذه الحال ستة عشر شهرا او سبعة عشر شهرا ، بيد ان القرءان لم ينزل به الروح الامين الا بعد عام ونصف ، عندئذ نزل قوله تعالى : « قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام » .

اذن لم يكن الوحي الالهي ينزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم متى شاء ، وانما كان يتلقاه حين تحكم الارادة الالهية بنزوله . ويفتر حين يود ربه ذلك ، فليس لسيدنا محمد اي تصرف ، لانه عبد مطيع لمولاه ، يرهف اذنيه، ويفتح احساسه لكلام رب العالمين فيعي وعيا كاملا تاما ما يوحى اليه .

فاين هي اكذوبة الصرع التى وصف بها بعض المستشرقين سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ومن ينهم تلذكه ؟ انها من الناحية العلمية مدحوضة لان هذه الحالة المرضية تعتور الانسان فيغيب عن الوجود ، وبعد افاقته لا يتذكر شيئا ، اذ ان الاحساس يتعطل والتفكير يشل ، وتلوح على صاحبه اعراض منها الصياح والعويل والهذيان ، او قد يتوهم روحا شريرة تهدده وغير ذلك ، وهذا ما لم يحدث للرسول ولم يثبت .

(8) الطاقة الانسانية ص324 للاستاذ احمد حسين ـ الطبعة الثانية 1963 .

(9) من بين الذين شكوا في الهية القرءان طه حسين ـ متاثرا بالمستشرق جب في كتابه الشعر الجاهلي ولكنه رجع في الجاده بعد ان تبين له وجه الصواب واضحا انظر الردود عليه في كتاب الفكر الاسلامي دراسة وتقويم وهو كتاب قيم صدرحديثا للاستاذ غازي التوبة ، وانظر كذلك الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربيللدكتور البهي .

فكيف يصدق عقل سليم ذلك والقرءان الكريم امامنا نستنطقه ونبحث فيه بحثا دقيقا فنلقيه وحيا خالصا من الله ، وصنعا الهيا يستحيل على القريحة الانسانية ان تبدع نظيره ، فما ظنك بمن اصيب بالصرع او مرض عصبي !؟ ذلك ان المرض الذي يجعل صاحبه يخبط خبط عشواء ، ويضطرب في احواله لا يمكن الانسان من ان ينطق بكلام منظم دقيق ، وان صدقنا اولئك الحمقى حقا في وهمهم ايسوغ ان نحكم على التنزيل بانه خليط من اقوال صدرت عن مريض بالصرع ؟ كلا ثم كلا ما يجرؤ احد ان يطلق هذا الحكم الجائر مهما بلغ به حنقه على الاسلام ما بلغ ، ومهما تاه في ظلام الالحاد ما تاه ، وءاية ذلك ان القرءان ناطق بنفسه انه هبة مباركة طيبة من اله مدبر حكيم ، خط فيه للبشرية طريق صلاحها وسبيل استقامتها، وانه منهاج معجز في الجانب العلمي والتشريعي واللغوي والادبي وغير ذلك . وهذا الاعجاز الخالد بطبيعة الحال يتنافى كل المنافاة والهذيان الذى رمي به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى طلع به على الانسانية جمعاء بأمر ربه الكريم .

واضافة الى ما سبق فان هذا الزعم الارعن يتداعى تداعيا نهائيا لا تقوم له بعد قائمة عندما تذكر اولئك المعتوهين بأن القرءان نزل منجما بحسب الحاجة اليه ، وتدرج في نزوله مع الوقائع والمناسبات المتنوعة التى عاش خلالها رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة ثلاثة وعشرين عاما على الارجح ، وهل المجنون – تعالى نبينا الكريم عن هذا اللغو الاهوج علوا كبيرا – في مكنته ان يؤلف هذا القرءان ويبرزه الى حيز الوجود حسب الظروف المواتية معالجا قضايا الانسان المختلفة الاجتماعية والدينية والسياسية والحربية والعلمية .

والحق ان هذا الفحش من القول لم يصدقه جل المستشرقين – من بينهم دوغوبه بعد ان رأوه بالغ الخطورة ، واضح التدليس لا يخفى على احط الناس ثقافة ، واغباهم عقلا ، قال دوغوبه المذكور : « ان الحافظة في المصروعين تكون معطلة على حين ان حافظة محمد صلى الله عليه وسلم – كانت غاية في الجودة كلما هبط الوحي » .

يشهد الله ان هذا التقول والتشدق العجيبين ينكرهما العلم ، ولا يقرهما التاريخ على الاطلاق ، وان هما الا صرع وهستيرية عصفت ببعض مشاطة الاستشراق ، فارادت النيل من شخصية الرسول كي توهم المغفلين او ضعفاء العقول ان الاسلام دين خرافي ابتدعه رجل مجنون – كبرت كلمة تخرج من افواههم – وقام بنشره وترويجه بين الناس .

ويكفي في الرد على اصحاب هذه الاحلام الطائشة ما سبق ءانفا ففيه الكفاية لمن له مسكة من عقل يحكمه فيما هو فيه من ريب ، متوخيا الصدق في الحكم ، وازنا الحقائق بميزان عادل غير مقصر ولا مشط والا حكم على نفسه بالشذوذ العقلي ، ولذلك يصح ان ننشد فيه ساعتئذ قول الشاعر :

لكل داء دواء يستطب به
الا الحماقة اعيت من يداويها

– يتبع –

تطوان – محمد المنتصر الريسوني

# ساعة مع الامام البخاري

للاستاذ يوسف الكتاني

... سأحاول ان اعطي عنه صورة حية موجزة عن حياته وآثاره وجهاده العلمي ونبوغـــه فى علـــوم الحديث ليعرف شبابنا ان فى تاريخهم شخصيـــات خالدة عبقرية سبقت نوابغ أوربا ومفكريهـــا بقـرون وقرون فى عالم الرياضة والعلم والابتكار .

**تعريفه ومولده ونشاته :**

هو ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيـم ابن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي ، ولد يـــوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة اربع وتسعين ومائة للهجرة ببخارى من خراسان

وكان اجداده فرسا على دين المجوس ، واول من اسلم منهم المغيرة على يد اليمان الجعفي والي بخارى فكان ولاؤه له وانتقل الولاء فى اولاده ، ومن هنا قيـل للبخاري الجعفي ، اما ابراهيم بن المغيرة فلا نجـد شيئا من اخباره ، واما والده اسماعيل بن ابراهيم فقد كان عالما محدثا تقيا ، وكان له مال كثير ، وقد ذكر ابن حبان فى كتاب الثقات انه سمع من مالك وحمـــاد بن زيد وصحب ابن المبارك وروى عنه العراقيون ، وقال عنه الذهبي فى تاريخ الاسلام .

كان ابو البخاري من العلماء الورعين ، وحـدث عن ابن معاوية وجماعته وروى عنه احمد بن جعفـــر ونصر بن الحسين .

وقد توفى والد البخاري وهو صغير ، فكفلته امه وكانت من الصالحات .

ويذكر غنجار فى تاريخ بخارى ان البخاري ذهبت عيناه فى صغره فدعت امه الله كثيرا حتى رات الخليل ابراهيم عليه السلام فى المنام فقال لها :

يا هذه قد رد الله على ابنك بصره بكثرة دعائك.

قال : فاصبح وقد رد الله عليه بصره .

وقد نشا البخاري نشأة دينية حيث بدأ حياته بحفظ القرءان وامهات الكتب الصغيرة فى الكتاب كما كان الشان فى زمانه حتى اذا بلغ عشر سنين من عمره بدا فى حفظ الحديث والاختلاف الى الشيوخ وحلـــق الدرس للاخذ عن العلماء .

وروى القسطلاني عن ابي جعفر محمد بن ابـــي حاتم انه قال : قلت للبخاري كيف كان بدء امرك فقال:

الهمت الحديث ــ او حفظ الحديث ــ فى المكتب وفى عشر سنوات او اقل ، ثم خرجت من المكتب بعد العشر فجعلت اختلف الى الداخلـــي وهو من اهــل الحديث فى عهده فقال لي يوما فيما كان يقرا للناس .

روى سفيان عن ابي الزبير عن ابراهيم فقلت ان ابا الزبير لم يرو عن ابراهيم فانتهرني فقلت له ارجع الى الاصل ان كان عندك فجعل ينظر فيه ثم خـــرج فقال لي :

كيف هو يا غلام فقلت هو الزبير بن عدي عن ابراهيم فاخذ القلم واصلح كتابه وقال صدقت .

قال وقد ساله بعض اصحابه : ابن كم كنت اذذاك فقال ابن احدى عشر سنة .

الى ان يقول فلما طعنت فى ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع وعرفت كلام هؤلاء يعني اصحاب الراي ثم حجت امه فحج معها ومعها اخوه احمد وكان اسن منه فاقام البخاري بمكة يطلب العلم فى حين عاد اخوه الى بخارى مع امه .

وفى ذلك يقول البخاري عن نفسه :

ثم خرجت مع امي واخي الى مكة فلما حججت رجع اخي الى بخارى فمات بها فكان اول رحلته على هذا سنة عشر ومائتين .

ثم استمرت رحلات البخاري فى طلب العلم والاخذ عن الشيوخ واهل الحديث .

روى سهل بن السدي قال البخاري :

دخلت الى الشام ومصر والجزيرة مرتين والى البصرة اربع مرات واقمت بالحجاز ستة اعوام ، ولا احصر ثم مرة دخلت الى الكوفة وبغداد مع المحدثين ثم الى بلخ ومرو ونيسابور وقرى والبصرة وواسط وحمص وقيسارية الخ . حتى قيل عن ارتحال البخاري فى طلب الحديث كان فى تنقله كالنحلة على كل روض باسم وزهر نضر وقد استمع طوال هذه الرحلات واخذ عن شيوخ العلم وكبار المحدثين ، نذكر منهم على الخصوص :

ففي مكة سمع من ابي عبد الرحمان ( المعرى) والحميدي واحمد بن محمد الازرق وجماعة .

وفى المدينة سمع من عبد العزيز الاويسي ومطرف بن عبد الله وابى ثابت بن محمد بن عبد الله وطائفة ، وفى بخارى سمع من محمد بن سلام البيكندي ومحمد بن عرعرة وهارون ابن الاشعب . وفى مصر سمع من سعيد ابن ابى مريم وعبد الله بن صالح الكاتب وسعيد بن تليد وعمرو بن الربيع بن طارق .

وقد نقل القسطلاني عن ابى جعفر الوراق قال : قال البخاري :

كتبت عن الف وثمانين نفسا ليس فيهم الا صاحب حديث ولا يكون المحدث كاملا حتى يكتب عمن هو فوقه وعمن هو ادنى منه وعمن هو مثله .

ويجب ان ننوه هنا على انه وان كثر شيوخ البخاري الذين سمع منهم واخذ عنهم فان هناك شيوخا اطال ملازمتهم والالتصاق بهم حتى اثروا فى تكوينه العلمي وفى ثقافته وسلوكه ؛ وذلك مصداق القاعدة التي يقول بها علماء النفس بان نجاح الطالب يتوقف بنسبة 20 فى المائة على همة استاذه ، و 80 فى المائة على همة الطالب واستعداده ، وهذا هو السر فى نجاح بعض التلاميذ دون بعض مع اتحاد الاستاذ والمنهج والمكان .

الا انه مع ذلك اذا كان فى الشيخ نواح بارزة تظهر بصورة مشابهة فى حياة تلميذه على اية حال كانت النسبة مهما توفرت الصلة القوية بينهما .

وممن كان لهم اثر بهذا المعنى فى تكوين الامام البخاري اربعة شيوخ كما ذكر البخاري ذلك بنفسه :

اولهم علي بن عبد الله بن المديني الحافظ المتوفى سنة 234 ، وقد قال عنه البخاري بالحرف .

قال السراج قلت للبخاري ما تشتهي قال :

ان اقدم العراق وعلي بن عبد الله حي فأجالسه.

ثم الامام احمد بن حنبل الشيباني المحدث الحافظ المتوفى سنة 241 ، وعنه قال : دخلت بغداد ثمان مرات ، كل ذلك اجالس احمد بن حنبل ، فقال لي آخر ما ودعته يا ابا عبد الله تترك العلم والناس وتصير الى خرسان فانا الان اذكر قوله .

والامام ابو يعقوب اسحاق بن ابراهيم المشهور بابن راهوية الحنظلي المروني النيسابوري المتوفى سنة 238 .

وابو زكرياء يحيى بن معين البغدادي العالم الجهبذ الناقد .

## صفات واخلاق :

ففي هذا البيت الكريم ولد ووسط هذه الاسرة الطاهرة نشا وترعرع وعلى هؤلاء الفحول تتلمذ وسمع. روى صاحب طبقات الحنابلة فى وصف البخاري عن الحسن البزار وروى ابن خلكان فى الوفيات قال :

( رايت محمد بن اسماعيل شيخا نحيف الجسم ليس بالطويل ولا بالقصير ) وكان قليل الاكل جدا كثير الاحسان الى الطلبة مفرط الكرم ، وكان لا يأتدم وكان زاهدا فى الدنيا كثير التواضع مع الناس متسامحا

وقد حكى وراقه انه ورث من ابيه مالا عظيمـــا وكان يعطيه مضاربة فقطع له غريم خمســة وعشرين الفا فقيل له استعن بكتاب الوالي ، فقال ان اخذت منهم كتابا طمعوا ولن ابيع ديني بدنياي ، ثم صالح غريمه على ان يعطيه كل شهر عشرة دراهم ، وذهب ذلك المال كله ثم قال ما توليت شراء شيء قط ولا بيعه كنت آمـــر انسانا فيشتري لي ، قيل له ولم ؟ قال لما فيـــه من الزيادة والنقصان والتخليط ، وروى فنجار في تاريخه قال : كان حمل الي البخاري بضاعة انفذها اليه ابـو حفص فاجتمع بعض التجار اليه بالعشية وطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم فقال لهم انصرفوا الليلة فجاء في الغد تجار آخرون فطلبوا منه البضاعة بربح عشرة آلاف درهم فردهم وقال : اني نويــت البارحـــة ان ادفعها الى الاولين فدفعها اليهم وقال لا احب ان انقض نيتي ، وكان الامام البخاري يركب الى الرمي كثيرا ، قال وراقه فما اعلم اني رايته في طول ما صحبته خطا سهمه الهدف الامرتين بل كان يصيب في كل ذلك ولا يسبق ، وكان حسن الاخلاق مشتغلا بنفســه ، وكـــان يقول : ما اغتبت احدا قط منذ علمت ان الغيبة حرام واني لارجو ان القى الله ولا يحاسبني اني اغتبت احدا.

وكان البخاري زاهدا عابدا ورعا يكثر من تلاوة القرءان ، فقد حدث وراقه عن ذلك قال :

وكان محمد بن اسماعيل اذا كان اول ليلـــة من شهر رمضان يجمع اليه اصحابه فيصلي فيهم ويقرا في كل ركعة عشرين آية وكذلك الى ان يختم القرءان ، وكان يقرا في السحر ما بين النصف الى الثلـــث من القرءان فيختم عند السحر في كل ثلاث ليال ، وكـــان يختم بالنهار في كل يوم ختمة ويكون ختمه عند الافطار كل ليلة ويقول : عند كل ختمة دعوة مستجابة .

وكان قواما بالليل لا يكاد ينام الا قليلا ، روى محمد ابن ابي حاتم قال :

كان ابو عبد الله اذا كنت معه في سفر يجمعنـــا بيت واحد الا في القيظ ، فكنت اراه يقوم في الليلـــة الواحدة خمس عشرة مرة الى عشرين مرة في كل ذلك ياخذ القداحة فيوري نارا بيده ويسرج ويخرج احاديث فيعلم عليها ثم يضع راسه ، فقلت له انك تحمـل على نفسك كل هذا الا توقظني ، قال انت شاب فلا احب ان افسد عليك نومك .

على ان هناك جانبا مهما من حيـــاة البخـــاري الاجتماعية لم يلتفت اليه مؤرخوه ودارسو حياته وهو هل تزوج البخاري ، وكم مرة ؟ وهل ترك ذريـــة ؟ ؟ ، وقد عثرت اخيرا على انه تزوج وولد بنتا او بنتين ، ولا زلت اواصل البحث راجيا ان اعثر في هذا الموضوع على ما يشفي الغليل وينير السبيل .

هذه باختصار صورة عن حياة هذا الرائد العظيم وصفاته ومزاياه وجهاده العلمي راجيا ان يعيها المسلمون اليوم ويدرسوها للتاسي والاقتداء والتعلم في وقـــت نحن فيه في امس الحاجة الى تقويم اخلاقنا وسلوكنا .

## آثـــار البخـــاري :

لقد ظهر نبوغ البخاري مبكرا ، فهو قد حفـظ القرآن وهو دون السبع ، وبدا حفظ الحديث وهو ابن عشر ، ثم اخذ في الرواية وحفظ اغلب امهات الحديث وهو ابن احدى عشر سنة ، فلا عجب ان نراه يبـدا التاليف وهو دون الثامنة عشر ، وقد اعانه على ذلك ذكاء حاد وحافظة لاقطة وذهن سيال ومهارة في معرفة الرجال ونقدهم ، ولقد روى الامام القسطلاني انه كان يحفظ وهو صبي سبعين الف حديث سردا ، كما روى انه كان ينظر في الكتاب مرة واحدة فيحفظ ما فيه .

وروى محمد بن ابي حاتم ، قال :

كنت عند البيكندي وهو من شيوخ البخـــاري ، فقال لي : لو جئت قبل لرايت صبيا يحفظ سبعيـــن الف حديث ، قال فخرجت في طلبه فلقيته فقلت انت الذي تقول انا احفظ سبعين الف حديث ، قال نعم ، واكثر ، ولا اجيبك بحديث من الصحابة والتابعيـــن الا ممن عرفت مولد اكثرهم ووفاتهم ومساكنهم .

وروى الحافظ ابن عدي ، قال : سمعت البخاري يقول : احفظ مائة الف حديث صحيح واحفظ مائتي الف حديث غير صحيح .

فلا عجب ان نجد انتاج البخاري غزيرا ومؤلفاته كثيرة سواء في الحديث او في تاريخ الرجال ونقدهم او في التفسير او في الفقه ، وكلها لا تخرج عن دائرة علوم القرآن والسنة ، وقد بلغت نيفا وعشرين كتابا على ان اعظم آثار البخاري واخلدها واجلها كتابه العظيـم الجامع الصحيح .

فما هو الصحيح وما هي الاسباب الداعيـــة الى تاليفه وكيف الفه وما هي شروطه في الحديث الصحيح وما قيمتها العلمية .

فقد سمى الامام البخاري كتابه :

( الجامع الصحيح المسند المختصر من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وايامـــه ) ، فهذا هو اسمه الكامل ، غير انه اشتهر بالصحيـــح او بالجامع الصحيح او صحيح البخاري ، وهو اصـــح كتاب بعد كتاب الله وبه اصبح البخاري امير المؤمنين فى الحديث وكتب له بفضله الخلود .

اما اسباب تاليفه فان البخاري لم يبدا تاليف كتابه الجامع الا بعد ان رحل طويلا فى طلب الحديـــث وجالس العلماء وروى عنهم وحفظ منهـــم وراى ان الحاجة ماسة الى افراد الحديث الصحيح بكتاب خاص لان الكتب الموجودة آنذاك كانت ممزوجة بالاقـــوال والفتاوي وعلى الصحيح وغيره ، فجرد همته لجمـــع الحديث الصحيح الذي لا يرتاب فيه أمين ، وقوى هذا العزم دعوة شيخه واستاذه ابن راهويه حسبما روى البخاري وحدث بنفسه ، قال :

كنا عند اسحاق بن راهويه فقال لو جمعتـــم كتابا مختصرا لصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال فوقع ذلك فى قلبي فاخذت فى جمع الجامع الصحيـــح .

وروى محمد بن سليمان عن البخاري ، قال :

رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وكأنني واقف بين يديه وبيدي مروحة اذب بها عنه فسالت بعـــض المعبرين ، فقال لي : انت تذب عنه الكذب فهو الذي حملني على اخراج الجامع الصحيح ؛ وقد اكد هـــذه الرواية السيوطي فى تدريب الراوي والذهبي فى تاريخ بغداد والنووي فى تهذيب الاسماء وصاحب كشـــف الظنـــون .

وقد اتبع البخاري طريقة فريدة فى تاليف كتابه يقول هو نفســه فيما روى الفربري عنه : ما كتبت فى كتاب الصحيح حديثا الا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين وخرجته من ستمائة الف حديث ، ولم اخرج فى هذا الكتاب الا صحيحا وما تركته من الصحيح اكثر وقد صنفه فى ست عشرة سنة ، وقال صنفت الجامع الصحيح لست عشرة سنة خلت وخرجته من ستمائة الف حديث وجعلته حجة بيني وبين الله عز وجل .

وكان تصنيفه فى المسجد الحرام ، قال صنفت كتاب الجامع فى المسجد الحرام وما ادخلت فيه حديثا الا بعد ان استخرت الله تعالى وصليـــت ركعتيـــن وتيقنت صحته .

## منهج البخاري فى الصحيح :

وقد ابتكر البخاري فى جامعه منهجا علميا عظيما يشهد بعبقريته ونبوغه سواء فى التبويب أو فى تخريج الاحاديث او فى الشروط التي اشترطها لصحة الحديث وسار عليها ، وقد استخلص هذا المنهج وشرحـــه الحافظ ابن حجر فى كتابه النكت وهو مخطوط بمكتبة الازهر ، وذلك من طريقين :

من تسميته لجامعه ، ومن الاستقراء فى تصرفه.

فهو سماه الجامع حيث أورد فيـــه الفضائـــل والاخبار المحضة وغير ذلك من الاداب والرقاق .

وسماه الصحيح اي انه ليس فيه ضعيف عنده وقوله ما ادخلت فى الجامع الا ما صح .

وسماه المسند اي ان الامر الاصلـــي تخريـــج الاحاديث التي اتصل اسنادها ببعض الصحابـــة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، سواء اكان من قولـــه او فعله او تقريره ، وأما ما عرف باستقراء من تصرفـــه فهـــو :

ان يكون الاسناد متصلا ،

ان يكون كل من رواته عدلا ضابطا متحفظا صادقا ،

وان يخلو الحديث من العلة .

واما الحديث المعنعن فقد اشترط فيه شرطان:

1 ـ اللقاء اي ان يكون الراوي قد ثبت له لقـــاء مع من حدث عنه ولو مرة واحدة مع اشتراط ان يكون ثقة ، فاذا ثبت ذلك عنه حملت عنده عنعنته .

2 ـ الشرط الثاني المعاصرة .

وطريق ثبوت اللقاء عند البخاري يدور عنده على التصريح بالسماع فى اسناده كسمعت وحدثني واخبرني فاذا ثبت السماع عنده فى موضوع يحكم به فى سائـــر المواضع خلافا للامام مسلم ، فانه اكتفـــى بشرط المعاصرة فقط .

يقول ابن حجر : وكذا عرفنا بالاستقراء فى تصرفه هي الرجال الذين يخرج عنهم انه ينتقي اكثرهم صحبة لشيخه واعرفهم بحديثه وان خرج من حديـــث من لا يكون فهذه الصفة فانما يخرج فى المتابعات وحيـــث يقوم له قرينه بان ذلك مما ضبطه هذا الراوي فهـــذه طريقة عظيمة فى التحري والاحتياط تشهد بفهمه حقيقة المجتمع الذي عاش فيه .

اضف الى ذلك ان البخاري مع معرفته الدقيقة بالرجال كان مؤدب التعبير جدا لكثرة تحريه وتورعه فى النقد ، فهو يقول الرجل الذي لا يرتضيه والذي يعرف كذبه فيه نظر او سكتوا عنه ، وقل ان يقول كذاب او وضاع وانما يقول كذبه فلان ورماه فلان يعني بالكذب ، واصرح ما قال فى رجل هو منكر الحديث الا فى النادر ، وفى ذلك يقول : لا اريد ان اجعل بيني وبين احد من الناس خصومة عند الله .

قال الامام النوقادي صاحب مفتاح الصحيحين :

جميع ابواب صحيح البخاري على ما احرزته ثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاثون بابا ، وعلى ذلك ابن حجر وعدد كتبه مائة ونيف ، اما عدد الاحاديث الصحيحة الواردة فيه فيبلغ سبعة الاف ومائتين وخمس وسبعين حديثا بالمكررة وبحذفها اى المكررة تصبح احاديث الصحيح اربعة آلاف وهو نفس العدد فى صحيح مسلم ، قال العراقي هذا مسلم فى رواية الفربري :

ولقد بلغ عدد الشيوخ الذين خرج عنهم تسعا وثمانين ومائتين ، كما بلغ عدد الذين تفرد بالرواية عنهم دون الامام مسلم اربعة وثلاثين ومائة .

وهكذا جاء كتابه الصحيح جامعا حقا رائعا حقا كما عبر عنه العلامة الكشميري بقوله :

ان المصنف سابق غايات ، وصاحب آيات فى وضع التراجم كما لم يسبق به احد من المتقدمين ولم يستطع ان يحاكيه احد من المتاخرين ، فهو الفاتح لذلك الباب ، وصار الخاتم، وضع فى تراجمه آيات تناسبها مما يتعلق بهذا الباب ، ونبه على مسائل مظان الفقه فى القرآن بل اقامها منه ودل على طرق التاسيس من القرءان وبه يتضح ربط الفقه والحديث بالقرءان بعضه مع بعض ولذلك قيل ان فقه البخاري فى تراجمه.

اما بقية كتب البخاري وآثاره فكلها تأتي فى الاهمية بعد الجامع الصحيح ، وهي : **كتاب التاريخ الكبير** ، وقد حاول فيه استيعاب الرواة من الصحابة ، فمن بعدهم الى طبقة شيوخه ، وقد ذكر فيه نبذة عن كل راو من رواة الحديث ، وعن شيوخه الذين أخذ عنهم وقد وضعه بالمدينة المنورة عند قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسنه لم تتعد الثامنة عشرة اى قبل ان يضع الجامع الصحيح ، وفى ذلك يقول :

فلما طعنت فى ثمان عشرة سنة صنفت قضايا الصحابة والتابعين ثم صنفت التاريخ الكبير عند قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقل اسم فى التاريخ الا وله عندي قصة الا انى كرهت ان يطول ، وقد نال هذا الكتاب العظيم اعجابا وتقديرا منذ ان الفه حتى ان شيخه ابن راهويه لم يتمالك ان دخل به على الامير عبد الله بن طاهر قائلا : ايها الامير الا اريك سحرا .

وهذا الكتاب فى ثمانية اجزاء وهو يعطي صورة واضحة عن سعة علم البخاري ومعرفته بالرواة .

ثم **كتاب التاريخ الصغير** وهو كتاب مختصر عن تاريخ النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار وطبقات التابعين ومن بعدهم ووفاتهم وبعض نسبهم وكناهم ومن رغب فى حديثه وهو فى ستة اجزاء .

**كتاب الضعفاء** وقد طبع فى الهند فى مجلد واحد مع كتاب التاريخ الصغير ومع كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي .

**كتاب الكنى** وقد ذكر فيه من غلبت كنيته على اسمه ومن لم يعرف الا بكنيته .

**كتاب الادب المفرد** وقد ذكر فيه جملة الاحاديث العامة الداعية الى مكارم الاخلاق وحسن المعاملة .

ومن كتبه ايضا كتاب قضايا الصحابة والتابعين

وكتاب رفع اليدين فى الصلاة

وكتاب خير الكلام فى القراءة خلف الامام

وكتاب التاريخ الاوسط

وكتاب الاشربة

وكتاب اسامي الصحابة

وكتاب بر الوالدين

وكتاب التفسير الكبير للقرءان

وكتاب الجامع الكبير

وكتاب خلق افعال العباد .

وكتاب المسند الكبير

وكتاب العلل فى الحديث

وكتاب الهبة

وكتاب الوحدان

وكتاب المبسوط

وكتاب الفوائد

وكتاب سنن الفقهاء .

## البخاري في المغرب :

لقد عرف المغرب بعد ما نهض الاسلام في ربوعه حضارة عظيمة قوامها العقيدة الاسلامية وثقافة مكينة عمادها العروبة الاصيلة وعلى هذين الاساسين بنى قواعد نهضته وشيد معالم مجده .

ويرجع ذلك الى نباهة المغاربة وسلامة فطرتهم وعناية ملوكهم وعلمائهم بمناهج الدرس وآفاق المعرفة فكانت تقصده الطلاب من كل الاجناس وكانت تملؤه المعاهد والمدارس في جميع الانحاء .

ففي عهد الادارسة برز جامع القرويين ، وفي عهد المرابطين اسس جامع اليوسفيين ، ولقد عرف المغرب منذ تلك العهود عادة تنظيم الدروس التفسيرية والحديثية تعقدها المجالس والحلقات سواء بالقصر الملكي وبرئاسة الملك او في مختلف المساجد والاضرحة الشهيرة والزوايا الكبيرة وخاصة في شهري شعبان ورمضان يحضرها العلماء والاعيان فتسرد الاحاديث بصوت رخيم جميل حسن وتفتح المناقشات في حديث من الاحاديث المسرودة ليدلي كل عالم برايه ، وغالبا ما كان الملك يتدخل ليدلي برايه في الدروس الحديثية التي كانت تعقد في حضرته .

هذا ولقد اهتم المغاربة بالبخاري منذ دخل الى بلادهم اهتماما رائعا وعنوا به عناية فائقة حفظا ودراسة وسردا وتأليفا ، وظلت هذه العناية متصلة مستمرة طوال العهود والحقب كما ساحاول ان اثبت في ايجاز ، ويجب ان ننوه اولا بأن ابا عبد الله الأصيلي المتوفى سنة 398 كان اول من أدخل رواية البخاري الى المغرب على ان جماعة من المحدثين اشتهروا ونبغوا في الحديث وكانوا حفاظا نذكر منهم على سبيل المثال :

ابو مهدي عيسى بن سعادة الفاسي المتوفى سنة 357 .

وابو ميمونة دارس بن اسماعيل الفاسي المتوفى سنة 357 وهو شيخ ابن ابي زيد القيرواني .

وعبد الرحيم بن العجوز السبتي المتوفى سنة 431

وابو عمران الفاسي المتوفى سنة 430 .

ومروان بن عبد الملك الطنجي المتوفى سنة 431.

وابن سعدون القيرواني المتوفى 485 وهو شيخ ابن عمران الفاسي .

وابو الاصبغ عيسى بن سهل الاندلسي المتوفى سنة 490 .

وفاطمة بنت ابي علي الصدفي حافظة محدثة ولدت سنة 490 .

وام العز بنت محمد بن علي العبدري روت عن ابيها صحيح البخاري .

وفاطمة بنت احمد زويتن ذكر المؤرخ السلاوي محمد بن علي انها كتبت نسخة من البخاري بخط يدها في خمسة اجزاء ولوعا منها بالحديث الى آخر ذلك من المحدثين والمحدثات الذين تزخر بهم وبآثرهم خزائننا ومكتباتنا .

## البخاري في عهد المرابطين والموحدين :

وقد وصف اهل الحديث في عهد المرابطين بانهم حملة اسفار ، ونقلة اخبار، وتطور الامر على عكس ذلك في عهد الموحدين حتى اصبحت كلمة العلم مقصورة على علم الحديث ، ولفظة الطالب على طلبة الحديث وعلل شدة اهتمامهم بالحديث بسبب الدعاية للمذهب الجديد والدولة الجديدة حيث انصب الاهتمام على مدونات الحديث وتكونت مجموعة من الطلاب حفاظ الحديث الذين كانوا يهيأون للحكم ويعتمدون في دراستهم على كتب الحديث ، وكان الموحدون يعقدون المجالس ويستدعون لها العلماء خاصة من الاندلس مثل ابن الفخار والشيخ احمد بن عيسى اللذين كان يستدعيهما لمجلسه يعقوب المنصور .

ومن اشهر الحفاظ في هذا العهد ملوك الموحدين انفسهم يوسف بن عبد المومن الذي كان يحفظ الصحيحين وابنه ابراهيم الذي قال عنه صاحب المعجب لم ار من العلماء بعلم الاثر انقل منهم له ، ويعقوب المنصور الذي كان يحفظ متون الحديث جميعا وابنه الناصر والمامون الذي كان معدودا في الحفاظ وتميز بعنايته بسرد البخاري بنفسه . كما تميز ملوك الموحدين بحملهم في اثناء اسفارهم ورحلاتهم المصحف العثماني وجميع كتب الحديث الصحاح .

وقد اشتهر من المحدثين في المغرب في هذا العهد ابن المواق المراكشي الفاسي المحدث الحافظ شرح مقدمتي الصحيحين والموطا ، والقاضي عياض العالم العظيم الشهير .

والشيخ عبد القادر القبين تلميذ ابن رشـــد .

وابو الحسن علي بن خلف بن غالـب القرشـي زعيم مدرسة الحديث فى التصوف .

وابن الكتاني محمد بن علي البيدلاوي .

وعبد الله بن محمد التادلي الفاسي قاضي فاس وتلميذ عياض .

وابو عبد الله بن محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسي تلميذ الشاطبي .

وعبد الجليل القصري محدث فاس وصاحـب كتاب شعب الايمان .

وابو الخطاب ابن دحية الكلبي الحافظ الشهير وقد حدث بالمغرب والاندلس وتونس والمشرق .

وابو الحسن السبتي وكانت له بنـت محدثـة مسندة وهي ام المجد مريم .

وابو العباس بن فرتون وابو القاسـم العزفـي السبتي رئيس مدرسة الحديـث بسبتـة ومؤسس المولد النبوي بالمغرب .

## فى العهد المريني :

واستمر هذا الاهتمام بالصحيح على عهد المرينيين حيث اشتهر ابو الحسن وابو عنان بالعناية بالحديث وتشجيع طلابه وشيوخه وتأسست المدارس والزوايا والخزائن وطبعت الكتب وحبست على المدارس .

وكان هذان الملكان العظيمان من افذاذ العلمـاء والمحدثين وكانت مجالسهم دائما عامرة بالعلماء لا تخلو من المناقشات والمناظرات وكانوا يستقدمون لذلـك العلماء من مختلف البلدان وخاصـة من الاندلـس وافريقيا حتى رافق ابا الحسن فى احـدى غزواتـه بتونس اكثر من اربعمائة عالم .

وقد اشتهر فى العهد المرينـي مجموعـة من المحدثين المغاربة منهم المقري الكبيـر وابن مرزوق والامام الشريف التلمساني وابو عبـاس الشريـف السبتي وابن رشيد السبتي صاحب ترجمان التراجم فى تراجم البخاري والافادة والتصحيح فى التعريـف باسناد الجامع الصحيح .

ومحمد بن احمد بن المواق الذي ضربت الطبول على رأسه حين حدث بمصر اشادة وتنويها .

وابن الصباغ المكناسي الذي املى على حديث واحد اربعمائة فائدة .

وابن مجراد السلوي المحدث الراوية .

وابن منصور المغراوي الذي نوه به الحافظ ابن حجـــر .

وعمر بن علي بن الزهراء الذي الف المهد الكبير فى احدى وخمسين جزءا .

وابن الشاط صاحب كتاب الاشراف على الشرف برجال سند البخاري عن طريق الشريف علي بن شرف

وعبد المهيمن الحضرمي الذي قال عنه ابن خلدون برز فى علم الاسناد وكثرة المشيخة ، وكتب له اهـل المغرب والاندلس والشيخ احمد زروق صاحب كتاب تعليق البخاري .

وابن غازي المكناسي صاحب كتـاب ارشـاد اللبيب الى مقاصد حديث الحبيب .

وفى هذا العهد عهد المرينيين برزت ظاهرة ممتازة تدل على مدى العناية الكبرى بالحديـث والمحدثـين وهي احـداث الكراسـي الحديثيـة فى المساجـد الكبرى والمعاهد العليا . وانتشـر الوقـف علـى العلماء والمحدثين المعينين لتدريس الحديث ، وهـذا تقليد علمي عظيم برز فى هذا العهد .

وقد كانت ولاية كراسي الحديث تعتبر منصبا رسميا ساميا يسنده السلطان بنفسه او خلفاؤه الى ذوي الاهلية والكفاءة من العلماء الممتازين ، وقد كانت هذه الكراسي مبثوثة فى جل المساجد الكبرى وخاصة فى فاس المركز العلمي الاهم .

فنجد فى جامعة القرويين عدة كراسي للحديث خاصة ، وكان لكل كرسي مكان قار كالكرسي القديم المخصص للحديث الواقع يسرة الداخل من باب الخباز والموصوف بانه كرسي مبارك جليل وهو الذي عرف فيما بعد بكرسي ابن غازي الامام المشهور .

وقد تداول الدراسة عليه علماء من عائلة ابن سودة المحدثين ، كذلك نجد كرسيا آخر للحديث وهـــو الكرسي الواقع بشرق القرويين ظهر خصة العيـن والمحبس على ابى الفضل احمد بن الحاج السلمي وعلى عقبه ، وقد ظل علماء هذه الاسرة العالمة يدرسـون الحديث عليه خلفا عن سلف .

وهناك كرسي النجاري بشرح فتح الباري لابن حجر العسقلاني انشأه السلطان احمد بن الشيخ بشرق القرويين الموالي للفندق الكبير وحبس عليه نسخة من الشرح المذكور منقولة من خط ابن حجر نفسه ، وهي لا زالت محفوظة بخزانة القرويين ، وكان من افذاذ المدرسين المحدثين على هذا الكرسي العظيم الامام عبد الواحد الونشريسي .

قال المنجور عنه في فهرسته :

وحضرت عنده ليالي كثيرة في مجلس البخاري بين المغرب والعشاء بالقرويين ينقل عليه كلام فتح الباري ويستوفيه لانه شرط المجلس .

هذا وان بروز هذه الظاهرة في هذا العهد العظيم وهي تخصيص كراسي للحديث وانتشارها في المساجد الكبرى والمعاهد يعطي صورة رائعة عما وصل اليه الحديث والمحدثون في العهد المريني .

### في العهد السعدي :

وفي عهد السعديين تركز اهتمام العلماء على قراءة الجامع الصحيح ودراسته وخاصة بين يدي احمد المنصور الذهبي الذي اصبحت دراسة الحديث في عهده تاخذ صبغتها الرسمية ؛ وقد كان يشارك فيها بنفسه ويستجيز العلماء وخاصة علماء مصر ، وكل شيخه المنجور يشهد له بجودة الفهم ويقول احد قضاته وهو ابو القاسم الشاطبي قاضي مراكش انه كان يجمع الصحيح بين يديه حتى حفظه من كثرة التكرار .

### في العهد العلوي :

وفي ظل الدولة العلوية ازدهرت المعارف والعلوم وبلغ الاهتمام بالحديث مداه وخاصة البخاري والموطأ وقد انشأ المولى الرشيد المدارس واسس الخزائن وكان يحضر المجالس الحديثية بنفسه ويجمع لها العلماء من كل الانحاء ويشاركهم في المناقشة والمناظرة .

كما كان المولى اسماعيل العظيم اكثر شغفا بالحديث والمحدثين الذين كان يستقدمهم من اطراف المغرب وغيره ، وكان يكرمهم ويبالغ في اكرامهم اثر كل مجلس حتى انه يصب الماء بنفسه على ايديهم ويقوم بتوزيع الجوائز عليهم .

وقد كانت لديه نسخة ممتازة من صحيح البخاري كتب عليها اسماء العبيد الذين اتخذ منهم جيشا وبطانة وقال لهم :

انا وانتم عبيد لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشريعته المجموعة في هذا الكتاب ، فكل ما امر به نفعله ، وكل ما نهى عنه نتركه ، فعاهدوه على تلك وامرهم بالاحتفاظ بهذه النسخة وان يحملوها عند ركوبهم ويقدموها امام حروبهم ، ومن ثم سموا عبيد البخاري وجرى عليهم لقب البواخر الى اليوم .

وكان سيدي محمد بن عبد الله عالما محدثا حافظا حيث نظم مجالس الحديث وعين لها اوقاتا مخصوصة واستجلب من الشرق مسانيد الائمة الثلاثة واشتغل هو بنفسه بدراسة الحديث والف الفتوحات الكبرى والصغرى وكتاب الجامع الصحيح الاسانيد المستخرج من ستة مسانيد ، وكلف ثلاثة من العلماء بشرح مشارق الانوار القاضي عياض وهم الشيخ التاودي وعبد القادر بوخريص وسيدي ادريس العراقي ، وقد بلغ الشيخ التاودي بنسودة في عهده ما لم يبلغه اي محدث غيره من النفوذ والشفوف لديه ؛ وهو صاحب كتاب زاد الساري المطالع البخاري وكتاب شرح صحيح البخاري وكذلك استمرت العناية بالحديث وخاصة البخاري على عهد السلطان ولاي سليمان حيث اشتهرت نخبة من المحدثين وعلى راسهم الشيخ الطيب بن كيران والشيخ ابو الفيض حمدون بن الحاج صاحب كتاب نفحة المسك الواري لقاري صحيح البخاري ، وكتاب رياض الورد ، والشيخ عبد القادر بنشقرون ، والشيخ محمد بنيس .

وفي عهد المولى عبد الرحمان استمرت العناية بالحديث وظهر محدثون بارزون في عهده ، منهم العلامة محمد بن الطاهر العلوي الحسني المراكشي ، والعلامة المطيري المكناسي ، والعلامة عبد القادر بن احمد الكوهن ، والشيخ المهدي بن سودة .

وفي عهد سيدي محمد بن عبد الرحمان استعار من خزانة القرويين نسخة البخاري المعروفة بالشيخة التي كتبها ابو عمران موسى بن سعادة وقراها ستين مرة على شيخه الصدفي وكان ينقصها الجزء الاول فامر رحمه الله بنسخه وكلف خطاطا من امهر الخطاطين واصدر ظهيرا بذلك سنة 1288 ، هذا وقد ظلت هذه النسخة محل اجلال واكبار في عهده .

وفي عهد المولى الحسن فكانا يصحبانها في اسفارهما واتخذ لها صندوقا ثمينا مزخرفا تحمله دابة خاصة

تكون امام محفة السلطان في جميع تنقلاته . وكذلك استمر الاهتمام بالحديث وبالبخاري خاصة على عهد المولى الحسن واستمر بعقد المجالس التي كان يحضرها بنفسه ويستدعي لها العلماء .

ولما بنى قصره بالرباط كان اول حفلة اقيمت به هي حفلة قراءة صحيح البخاري بمحضر العلماء والوزراء ورجال الدولة ، وقد كان عمل المولى الحسن استقر على ستة وثلاثين درسا خلال الاشهر الثلاثة من كل عام وهي رجب وشعبان ورمضان ؛ وذلك طوال مدة ملكه وكان لا يعطل مجالسه الحديثية حتى في اثناء اسفاره ، قال ابن زيدان في الاتحاف . وعلى هذا كان العمل جاريا من لدن الدولة الرشيدية الى اواسط الدولة اليوسفية وكان من العادة تقديم الطعام للعلماء اثر انتهاء الدرس وفي الختام تلقى القصائد تمجيدا وتعظيما للمناسبة ، وفي عهد المولى الحسن اجزلت لهم العطايا والهدايا وزيد لهم في المبرات .

وفي عهد المولى عبد الحفيظ استمرت العناية بالحديث ، بل زادت لكون هذا السلطان كان عالما وكان يعقد المجالس والمناظرات ويشارك فيها بنفسه وظهر في عهده محدثون عظام وعلى رأسهم احمد بن الخياط الزكاري المتوفى سنة 1343 ؛ وجدنا الاكبر سيدي عبد الكبير الكتاني صاحب كتاب حواشي على البخاري ، والعلامة البطاوري ، وجدنا الشيخ ابو الفيض سيدي محمد الكتاني صاحب ختمة البخاري وعمنا المحدث الحافظ سيدي محمد بن جعفر الكتاني صاحب الرسالة المستطرفة وكتاب شرح ختمة صحيح البخاري والعلامة الحاج علي عواد .

ومن شدة عنايته بالحديث انشا قراءة صحيح البخاري بالضريح الادريسي شروق كل يوم وعين لذلك العلماء بنفسه امثال القاضي عبد السلام الهواري ومولاي جعفر الكتاني وابن الجيلالي الخ .

وعندما اسست مطبعة فاس اصدر امره بتقديم طبع كتب الحديث فطبعت حواشي الشيخ التاودي وحاشية ابن زكري على البخاري والنظم المتناثر لسيدي محمد بن جعفر الكتاني .

وفي عهد المولى يوسف استمرت مجالس الحديث واستمر فيها محدثون كبار وعلى رأسهم المحدث الحافظ الشيخ ابو شعيب الدكالي والعلامة ابن القرشي وغيرهما .

وفي عهد محمد الخامس ظلت هذه المجالس قائمة الا انها اقتصرت على شهر رمضان عند صلاة الظهر وتنتهي ليلة السابع والعشرين منه ، وكان يحضرهذه المجالس علماء كبار وعلى رأسهم المحدث الشيخ المدني بن الحسني صاحب كتاب مفتاح الصحيحين وكتاب مقدمة الرعيل لجحفل محمد بن اسماعيل وغيره من كتب الحديث والعلامة الحجوي صاحب كتاب حواشي على صحيح البخاري والعلامة السائح .

واخيرا في عهد ملكنا الحسن الثاني ازدهرت العلوم وازدادت العناية بالحديث ، ولم تبق مجالس الحديث مقتصرة على شهر رمضان بل تعدتها الى أيام السنة حيث اصبح يعقد مجلس للحديث مرة كل شهر وفي مختلف مدن المملكة ، وقد اضفى على هذه المجالس مهابة وجلالة حيث استقدم لها العلماء من مختلف اقطار الاسلام ، وهو اول ملوك الدولة العلوية الذي اختص بدرس واحد مستقل من هذه الدروس شانه شان العلماء ، وقد اكدت هذه الدروس واظهرت علو كعبه وعظيم تفكيره كما زاد من اهمية هذه المجالس وروعتها نقلها بمختلف وسائل الاعلام وذلك لتكون الفائدة اعم والاثر اشمل ، وممن يحضر هذه المجالس ويشارك فيها شيخنا واستاذنا محدث المغرب الاوحد العلامة الفاروقي الرحالي أمد الله في عمره ووفقه للكتابة في الحديث وخاصة عن الامام البخاري .

ومنهم شيخنا العلامة الورزازي ، وشيخنا الاستاذ الشيخ محمد المكي الناصري .

ومن شدة اهتمام الحسن الثاني وعنايته بعلوم الحديث اسس دار الحديث الحسنية لدراسة العلوم الاسلامية واحيائها وتكوين جيل صالح من العلماء المحدثين يحيون كتب السنة ويعملون على نشرها ؛ وقد كان لي شرف التخرج في اول افواجها ، كما عمل على اعادة طبع كتب الحديث ولا زال العمل مسترسلا والنشاط متصلا

هذا وقد ظل اهتمام المغاربة بالحديث وخاصة الصحيح منذ القديم ، واستمرت عنايتهم به وحبهم له حتى احلوه مكان الصدارة في حياتهم ورعايتهم ، وآية ذلك مئات الكتب والمخطوطات التي الفت فيه ترجمة وتعليقا وحواشي وشروحا وختمات والتي تملأ خزائننا بالقرويين وابن يوسف وتامكروت والخزائن الكتانية والسوسية والتي تنتظر الالتفات والعناية لاخراجها وطبعها ونشرها وانني ادعو من هنا وزارة الثقافة ووزارة الشؤون الاسلامية والعلماء وشبابنا المثقف ان يهتموا بهذا التراث العظيم لينشروه للناس وليرى النور عن قريب .

## رجوع البخاري الى بخارى وقصته مع أميرها :

وبعد رحلة طويلة وتسيار متصل فى طلب العلم والتعليم والتاليف عاد الامام البخاري الى مسقط راسه فنصبت له القباب على فرسخ من البلد واستقبل استقبالا عظيما ونثرت عليه الدراهم والدنانير فبقى مدة مكرما حتى حدثت بينه وبين اميرها وحشــة ، روى غنجار فى تاريخه :

ان امير بخارى خالد بن احمد الذهلي بعث الى الى محمد بن اسماعيل ان احمل الي كتاب الجامع والتاريخ لاسمع منك ، فقال البخاري لرسوله :

قل له انني لا اذل العلم ولا احمله الى ابواب السلاطين،فان كانت له حاجة الى شيء منه فليحضرني فى مسجدي او داري فان لم يعجبك هذا فانت سلطان فامنعني من المجلس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة اني لا اكتم العلم .

قال : فكان سبب الوحشة بينهما .

فخرج البخاري الى خرتنك وهي قرية من قرى سمرقند ، وكان له بها اقرباء فنزل عندهم .

قال عبد القدوس بن عبد الجبار فسمعته ليلة من الليالي وقد فرغ من صلاة الليل ـ يقول فى دعائه :

( اللهم لقد ضاقت علي الارض بما رحبت فاقبضني اليك ) ، قال فما تم الشهر حتى قبضه الله ، وكان ذلك ليلة السبت فى ليلة عيد الفطر سنة ستوخمسين ومائتين ، وعمره اثنان وستون سنة .

ولكان الامام البخاري حقق بذلك ما اخرجه الحاكم فى التاريخ من شعره :

اغتنم فى الفراغ فضل ركوع
فعسى ان يكون موتك بغتة

كم صحيح رأيت من غير سقم
ذهبت نفسه الصحيحة فلتة

هذا وانا لنرمق باجلال وحب وتعظيم رجلا مثل البخاري بدا كتابه الصحيح بحديث : ( انما الاعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى ) ؛ وختمه بحديث : كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمان : ( سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم ) . كان وجه الله هدفه اول سطر خطه ، وكان وجه الله امله وشغله آخر سطر خطه وبين البداية والنهاية اودع الرجل علمه الغزير وحققه الكثير رحمه الله ورضي عنه جزاء ما قدم للاسلام والمسلمين .

**الرباط : يوسف الكتاني**

# عبر من التاريخ

* للأستاذ خليل الهنداوي *

لا ادري : اي دافع في نفسي ، انطلق بي هذه المرة الى الاقبال على التاريخ ؟ واي عجب في هذا ما دام التاريخ – كما يقولون – يكرر نفسه ؟ ولكني لم اكن يوما مؤمنا بهذا القول ، لان التاريخ عندي كالحياة ، يتطور ولا يتكرر .

واذا ، فما هي عوامل الامتاع في مراجعة هذا التاريخ الذي تفتح بانامك صفحاته التي لا تحصى ؟ فاذا انت امام عالم حي بأشخاصه ، يفور بالاهواء والاحداث والحركة والحياة ، لا يقل حياة عن العالم الماثل الذي نحياه ..

وهل في هذا ، فضل قليل ؟

امتدت يدي الى تاريخ كبير ، وضعه العالم المؤرخ « ابن الاثير » في اثني عشر مجلدا احاط فيه بتاريخ العرب والاسلام ، منذ الجاهلية حتى عام 629 هـ . ومعنى ذلك انه لبث يؤرخ احداث عصره ، حتى العالم الذي توفاه الله فيه .

ولابد ان نعترف بقصر الوقت ، وضخامة الامانة التي اداها !

– كيف درسوا ؟ كيف صنفوا ؟ كيف استغلوا الوقت وملأوه ؟

الحق ان انقطاعهم الى العلم ، واشتغالهم به دون سواه ، وزهدهم بمتاع الحياة ، وايمانهم بقدسية عملهم ، هو سر نجاحهم !

ولا شك ان تاريخ كل امة مملوء بمحاسنها ومساوئها، ولكن، متى فاضت المحاسن على المساوىء في الامة ، فتلك امة تحسد على ما انعم الله عليها !

وان في تاريخ ، كتاريخ الكامل ، عبرا كثيرة ، ومواقف لا تحصى .

وحين اخذت اقرا ، توالت تحت ناظري ، مواقف ، واخلاق ، وعادات تستوقف الناظر . وما زالت تستبد حتى فكرت في هذه المواقف وادركت ان في تاريخنا صفحات حية لا يمكن ان تطوى ، وامثلة عالية صالحة للقدوة لا يحسن ان تنسى .

وسواء بعد ذلك عندي : ان يعيد التاريخ نفسه او لا يعيد : اذ يكفيه عظة ان يثير في النفوس كوامن الاحسان ، ويجدد الانسان !

ولعل الجاحظ – هذا المعلم الاصيل – حين وصف الكتاب بقوله : « الكتاب وعاء ملىء علما . ان شئت الهتك طرائفه ، وان شئت اعجبتك مواعظه . ومن لك بشيء يجمع الاول والآخر ، والشاهد والغائب ؟

انه ينطق عن الموتى ، ويترجم عن الاحياء ، يجمع من التدابير العجيبة ، والعلوم الغريبة ، ومن ءاثار العقول الصحيحة ، ومن الحكم الرفيعة ، والمذاهب القديمة والتجارب الحكيمة ، ومن الاخبار عن القرون الماضية ، والبلاد المتنازحة ، والامثال السائرة ، والامم البائدة ! »

لعل الجاحظ ، حين ذكر هذا كله ، كان على وعي ناقد ، وحق مبين ، لانه وجد فى كتب التاريخ متعة لا تعدلها متعة ، وعبرة بالغة ، وفائدة لا تفوقها فائدة .

فاذا اردت ان تعرف الامم ، كيف تنشأ وتزول ، وكيف تحيا وتفنى ، واذا شئت أن تتبين الاشخاص كيف يظهرون ويختفون، واذا رمت ان تقع على مشاعل العقول كيف تضيء ، وكيف تقصف بها الرياح فتنطفىء فان التاريخ وحده ينبئك ويشفيك !

ولئن فات مؤرخينا القدماء ان يعللوا الحوادث، ويحللوا الاشخاص ، وكوامن الفتن ، فان من حسناتهم انهم تركوا لنا الواحا مختلفة ، سجلوا على صفحاتها كل شيء .

وان من مزايا هذا التاريخ الكبير :

تلاحم الكلمة مع الاحداث ، فالعربي لا شيء يثيره كوضع الكلمة البليغة فى موضعها ، ولذلك حرص صاحب الكامل على ان يكون اسلوبه اديبا ، نافذا ، ملما بالمواقف الحرجة التى كان للكلمة البليغة سر انفراجها . والتاريخ والبلاغة — عنده — توأمان .

كما كان فى الوقت ذاته ، معلما مهذبا ، فهو حين يختار الاحداث يجعلها منوعة ، اذ ليس التاريخ عنده بتاريخ حوادث فقط ، وانما هو تاريخ مواقف ، — لنا كانت او علينا — !

ومن ذلك ، مثلا ، انه يعلم القائد كيف يكون ، واين يكون موضعه ، حين يضرب المثل بعبد الله بن الزبير .

« قال ابن الزبير لاصحابه واهله ، يوم قتل بعد صلاة الصبح :

— « اكشفوا لي عن وجوهكم حتى انظر اليكم ! »

وعليهم المغافر ، ففعلوا .

فقال :

« يا آل الزبير ! لو طبتم لي نفسا عن انفسكم كنا اهل بيت من العرب اصطلحنا فى الله ، فلا يرعكم وقع السيوف ! فان الم الدواء للجراح اشد من الم وقعها . صونوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم ! ولا تسألوا عني ! فمن كان سائلا عني ، فانني فى الرعيل الاول »

وهذا عروة يضرب المثل الاعلى فى العزة والاباء، حين يقول لعبد الملك :

« ليس الذليل من قتلتموه ، ولكن الذليل من ملكتموه ، وليس بملوم من صبر فمات ، ولكن الملوم من صبر فمات » .

ومثله عيسى بن موسى ، وقد قيل له : — بعدما انفض الناس عنه ، ولم يبق معه الا نفر يسير —

— لو تنحيت عن مكانك ، حتى تؤوب الناس اليك ، فتكر بهم !

فقال :

— لا ازول عن مكاني هذا ابدا حتى اقتل ، او يفتح الله على يدي . والله ، لا ينظر اهل بيتي الى وجهي ، وقد انهزمت من عدوهم .

وجعل يقول لمن يمر به :

— اقريء اهلي السلام . وقل لهم : لم اجد فدا افديكم به اعز من نفسي ، وقد بذلتها دونكم » .

وهو يعلم الحاكم كيف يبني دعائم حكمه ، وكيف يختار له الرجال :

« كان المنصور يقول :

— ما احوجني ان يكون على بابي اربعة نفر لا يكون على بابي اعف منهم ، هم اركان الدولة ، ولا يصلح الملك الا بهم : اما احدهم فقاض لا تاخذه فى الله لومة لائم . والآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي . والثالث صاحب خراج يستقصي ، ولا يظلم الرعية .

ثم عض على اصبعه السبابة ثلاث مرات ، يقول فى كل كلمة :

— آه آه

قيل :

— ما هو يا امير المؤمنين ؟

قال :

— صاحب بريد يكتب خبر هؤلاء على الصحة »

كما لا ينسى ان يعلم المؤدبين كيف يأخذون بأصول الادب فى تربيتهم ، لانهم النماذج المرموقة .

« فقد حكي عن اسماعيل الساماني انه كان لولده مؤدب يؤدبه ، فمر به الامير اسماعيل يوما ، والمؤدب لا يعلم به ، فسمعه ، وهو يسب ابنه ، ويقول له :

— لا بارك الله فيك ، ولا فيمن ولدك !

فدخل اليه ، وقال له :

— يا هذا ! نحن لم نذنب ذنبا لتسبنا ، فهل ترى ان تعفينا من سبك ، وتخص المذنب بشتمك وذمك ؟

فارتاع المؤدب ، فخرج اسماعيل عنه ، وامر له بصلة جزاء لخوفه منه »

كما لا ينسى ان يعلم الحكام انهم كلما خشعوا لله اطمأنت الارض لهم ، وتفتحت رحمة الله بين ايديهم ، اذ لا يرفع الرحمة كالبطر والتكبر ، ولا يستنزل الخير كالشكر والتواضع لله .

ومن هذا : « ان الناس قحطوا وارادوا الخروج للاستقاء ، فارسل عبد الرحمن الناصر الى القاضي منذر بن سعيد البلوطي ، يامره بالخروج ، فقال القاضي للرسول :

— يا ليت شعري ! ما الذي يصنعه الامير يومنا هذا ؟

فقال :

— ما رايته قط اخشع من الآن . قد لبس خشن الثياب ، وافترش التراب ، وجعله على راسه ولحيته ، وبكى ، واعترف بذنوبه ، ويقول : « هذه ناصيتي بيدك ! اتراك تعذب هذا الخلق لاجلي !

فقال القاضي :

— يا غلام ! احمل المطر معك ! فقد اذن الله بسقيانا. اذا خشع جبار الارض رحم جبار السماء .

وخرج واستقى بالناس » .

ويعلم المقاتل — حين يقاتل من اجل قضية سامية — كيف يتجرد من مطامع الدنيا ، ثم لا يختار من اصحابه الا من يؤمن ايمانه .

« وهذا سليمان الخزاعي يخطب في اصحابه :

— من كان خرج يريد بخروجه وجه الله والآخرة فذلك منا ، ونحن منه . فرحمة الله عليه حيا وميتا .. وما معنا من ذهب ولا فضة ولا متاع. وما هي الا سيوفنا على عواتقنا ، وزاد قدر البلغة . فمن كان ينوي غير هذا فلا يصحبنا ! »

ويعلم الافراد كيف يبذلون ارواحهم رخيصة ، من اجل قضية تحيا فيها امة ؛ « حاصر ابن خاقان مدينة «ورشان» فخاف الحرشي ان يملكها ، ويقتل اهلها ، فارسل بعض اصحابه الى اهل ورشان ، يعرفهم وصوله ، ويامرهم بالصبر ، فسار القاصد، ولقيه بعض الخزر فاخذوه ، وسالوه عن حاله ، فاخبرهم ، وصدقهم ، فقالوا له :

— ان فعلت ما نامرك به احسنا اليك واطلقناك ، والا قتلناك .

قال :

— ما الذي تريدون ؟

قالوا :

— تقول لاهل المدينة ، انكم ليس لكم مدد ، وتامرهم بتسليم المدينة الينا .

فاجابهم الى ذلك !

ولما قارب المدينة وقف بحيث يسمع اهلها كلامه ، فقال لهم :

— اتعرفونني ؟

قالوا :

— نعم

قال :

— ان الحرشي قد وصل الى مكان قريب منكم ، في عساكر كثيرة ، وهو يامركم بحفظ البلد ، والصبر ، ففي هذين اليومين يصل اليكم !

فكبروا وهللوا ...

وقتلت الخزر ذلك الرجل ، ولكن المدينة سلمت »

ويعلم كذلك كيف ينبغي ان تتجرد المصلحة العامة من الاهواء الفردية ، وكيف ينبغي للحكم ان يتجرد من الاغراض ، وتسليط الناس على الناس ، ويكون هدفه مصلحة الناس جميعا :

« فهذا الخليفة الظاهر بأمر الله يكتب لعماله :

— اي غرض لنا فى معرفة احوال الناس فى بيوتهم ؟ فلا يكتب احد الينا الا ما يتعلق بمصالح دولتنا !

«وهذا الخليفة نفسه يخرج توقيعا الى الوزير بخطه، ليقراه على ارباب الدولة :

ليس غرضنا ان يقال : برز مرسوم ، او نفذ مثال ، ثم لا يبين له اثر . بل انتم الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال »

ويذكر لنا — فى معرض البلاغة — كتابا كتبه صلاح الدين بخط يده الى اخيه شمس الدين وهو بدمشق ، يذكر وقعة كسر فيها ، وقد استهل كتابه بهذا البيت :

ذكرتك ، والخطي يخطر بيننا
وقد نهلت منا المثقفة السمر

ويقول فيه :

« لقد اشرفنا على الهلاك غير مرة ، وما انجانا الله سبحانه منه الا لامر يريده سبحانه ! وما ثبتت الا وفى نفسها امر »

هذا قليل من كثير، يحمله الينا تاريخنا الحافل بالامجاد والعبر ، فاين من يقرا ويتعلم ؟

**خليل الهنداوي**



## من الأدب الفارسي

### صفحة من كتاب :

# جهار مقالة حول الشاعر "فرخي"

ترجمة الأستاذ محمد بن تاويت

كان الفرخي من اهل سيستان ، وهو ابن « جلوغ » عبد الامير « خلف بانو » . وكان الفرخي له طبع جيد للغاية ، فكان به يقول شعرا جيدا ، كما كان يضرب على « الصنج » بمهارة . وكان يخدم دهقانا من دهاقين سيستان ، فكان هذا الدهقان يعطيه كل سنة ، مائتي (كيلة)، ذات امنان خمسة من الغلة ، ومائة درهم « نوحي » فضة ، وكان هذا يكفيه لكنه اراد ان يتزوج جارية من جواري «خلف» ( فكان ذلك) وكثرت النفقات ، كما كثرت الدباء والزنابيل، فاصبح مجردا من الورق وافتقر . ولم يجد هناك من يلتجيء اليه ، الا اماءه . فحكى قصته للدهقان ، وان مصاريفه قد تكاثرت عليه ، « عسى ان الدهقان من كرمه يرفع مرتبي الى ثلاثة مائة كيلة وخمسين ومائة درهم ، فلعل هذا المبلغ يفي بخرجي »

فوقع الدهقان ، على ظهر العريضة « ليس هذا القدر الذى تحرم منه بكثير ، عليك ، ولكن لا سبيل الى الزيادة »

فلما سمع هذا الفرخي ، اصبح يائسا ، وصار يستخبر الذاهب والآيب ، لعله يهتدي الى شخص ، يتوجه اليه بمدحه ، فيجد عنده غرضه ، ولو في اطراف المعمور . الى ان اخبر بالامير ابي المظفر « جغاني » باقليم ( صاغان ) ـ الذى يهتم بهؤلاء الشعراء ويمنح هذه الجماعة منحا فاخرة ، وانه ليس اليوم من ملوك العصر وامراء الزمان ، نظير له في هذا الوصف ، فنظم قصيدة وعزم على قصد تلك النواحي :

رمت من سيستان ركب الحلة
نسجت روحا وقلبا حلتي

الاصل الفارسي :

باكروان حله برفتم زسيستان
باحله تنيده ردل بافته زجان

والحق انها قصيدة رائعة ، وصف فيها الشعر في غاية البداعة ، ولم يكن لمدحه نظير ، ثم تزود واتجه الى الصاغانيين ، ولما وصل الى حضرة الصاغانيين ، كان الوقت ربيعا ، والامير في مكان تكوى به الخيول ، وسمعت ان الامير كان يملك ثمانية ءالاف فرس للسباق ، كل فرس يتبعها مهرها . وكل سنة كان يذهب الى هذا المكان ويامر بكي الامهار ، وكان العميد اسعد ناظر خاصته ، بحضرته ، فكان يهيىء المعدات للاقامة ، حتى يأتي بها الى الامير . فقصده الفرخي وقرا عليه القصيدة، وعرض عليه الشعر الذى نظمه في الامير . وكان العميد اسعد رجلا فاضلا محبا للشعر ، فراى على شعر الفرخي طلاوة وعذوبة ، وجزالة وجمالا ، ولكنه راى الفرخي رجلا سجستانيا لا هندام له ، فكان يلبس جبة ممزقة من الامام والخلف وعمامة عظيمة ، شأن السكريين ، تتدلى من الراس الى القدم وحذاء في غاية الرداءة ولكن الشعر كان في

السماء السابعة . فلم يصدق البتة ، ان هذا الشعر يصدر من ذلك السكزى ، فقال له على سبيل الامتحان : ان الامير بمكان الكي ، وانا ذاهب اليه وءاخذك معي . وان مكان الكي جميل جدا ، فهو عالم فى عالم اخضر ، مملوء بالخيام والمصابيح ، مثل النجوم ، وينبعث من كل خيمة ، صوت لحن ، والندماء يجالس بعضهم بعضا ، يشربون الشراب ويتنادمون. والنار موقدة فى بلاط الامير، كالجبال، والامهار تعلم ، والامير فى احدى يديه كاس شراب، وفى الاخرى وهق: يشرب الشراب ويمنح الجياد..

فقل قصيدة مناسبة للحال ، واصفا « الداغكاه » ــ محل الكي ــ حتى اقدمك الى الامير.

فذهب الفرخي تلك الليلة ، ونظم قصيدة بديعة جدا ، وفى وقت الفجر ، توجه الى العميد اسعد وقدمها اليه ، وهذه تلك القصيدة :

ومنذ تبرقع وجه المراعي
بزرق الحرير وداع الشتاء

تاتها الجبال فغطت جباها
بذى السبع لونا كقوس السماء

وباح بمكنونه مسكها
فللارض نافجة كالظباء

وصفصافها ارتاش ريشا له
كببغاء ينمو بدون كفاء

واقبل بالامس رسل الصباح
بفيح الربيع وصرف العناء

فيا حبذا ريح ذاك الشمال
واطيب بعطر الصفا والنقاء

كأن النسيم سرى بفتيت
تضوع فى كمه كالهباء

وتجلو الرياش على صدرها
دمى كالعرائس ليل اللقاء

ونسرينها بعقود اللآل
تطوق ابيض مثل الضياء

واقراطها الحمر فى لمعان
على شجر الارغوان لواء

وقد علت الورد من خمرها
كؤوس كخد الكعاب الوضاء

تدلت اكفا بانملها
فروع الجميز تحيي الرخاء

كأن الرياض واغصانها
حرابي بمظهرها والكساء

تحملت السحب لؤلؤها
وقد نثرته حبابا وماء

وخلع الامير بالوانها
تميس فى زهرتها خيلاء

وقد ملئت بخرائدها
بساتين مكواه تحصي الثناء

فابدع به مربعا نضرا
حباه الامير بحسن انتقاء

لقد صير الدهر فى خيرة
بما ضمنت نعمه من زكاء

ترى الروض اخضر فى اخضر
كأن سماء علتها سماء

وقامت خيام ازاء خيام
حصونا مفضضة فى الفضاء

حوت كلها عاشقا نائما
نعيما ومعشوقة فى انتشاء

وفى كل صوب محب تملى
بطلعة محبوبه والبهاء

وصوت الرباب يوافي البراري
وللمطربين يد حولاء

وقرع الكؤوس يحث الندامى
تردده جنبات الخباء

ومن عاشق قبل وعناق
ومن عيطل دلها واللحاء

وللصادحين غناء وعزف
وللنائمين خمار السباء

وقصر لكسرى السني الجدود
ستار على بابه من سناء

ينار بنار كشمس الضحى
من وسم السراحيب والنجباء

اذا اندلعت خلت صفر البنود
وقد نسجت من حرير رخاء

ففي حرها مثل طبع الشباب
وفي لونها ذهب بصفاء

وهذي المكاوي كغصن المراجي
ولون اليواقيت شفق ذكاء

ففي النار تبدو كحب رمان
تساقط فوق مهار نجاء

احاطت عبيد الامير بها
صفوفا وقد سهروا رقباء

وخيلهم في انتظار السمات
قطارا قطارا بعد الحصاء

وكسرى السعيد على طرفه
يخوض البحار بعزم مضاء

وفي يده وهق مثل « اسفند
ديار » يجوب الصحاري العماء

تثني كطرات خود حسان
ومثل سوالف مرو النماء

كعقد الصديق وقد قدمت
عليه العهود متين الوفاء

وعدل الامير ابي المظفر
مليك واتباعه في هناء

فانعم بيمن نقيبته
وتوفيقه عملا ودهاء

وحق لسيد اناشيطه
وقد وقعت بيد الكبرياء

كتاب اسمه فوق اكفالها
واكتافها وجباها ازدهاء

واذ يسم الخيل فهو لاخرى
يلهيها بساط السخاء

هدياه للزائرين جياد
بحبل وباللجم للشعراء

جون برند نيلكون بر روى بوشد مرغزار
پرنيان هفت رنك اندر سر آرد كوهسار

خاكرا جون ناف آهو مشك زايد بي قياس
بيدرا جون پر طوطي برك رويد بي شمار

دوش صبحدم بوى بهار آورد باد
حبذا باد شمال وخرما بوى بهار

باد كوئي مشك سوده دارد اندر آستين
باغ كوئي لعبتان جلوه دارد بركنار

نسترن لؤلؤى بيضا دارد اندر مرسله
ارغوان لعل بدخشي دارد اندر كوشفار

تابر آن جامهاي سرخ مل بر شاخ كل
پنجهاي دست مردم سر فرو كرد ازجنار

باغ بوقلمون للباس ولخ بوقلمون نماي
آب مرواريد كون وابر مرواريد بار

راست پنداري كه خلعتهاي رنكين يافتند
باغها پرنكار از داغكاه شهريار

داغكاه شهريار اكنون جنان خرم بود
كاندرو از خرمي خيره بماند روزكار

سبزه اندر سبزه بيني جون سپهر اندر سپهر
خيمهاندر خيمه جونسيمين حصاراندرحصار

هر كجا خيمه است خفته عاشقي بادوست مست
هر كجا سبزه است شادان ياري از ديدار يار

سبزها با بانك جنك مطربان جرب دست
خيمه ها با بانك نوش ساقيان مي كسار

عاشقان بوس وكنار ونيكوان ناز وعتاب
مطربان رود وسرود وخفتكان خواب وخمار

بر در پرده سراي خسرو پيروز بخت
از پي داغ آتشي افروخته خورشيد وار

بركشيده آتشي جون مطرد ديباي زرد
كرم جون طبع جوان وزرد جون زر عيار

داغها جون شاخهاي بسد ياقوت رنك
هر يكي جون نار دانه كشته اندر زير نار

ريدكان خواب ناديده مصاف اندر مصاف
مركبان داغ ناكرده قطار اندر قطار

خسرو فرخ سير بر باره دريا كذر
باكمند اندر ميان دشت جون اسفنديار

همجو زلف نيكوان مورد كيسو تاب خورد
همجو عهد دوستان سال خورده استوار

مير عادل بو المظفر شاه با پيوستكان
شادمان وشاد خوار كامران وكامكار

هركرا اندر كمندشت بازى در فكند
كشت نامش بر سرين وشانه ورويش نكار

هرجه زين سوداغ كرد از سوى ديكر هديه داد
شاعران را تا لكام وزائران را با فسار

فلما سمع العميد اسعد هذه القصيدة ، انبهر منها ، لانه ما سمع بمثلها قط ، فترك اعماله جانبا، واركب الفرخي واتجه به الى الامير .

وما اشرقت الشمس بعجدها ، على الامير حتى كان مائلا امام الامير ، يقول له : « ايها الامير ( مولاي ) لقد اتيتك بشاعر منذ ان وارى التراب بقايه وجه الدقيقي ، لم ار له نظيرا » .

واتى له بالقصة ، على الوجه الذى كانت عليه ، فلما سمع الامير بوجود الفرخي ، اذن له بالمثول ، فاقبل وقام بفروض الطاعة ، فمد له الامير يده ، وامر بان يخصص له مقام حسن ، وان يرعى احسن رعاية ويقام على خدمته

فلما شرب الفرخي وسرى فيه النشاؤه قليلا ، قام وابتدأ ، ينشد بصوت حزين مؤثر جميل، قصيدته :

ومت من سيستان ركب الحلة ..
با كروان حله برفتم زسيستان ..

فلما اتم قراءتها وكان الامير عالما بالشعر ، كما كان نفسه ينظمه ، اظهر اعجابه العظيم من هذه القصيدة ، فقال العميد اسعد : « مهلا يا مولاي ، حتى ترى ما هو احسن منها » ، فسكت الفرخي وسحب نفسا ( تنفس ) من شدة السكر ، فقام الامير وقرا قصيدته في «الدغاه» فبهر بها ، ثم كان الامير يتوجه الى الفرخي بقوله : « ليؤت بالف مهر كلها سوداء الوجه والقوائم ، فما اختلته في مجراه منها فهو لك ، فانت رجل سكري .

فانتهى الفرخي من شرابه ، وخرج على الاثر ، وقد حل عمامته بسرعة، وصار يرمي بها بين القطيع، فيستقبل هذا وهذا ،وبتلك الطريقة كان ينفره ويجريه نحو الصحراء يمينا وشمالا ، وفي كل صوب ، وهو يتبعها عدوا ، الى ان بدا ءاخر الامر رباط كان الى جانب المعسكر خاليا ، فاتت اليه الامهار ، وتبعها الفرخي ، وكان التعب قد اخذ منه والسكر ، فاستلقى في دهليز ذلك الرباط ، وجعل عمامته تحت راسه ، واستغرق في نومه من شدة السكر والتعب .

وعدت الامهار فكانت اثنتين واربعين، فذهبوا الى الامير وقصوا عليه ما جرى : فضحك الامير كثيرا واظهر الاعجاب ، وقال : « انه رجل محظوظ لقد ارتفع شانه ، ارعوه هو وامهاره ، وحينما يصحو ايقظوني » . فامتثلوا امر الملك ، وفي الغد ، استيقظ الفرخي على طلوع الشمس واستيقظ كذلك الامير ،وصلى ، ثم اصدر امره بان يدلل ( بلزم ) الفرخي وان تسلم تلك الامهار الى اصحابه . ثم تفضل على الفرخي بفرس ولوازمه الخاصة ، وخيمتين وثلاثة حمال وخمسة عبيد وبردة وسجاجيد ، فارتفع شان الفرخي عنده ، وصار في غاية التجمل .

**تطوان ــ محمد بن تاويت**

# الشباب في معركة التسلح

## تنمية وخلقا

للأستاذ عبد الله الجراري

نعلم ان لصولة الشباب وحرارته المشبوبة حماسا وحيوية هي بالطبع عوامل فعالة لا تلبث تخلق منه طاقات الاندفاع الى الميادين بروح قد تشوبها اللا مبالاة في الآتي من المغبات ، ورغم تلك السورة الجنونية التي تلابسه في بعض مراحله فانها بلا شك تترك فيه آثارا حميدة في شتى القطاعات خاصة منها السياسية والبطولية بصفة اكثر ، ونجد هذا المعنى منبثقا من اصل المادة ـ الشين والباء ـ الدالة في اصلها على النماء والقوة في حرارة تعتري الشخص او الشيء فينبعث متقدا مشبوبا .

وهذا ما يدعو بالضرورة لتعبئة جميع الجهود سواء الفردية والجماعية ـ لاحداث الوان من الخدمات العامة يقوم بها الشباب كمرحلة لبناء صرح المستقبل ـ تصطبغ بالوان من النشاط الاجتماعي ـ لذا فاننا ندرك شاعرين من انفسنا بمدى الحاجة الملحة لاعداده ، فاذا كنا في بلد تحرر من ربقة الاستغلال والاستدلال ، وتحلل من ادران ماض ثقيل بغيض ، وتخلص من رواسب كادت تقضي على شخصيته ومثله ومقوماته ـ فان مسؤولياته اليوم اكبر مسؤلية تواجه طاقاته الحية ـ فعليه وعليه كشباب حي ـ أن يرفع مشعل الانطلاق ليظل هادئا ومنيرا حاملا رسالة الوعي واليقظة كي يكفل للوطن وبجميع اجزائه ـ السعادة الكاملة كوطن له سيادته العريقة ، ومجده الأثيل منذ كان ، وليس بعيدا عن الاذهان انه نهض لاول نشاته على عاتق الشباب ، فلا غرابة أن تنهض مسيرته اليوم (كرد للعجز على الصدر ) في اكتمال وقوة على عمده مرة اخرى وفي اشد ما يكون النهوض ـ واقدر ما توحي به كلمته ـ وثقة منا في هذا الشباب وايمانا بحيويته المشتعلة ـ انه سوف يقوم باعباء الرسالة كاملة ـ وفي سائر مناحيها الواسعة الجوانب ـ اجتماعيا واخلاقيا وسياسيا واقتصاديا كمعوان لحمل ذلكم العبء الثقيل عبء التنمية التي اخذت الحكومة الموقرة على نفسها القيام بها واضعة لها الخطط والتصميمات ذوات العدد ما بين ثلاثية وخماسية الان؛ حتى اتخذ يوم ميلاد ملكنا المعظم الحسن الثاني ( 9 ـ 6 ـ 1929 ) عيدا للشباب يخلق منه انطلاقات جديدة نحو العمل المثمر ، والشعور بالمسؤولية الملقاة على كاهله كقوة حية لها ضلاعتها الكبرى في الشعب يحيى بحياتها ويفنى ( لا قدر الله ) بفنائها .

ففي ظل هذا اليوم وفي خضم اشعاعه تبرز قوى الفتيان الكامنة في النفوس متطلعة في حماس لتنظر يمنة ويسرة ماذا عليها في الحياة من مسؤوليات ، وماذا ينتظرها من اعمال ثقيلة في اطار السير بالبلاد قدما نحو حضارة انسانية اجدى وامجد مما اثره الانسان الماضي وخلفه عبر الاجيال من حضارات ومدنيات قد لا نبعد النجعة ان رايناها تنبثق من الشباب وتحلق في اجواء الفتوة الناعمة باذلة كل رخيص وغال مشكلة اعظم قوة بشرية في الوطن ـ هدفها السعي صوب خلق مجتمع ديمقراطي ـ يساهم افراده في جميع الشؤون الاجتماعية والاقتصادية باقصى طاقاته ـ كاشتراك مع الحكومة مشاركة فعالة في كفالة حاجات المواطنين ،

وحاجات البيئة والمجتمع . فالشباب ولا ازال اكرر لفظة الشباب بعد دعامة الامة ، وثروة البلاد ، وعدة النهضة والصورة البارزة فى الدولة ولقد صدق اخونا الاستاذ علال اذ يقول فى نونيته :

( كل صعب على الشباب يهـون
هكذا همة الرجـال تكـون )

نعم ــ ليست همة الشباب الحية التي عليها بنت الامم والدول امجادها وحضاراتها بنت اليوم ــ انهـا بنت قرون وقرون بعيدة المدى .

فموسى عليه السلام وقتما قام بالدعوة واجهـه عملاق مصر ( فرعون الجبار ) ظاهرة اليمة لم يجـد سندا يساعده على المقاومة سوى فئة قليلة من قومه الشباب جندت نفسها لمناصرته فى كفاحه الظافر كما يشير النص القرءاني لذلك فى سورة يونس يقول الله تعالى : « فما آمن لموسى الا ذرية من قومه » .

ورسولنا الاعظم محمد عليه السلام ما ناصـره فى تبليغ رسالته وعضده فى مجموع الكفاح عدا شباب قريش الباسل ــ كابن عمر ، وابن الزبير ، وعبد الله ابن سعد بن ابي سرح ؛ وحتى لو استعرضنا التاريـخ واحداثه لوجدنا للشباب اليد البيضـاء فى الجهـاد والكفاح والظفر فى النهاية . حربا وسلما وتخطيطا ــ ثـم لا يكـاد يفـوت القلـم وهـو يسطـر سطوات الشبـاب ومغـامراتـه فى شتـى الاطـوار والملابسات ــ طاقـات الفتاة التـي شلـت منـذ حقب بعدما كانت لها جولاتها الانسانية تمدينا وحضارةـ فى التمريض والتدبير والتربية والاشـارة فى المهـام والجلائل ــ وما لعبته فى ادوار الحياة من خدمـات لا ينساها التاريخ الامين ولا تغفلها صفحاته الذهبية ــ اذا لا عجب ان تعود لها تلك الطاقات لتجدد ما كان لها فى فجر التاريخ وبعده ــ من مكانة واعتبار ما دامـت شطرا فى الحياة لا بد من وجوده فى كـل مرحلـة من المراحل حسبما تقتضيه طبيعتها كامراة ــ لها شأنها الحتمي فى خلق قوة متكاملة .

ذلك ما يجعلنا اليوم نبارك « الحادها الجديد » مؤملين ان يتوج بسلاح خلقي لا يلبث يكون من فتياته نسوة الماضي المشرق ــ حيث يتمثل فى صفوفه ــ ام سلمة ــ هند زوج الرسول محمد عليـه السلام ، واسماء بنت الصديق وحتى ربيعة فى سبحاتها وتقواهاـ وما اليهن من نماذج شريفة سجلها التاريخ فى سجلـه الطاهر وبنى على كاهلهن جيل طاهر العنصر والارومة، والامل وطيد فى هذا الميلاد وعيده السعيد ــ أن يجد من الشباب متسعا فى الافق يبعث منه وعيا ويقظـة لتجديد نشاطه ، وتهيىء نفسه مرة اخرى للعمل فى جد على التنمية بكل ما تهـدف اليه ــ من وسائـل ومقاصــد .

وبعد فهنيئا لملكنا المفدى الحسن الثاني ايـده الله ــ بعيد ميلاده ، وبارك فى سمو ولي عهده وباقي الاسرة الشريفـة .

**الرباط : عبد الله الجراري**






كتب الينا الاستاذ محمد بلي الفوتي المشرف على الشؤون الاسلامية بلومي في جمهورية التوجو الكلمة التالية حول عالمية اللغة العربية ، وانها اللغة الوحيدة التي يستعملها المسلمون في صلواتهم ومناجاتهم وفي دعواتهم وابتهالاتهم ، ويسرنا ان يطلع قراؤنا على هذه الكلمة القيمة التي وصلتنا من لومي عاصمة التوجو ...

يبدو لزاما على المسلمين وغيرهم على السواء، والافارقة خاصة تعلم اللغة العربية وتبنيها لغة ثانية في المدارس العمومية والخصوصية معا للاسباب المذكورة الآتية :

1 — ان اللغة العربية من اعرق اللغات العالمية منبتا ، واعزها جانبا ، واقواها جلادة، وابلغها عبارة، واغزرها مادة، وادقها تصويرا لما يقع تحت الحس ، وتعبيرا عما يجول في النفس ، وذلك لمرونتها على الاشتقاق وسعة صدرها للتعريب ، وهي لغة شاعرية حساسة ذات منطق وفصاحة وبلاغة وءاداب .

فليس هناك معنى من المعاني ، ولا كلمة من الكلمات ، ولا فكرة من الافكار ، ولا عاطفة من العواطف ، ولا نظرية من النظريات ، تعجز اللغة العربية عن تصويرها بالاحرف والكلمات تصويرا صحيحا واضحا .

2 — لقد استطاعت اللغة العربية ان تقهر اليونانية في الشرق ، واللغات الشعبية التي كانت منتشرة في المغرب العربي ، وغلبت كذلك اللغة القبطية في مصر . كما وجدت مكانتها مرموقة بين اللغات العالمية .

3 — انها هي الصلة الوثيقة بين حضارات الماضي ، وحضارات اليوم ، وبذلك ادت خدمة جبارة للانسانية جمعاء .

4 — ان الكثير من مصطلحات الفنون الحديثة تستمد عناصرها من اللغة العربية ، مثل الجبر ، والاكسير ، والكحول ، وكذلك مصطلحات العلوم الطبيعية ، كالقطن والياسمين والزعفران

5 — وهي من اللغات الرئيسية في العالم اصبحت لغة حية قوية لامم وشعوب مختلفة متباينة في اجناسها وفي اصل نشأتها وطبيعتها .

6 — لقد اندثرت اخواتها السامية من ارامية ، وكلدانية ، وكنعانية ، وسريانية ، وعبرانية قديمة، واشورية وغيرها حين بقيت هي على رغم ما مر بها من عصور الركود ، وما زالت تحيى حياة طيبة ، وتتعملق وتتسع في جميع الآفاق وستظل كذلك — ان شاء الله تعالى — الى قيام الساعة .

7 — وهي معتبرة حاليا لغة هامة وعظيمة تدرس في جميع جامعات العالم .

8 — معظم اذاعات العالم تستعمل اللغة العربية في برامجها اليومية .

9 ـ الثقافة العربية تجعل الانسان ممثلا ممتازا لدى الدول العربية والاسلامية معا .

**وبالنسبة الى الافريقيين**

10 ـ ان العربية لغة افريقية واسيوية معا .

11 ـ وهي اكثر اللغات انتشارا فى افريقيا ، وينطق بها خمس سكان افريقيا .

12 ـ تتحدث بها سبع دول افريقية باعتبارها لغة رسمية وشعبية لها معا . وهي الجمهورية العربية المتحدة ، الجمهورية الليبية ، الجمهورية التونسية والجمهور الجزائرية ، والمملكة المغربية ، والجمهورية الاسلامية الموريطانية والجمهورية السودانية .

وهذه الدول تغطي مساحة 540 590 8 كيلومتر مربع ويسكنها اكثر من تسعين مليون نسمة .

13 ـ ان اللغة العربية هي الرباط الوحيد الذى يشد افريقيا بآسيا والتي تعتبر اكبر قارة فى العالم ولذا فهي جديرة بأن تعتبر اللغة الوحيدة التى توحد افريقيا بآسيا .

14 ـ تستعمل ثلاث لغات فقط فى مؤتمرات ( منظمة الوحدة الافريقية ) وهي اللغة العربية ـ اللغة الافريقية الوحيدة والانكليزية ، والفرنسية وهما لغتان استعماريتان .

15 ـ ان اللغة العربية جديرة بمنح الاحساس بالشخصية القومية فى البلاد الافريقية على العموم عوضا عن اللغات الاوربية التى هي من بقايا الامبريالية الاستعمارية .

16 ـ يرجع كل الفضل لمعرفتنا تاريخ افريقيا الى العربية .

**وبالنسبة الى المسلمين**

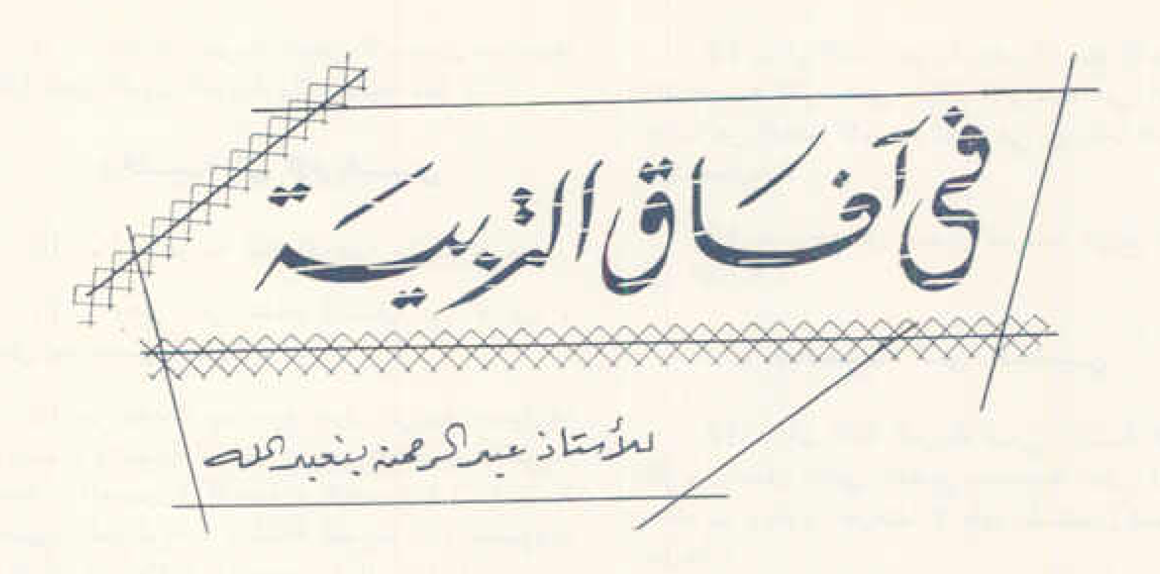
17 ـ ان اللغة العربية هي : لغة القرءان الكريم ولسان النبي العظيم ـ محمد صلى الله عليه وسلم ـ وبدون معرفتها لا يفهم المسلمون دينهم فهما سليما .

18 ـ ان المسلمين اليوم يشكلون ربع سكان العالم كله ، وثلثي مجموع سكان القارة الافريقية واكثرهم يستعملون العربية كلغة ثانية للتفاهم بينهم .

19 ـ واخيرا ، ان العربية هي اللغة الوحيدة التى يستعملها المسلمون فى صلواتهم ومناجاتهم

وفى دعواتهم وابتهالاتهم ، ولهذا تعتبر اللغة الاسلامية الوحيدة . والحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله الكريم .

**التوجو ـ الاستاذ محمد بلي الفوتي**




من الاخبار المثيرة التي تطالعنا بهـا الصحف في هذه الآونة شيوع الانحراف بكيفية متصاعدة في صفوف اليافعين مما حفز المسؤولين من آباء وأولياء ومعلمين وعلماء النفس والتربية للانقطاع الى هذه الظاهرة درسا وتحليلا ، واذا كانت هذه بوادر تكـاد تكـون طبيعية لدى الاطفال حين يبدأون خطواتهم الاولى في مدراج النمو ليبلغوا بعدهـا مبالـغ الرجال ، فلقد اتخذت في عصرنا الحاضر عموما وفي الايام الاخيرة بوجه خاص صبغـة تنذر بمضاعفات جد خطيرة قد تكون لها أوخم العواقب على سلوك ابنائنا وهم يكونون السواد الاعظم من سكان البلاد .

والذي يهمنا من هذه الدراسـة أن تجلو المسوغات النفسية والتربوية التي تحدو بابنائنا الى انتهاج طريق يشذ عن المواضعات الاجتماعية فلا يقيمون وزنا لقواعد المعاملات والاخلاق ولا يعبأون بالموانع والمحرمات مما تتفشى معه الفوضى ويعم الاضطراب ويغدو تماسك المجتمع معرضا لأخطر الهزات .

### تربيـة طفوليـة شـاذة :

من البديهيات المسلم بها ان البيئة التى ينشـأ فيها الوليد تخلف بلا جدال اعمق الاثر على سلـوك ومعالم شخصيته ، كما ان صلاته بابويه او من يحل محلهما من الاولياء والمربين ، والتربية التى يتلقاها فى هذا الوسـط ، كلها تطبع مزاجه وتحدد مواقفه.

والتربية التقليدية فى بلادنا ، الى جانب بعض محاسنها ، وهو شيء نادر موقوت ، قد أساءت الى الاجيال الماضية ومـا زالت لها ءاثـار على الجيـل الحاضر يتجلى فى السلوك المنحرف الذى يبلغ حد الاجرام فى بعض الاحيان .

فالتربية بنظر رجالات التربية فـن على الآبـاء والاولياء ان يمارسوه بما يجب من الدقة والتحـري والاتقان ، فلا خير فى تربية تقوم اساسا على القمع والكبت والحرمان ، ولا تحسب الحسـاب للمعطيات الاجتماعية والاستعدادات الفردية ، ومن هنا نـرى مسؤولية الآباء على صعيد المادة وصعيد الاخـلاق مجتمعين . واخطر ما كانت توسـم به التربية فى بلادنا الى عهد قريب اللجوء الموصول الى الضرب وممارسة انواع العقاب البدني بجميع اشكالـه، مـع الاخلال الظاهر بالغاية المتوخـاة منه فى المفهـوم الدينـي والاخلاقـي . فالقصـاص تقويم للنـفس وتهذيب للخلق وتطهير للروح واحياؤها جميعا بالالم يصهرها وبالحرمان يذكرها بالنعم المشكورة والخيرات غيـر المشكورة . وليـس المقصود من القصاص تنفيسا عن المقتص واشباعا لغريزة الانتقام . فقد اثبتت الشـواهد

التربوية ان كثيرا من الاطفال يصابون في نموهم الخلقي نتيجة ما يسقط عليهم من نوازع الانتقام والسادية وهو ما يسمى في اللغات الاجنبية Projection .

ويرى الدكتور فاخر عاقل (1) ان العقاب شكل من اشكال الجزاء وان لهذا الجزاء شكلا آخر هو الثواب . وهو يؤكد على شيئين اساسيين .

1 ) ان الذي يعاقب يجب ان يحسن الاثابة قبل ان يحسن العقاب اما ان يتقصى المربي اخطاء الطفل ويشتد في معاقبته عليها ويغمض عينيه عن حسناته فلا يثيبه عليها او ينوه بها ، فأمر قد يقبل من الشرطة على مضض ولكنه يستهجن من المربي ويستنكر .

2 ) ان شكلا ناجعا من اشكال العقاب هو الحرمان من الثواب ، وهذا الشكل تزكيه التربية الجيدة ويقره المربون المحدثون ويحث عليه علماء النفس . والامثلة متوافرة على الوان الحرمان العابر الذي يؤدي اغراض التربية ولا يسيء الى شخصية الطفل .

والحق ان العصا وسيلة تربوية خطرة ، مثلها في ذلك مثل السموم التي يضطر الطبيب احيانا اوصفها ولكنه يفكر قبل ان يفعل ، ويعمل ذهنه مليا في تعيين المقادير المناسبة والاصناف الملائمة .

وامثل الطرائق ، باعتبار الحس المرهف الذي يتمتع به الطفل تجاه العدالة ، ان يشرح المربي للطفل ذنبه وان يذكره بالقواعد التي طولب بالتزامها وان يبين له بواعث العقاب . فليس افضل ولا انجع من توعية الطفل باخطائه لحمله على الاقلاع عنها ، وهو المذهب الذي يقول به علم النفس في ميدان التربية وفي غيره من المجالات .

وغني عن الاشارة ان العقاب البدني اذا كان ديدن المربي ونصيب الطفل اليومي ، فانه يفقد اهميته من جهة ، وينحرف بنفس الطفل الى العنف والقسوة والجنوح وتحدي السلطة من جهة اخرى ذلك ان الطفل اما ان يستجيب لهذا اللون من العقاب بالانسحاب Retrait والاحتباس Inhibition والخضوع والاستسلام – وهو نادر – واما ان ينزع الى اثبات ذاته باعتماد الثورة والخروج على القانون والمواضعات .

ونحن لا نبالغ حين نتسبب الكثير من الادواء النفسية والانحرافات الشخصية والميول الشاذة والاصرار على التحدي وجرائم الاحداث وغير ذلك الى العقاب البدني عامة والضرب خاصة .

بيد ان النقيض يستدعي النقيض ، فاذا كانت السمة الغالبة على العهد الغابر سمة الانقياد والاذعان ، فلقد ضمرت سلطة الآباء مع بزوغ فجر الاستقلال، الى الحد الذي اصبح فيه الطفل سيد نفسه ، يخلط بين المباح والمحظور وينفرد لنفسه بحق تدبير شؤونه على حداثة سنه فتضاءلت تبعا لها الحدود بين نفوذ الاولياء وحريات الابناء . لقد سبقتنا الى هذه البادرة ولا جدال امم اخرى غيرنا حتى قال المرحوم احمد امين قولته المشهورة : « يا ناس ارحموا عزيز قوم ذل » ، فاننا قطعنا الشوط في وقت قصير ولما نأخذ نصيب كاف من المعرفة والوعي حتى لقد احتار اكثر الناس نضجا وذكاء في هذه الفوضى العارمة التي اجتاحت عالم القيم والاخلاق وتساءلوا على الحد الذي يجب ان يقفوا عنده في التاثير على سلوك ابنائهم وما يجب عليهم ان يمنحوهم اياه من حريات .

وضمور سلطة الآباء كالمغالاة في الكبت والحرمان، كلاهما يضر كثيرا بنمو الشخصية وتكاملها عند الطفل .

نحن لا نقصد طبعا بسلطة الآباء ممارسة النفوذ الذي كان لهم في العهود السابقة ، فنحن نعتقد ان التربية الحق نسيج متناغم من الموانع والحريات وتكافؤ بين المواقف التي تستوجب تدخل الآباء لكبح الجماح والتي يمنح فيها الطفل حرية العمل والاختيار .

لا سبيل الى انكار العوائق التي تعترض طريق الاسرة في تلقين تربية واعية وهادفة لابنائها ، ذلك ان تعدد المدارس وتعارضها احيانا من جهة وتكاليف الحياة العصرية ومستلزماتها كاشتغال الآباء وغيابهم عن البيت معظم الاوقات من جهة اخرى لا ييسران لهما توجيه ابنائهما على الصورة التي يرتضيانها

---

(1) راجع مجلة « العربي » نوفمبر 1960 صفحات 45 – 48

وخاصة فى سنوات الحياة الاولى التى يسميها علماء النفس والتربية بالطفولة الاولى او Prime enfance بيد ان التاثير فى سلوك الابناء بالرغم عن ذلك امر ميسور . ومن واجب الآباء ان يعوا جسامة الدور الذي يضطلعون به فى تربية ابنائهم واهمية الاسباب الكفيلة بضمان سلامة نموهم وتكيفهم الاجتماعي .

ولعل من اهم المعطيات التى يجهلها او يتجاهلها الآباء اغفال الاصالة التى تشغل حيزا وافرا فى حياة الاطفال . وفى اعتقادنا ان هذا الموقف يتكشف عن مصدر هام من مصادر الفشل والثورة وانعدام التفاهم .

وغني عن البيان ان الكبار ينظرون فى الاغلب الاعم الى الاطفال بمنظار الراشد الذى تخطى مراحل النمو الاولى وغدا كائنا يتسنم ذروة النضج والاكتمال . واذا كنا نذكر بعضا من الذكريات الماضية من احداث طفولتنا فان للتحليل النفسي مزية الكشف عن الستار السميك الذي يباعد بيننا وبين الذكريات القابعة فى اعماق ماضينا. فالواقع اننا نتشوف الى المستقبل ونجهد النفس فى استكشاف دقائقه ولا نستعيد الا نادرا اجواء الطفولة واحداثها . ومن ثم فاننا ننسى ان الطفل كثيرا ما يخلط بين الواقع العملي وبين عالمه الخاص وان الحدود تكاد تنمحي لديه بين الحقيقة والخيال ، فالطفل يعتقد انه مركز الكون ، وهو لذلك ينظر الى الآخرين من خلال حاجاته ورغائبه (2) وبديهي ان الذي لا يميز بين الموضوعية والذاتية يصنع لنفسه عالما خاصا يستجيب لاحلامه ويسد حاجياته . واقرب الى المنطق فى نظرنا ان نعامل الطفل بوصفه كائنا صغيرا متكاملا له قواعده التى يسير عليها والتى لا يتاتى استكناهها الا عن طريق الحب .

فالاصالة فى طبع الطفل وشخصيته تتبدى للباحث البصير فى تباين الامزجة وضرورة تطويع المناهج التربوية لهذه الامزجة التى تتارجح بين الانطواء والانبساط وغير خاف ان التربية التى لا تتلاءم وشخصية الطفل ولا تعينه على استكمال مقومات وجوده تؤدي غالبا الى التمرد والثورة والخروج على القانون والاستخفاف بالقيم والمواضعات . ومن العبث ان يحاول الآباء تعميم طرائقهم التربوية على جميع اطفالهم ، ففى ذلك من الاجحاف ما قد يسيء كثيرا الى نمو الناشئة .

ويجدر التاكيد هنا على ضرورة التحلي بالنظر الثابت والفكر المستنير ، فما كان ضروريا لتنشئة احدهم قد يتحتم تلافيه فى تربية الآخر ، وخليق بالآباء والمربين ان يفرقوا بين التربية التى يجب ان تقوم على الشدة والصرامة لانها كفيلة وحدها بتقويم سلوك طفل بعينه وبين التربية التى يجب ان تنبني على اللطف والتكيف المتواصل لان الطفل مرهف الاحساس فى الشعور بالواجب ميال الى العزة مفرط فى اجترار الاحداث لتى يعيشها وخاصة منها ما يدخل فى عداد الصدمات الوجدانية والعاطفية عموما .

فمن واجب الآباء ايضا ان يتعرفوا على انماط الشخصيات كما عكف على جلائها نفر من المربين وعلماء النفس ، ولعل ابرزهم «بيني» Binet احد واضعي الاختبار الذى اشتهر باختبار بيني ـ سيمون Binet-Simon وقد كتب بيني قائلا : ان بعض الاشخاص يتجهون الى العالم الخارجي فيما ينزوي البعض الآخر فى عالمه الشخصي»، وهو تصنيف يقوم على مشاهدات واقعية ، فنحن نجده ايضا فى كتابات كروس Gross ولدى علماء الطبائع وكذا عند يونج فى تقسيمه الناس الى منطوين ومنبسطين ، ونحن نطرح على الآباء هذا السؤال الذى تمليه علينا ملاحظاتنا حول التربية التى يتلقاها اطفالنا اليوم : كيف يتاتى لنا ان نسير على وتيرة واحدة فى تنشئة اطفالنا وهم يتعارضون بين منبسط يحتاج الى المراقبة الموصولة لانصرافه بجميع جوارحه الى العالم الخارجي وبين منطو لا يبارح عالمه الخاص الا ليعود اليه ، فهو يحتاج الى التعود على صخب الحياة وحركة الناس فى غير عنف ولا عجلة ؟

2) تدعى هذه الحالة بمركزية الذات ، وهي ظاهرة طبيعية عند الطفل ولا تصبح سمة شاذة الا متى لازمته بعد بلوغه سن الثامنة فاكثر .

هذا الى ان العمل التربوي لا يأتي بنتائجه المنشودة ما لم يعزز بمناخ تربوي سليم. فمن الواضح ان الطفل كثيرا ما يتلقى مبادىء التربية بصورة عفوية اي باحتكاكه اليومي المباشر بآبائه او من يقوم مقامهما من الاولياء او المربين ، وغير خاف ان المناخ الذي يعيشه الطفل فى البيت ان كان يتميز بالاعتدال والاتزان جاءت التربية مكتملة ناجعة لا تحتاج الى الاسهاب فى الشرح او الغلو فى العقوبات كما ان تعابير الوجه حين تعكس الغضب او العقاب عند الآباء كافية وحدها للحيلولة مستقبلا بين الابناء وما اقترفوه من ذنوب ومخالفات .

ونجاح التربية رهين ولا جدال بالقدوة الحسنة، والمبادىء التربوية التى لا يعتمدها الآباء فى سلوكهم مع الغير ولا يجسمونها لابنائهم فى تصرفاتهم اليومية مصيرها الفشل والاخفاق .

وما دمنا بصدد البحث فى الشذوذ الذى يصاب به سلوك الناشئة فى سنوات المراهقة وءاثاره المبكرة على طبع الاطفال ، فلا بأس من ان نعرض لظواهر العدوان ومبرراته ، ونشير الى ان احساس الاطفال بالانفعالات اعمق واعظم حيوية من احساس من يكبرهم من الاطفال والراشدين فاغلب الاطفال بين السنتين الثانية والرابعة من العمر ، يشعرون بالهياج واللذة والخوف والغضب على نحو اعمق من شعورهم بهذه الانفعالات فى اي وقت ءاخر ، وليس من الغريب ان ينشأ لدى الاطفال فى هذه السن مشاعر عدوانية عنيفة عندما ننكر عليهم رغبتهم فى مطاوعة اهوائهم الخاصة فالغضب والغيظ يظهران خاصة لدى الاطفال اذا احسوا اننا تدخلنا فى حرية التصرف لديهم (3) .

ومن الطريف ان نلاحظ ان المخيلة تلعب دورا خطيرا عند الصغار ، فهي غالبا ما تبدو تحت تأثير التربية « والضمير » في اساليب مقنعة تجد لها متنفسا عندما يخلو الطفل الى نفسه، فيعرب عن مشاعره العدائية فيما يقوم به من العاب وما يكونه من مواقف .

والطفل فى هذه الحالة يتوقع دوما استياء الكبار ، وهذا الموقف استجابة لمشاعر الغضب التى راودته ، وليست ناتجة عن ارتكابه ذنبا فعليا .

ونتيجة ذلك ان الطفل قد يشعر انه مذنب ارتكب عدوانا ، فى حين ان ذلك العدوان لم يوجد الا فى ذهنه ، ولم يتخذ سبيله الى سلوك فعلي .

وقد يتارجح العدوان لدى الطفل بين العدوان المخبوء ( حين يصبح الطفل موضع الاهمال واللا مبالاة ) والعدوان المحول ( عندما تشتد وطأة الكبار وتعسفهم ) والعدوان التخييلي ( الذي يغدو مصدرا لمخاوف شديدة ) ، الا ان المشاعر العدوانية تقترن دائما بانفعالات اخرى . ذلك ان لكل طفل خصاله وخبراته الخاصة ، ومن هنا فان الاطفال يختلفون فيما بينهم من حيث الصورة التى تتخذها لديهم المشاعر العدوانية مع غيرها من الاحاسيس ، كما يختلفون من حيث شدة هذه المشاعر او تلك . وهذه الملاحظات رغم طابع الايجاز الذى يسمها، تدلنا على مسؤولية الآباء فى حسن تقييمها ، للحد من ءاثارها فى طفولة الصغار وعند بلوغهم مبالغ الرشد والاكتمال.

وتعد الالعاب الرياضية والمباريات من امثل الوسائل لتصريف المشاعر العدوانية المتوترة . والمباريات الجماعية تولد صراعا محتدما بين الاهتمامات التى تباعد بين فريق وءاخر ، وكلما صغرت سن الاطفال عظم شعورهم بان السبيل الى الكسب هو محاربة الخصم . ومن افضل هذه الطرائق انهم ، وهم يمارسون هذا النشاط ، يخامرهم شعور قوي بأنهم يؤدون واجبا ساميا فى حدود « القواعد » التى تفرضها المباراة .

وما دمنا بسبيل البحث في التعبير عن العدوانية في حدودها المنطقية البناءة ، فان طاعة القواعد فى ممارستها تحل للطفل ان يكون عدوانيا فى غير « تدمير » ، لان القواعد من شانها ان تحمي كل لاعب من اي عدوان عنيف منطلق . وبكلمة ، فانها تبيح لهم الغلبة مع مراعاة شروط العدل والانصاف .

وتصريف العدوانية بصورة سليمة يستلزم تنمية الضمير الجمعي عند الاطفال ، اذ الملاحظ ان الاطفال فى سن السادسة او السابعة قلما يشتركون فى مباراة من المباريات طبقا للقواعد الا فى حضرة شخص كبير يقوم بدور الحكم . فالتزام القواعد يتطلب « ضميرا جمعيا » ينمو تدريجيا عندما يبدأ الاطفال يفطنون الى وجود معايير للسلوك .

3) عدوان الاطفال ، تاليف سيبيل سكالونا ترجمة الدكتور عبد المنعم المليجي

هناك ظاهرة اخرى من مظاهر تصريف الطاقات العدوانية تتبدى فى مواظبة الاطفال بين السادسة والحادية عشرة على مطالعة المجلات الفكاهية ، هذا الى ولعهم بالافلام السينمائية والتليفزيونية . واذا كان الآباء لا يخفون قلقهم من ءاثار هذه المشاهدات لانها تعتمد العنف اساسا فيما تقدمه للقراء والنظارة الصغار ، فلا ينبغي ان يعزب عن الاذهان ان انتصار الخير على الشر عن طريق العنف واراقة الدماء موضوع مفضل لدى الاطفال الصغار ، وقد استحوذ على اهتمامهم قبل ظهور التلفزيون والافلام والمجلات الفكاهية بوقت طويل . ومن محاسن هذه المصادر ايضا انها تساعد على تصريف النوازع العدوانية بما تهيئه من فرص الاشتراك الخيالي فى معركة دامية يعقد لواء النصر فيها دوما لجانبهم ـ الذى هو جانب الحق فى الوقت ذاته ـ والواقع ان هذا الصراع الذى تعكسه السينما وشاشة التلفزيون يتيح للاطفال فى سن المدرسة فرصة اشباع دوافعهم العدوانية على نحو لا يترتب عليه أي اذى أو خطر (4)

ان الاتجاهات التعصبية تبلغ حدا من الشيوع لدى الاطفال بين السابعة والحادية عشرة حتى ليمكن اعتبارها جزءا لا يتجزا من النمو السوي للاطفال . ولكن بوسع الآباء والمعلمين ان يساعدوا اطفالهم على التغلب على هذه الاتجاهات بتلقينهم وسائل اسلم يواجهون بها مشاعرهم العدوانية .

ونحن لا يخامرنا ادنى شك فى ان اسلم الطرائق وانبلها لمساعدة الطفل على تصريف نوازعه العدائية صرف عنايته واجتذابه الى عالم الجمال وتحبيبه اليه . فالمدارس على تعدد اتجاهاتها تختص هذا الجانب بقسط وافر من اهتمامها .. وقد عنيت المؤسسات التربوية فى الاتحاد السوفياتي مثلا باخلال الفن مكانه المرموق من بين المناهج الدراسية فى الفصول المدرسية الاولى اذ يتعود الاطفال فيها تذوق الجمال من خلال الالعاب والاقاصيص والاناشيد والرسوم التى تزخر بها الكتب ومسارح الكراكيز . وكلما تقدم التلاميذ فى مدارج التحصيل ، اتسعت امامهم ءافاق التربية الفنية وغدا بوسعهم الاطلاع على بعض الاعمال الموسيقية والادبية والتعرف على منجزات الفنانين فى مجالات النحت والتصوير الزيتي والاسهام فى المناقشات واللقاءات التى يعقدها كبار الكتاب والفنانين ، والتربية الجمالية بهذا الوصف تستهدف نمو الناشئة بصورة قويمة وتكوين اذواقها وصقل مواهبها وتشجيع امكانياتها على نحو يضمن تحقيق مطامحها فى مستقبل اسعد .

تقول الاستاذة بولوزوفا Polozova ان ءاراءنا فى هذا الميدان تتعارض احيانا ولا جدال ، بيد ان تبادل وجهات النظر بكيفية جدية حول المشاكل الخاصة بالتربية الفنية لدى الصغار ذات نفع عميم . وترى السيدة الاصفهاني ـ وهي باكستانية الاصل ـ : ان المبررات الجوهرية التى تدعو الى الاجرام لدى الاحداث كامنة فى الخصائص النفسية الفيسيولوجية التى يتسم بها نموهم وان الاسباب الجنسية المسوغة للاجرام اكثر شيوعا من غيرها . وهي تعتقد ان مصدر الشر لا ينبع من ظروف العيش ولا من المؤثرات السيئة التى يخلقها الادب والفن حين يستقيان وجودهما من مادة وضيعة ، بل انه يكمن فى «الانا» الداخلي للانسان .

على ان العمل التربوي يجب ان يتخذ فى نظرنا وجهة مختلفة . وخليق بنا ونحن نعد الاجيال اللاحقة لعالم تسوده النزعة الانسانية وتنمحي فيه الاقليميات الضيقة المتحجرة ان نوجه فى المراهقين واليافعين نزوات النزق والطيش والاندفاع الى حب الجمال وتذوقه وان نشحذ فيهم قريحة البحث والتنقيب عن كتاب شائق او فلم مثير او لوحة زيتية توحي فيها الظلال والاضواء بابلغ المعاني والافكار .

ان التربية الجمالية تعني ان نعمل بصورة منهجية على بذر روح الجمال لدى المراهقين واليافعين واستكناه مباهجه فى مختلف مجالات الحياة وابتداعها على نطاق واسع . والمربون المحدثون يعتبرون ذلك مبدا لا يستغنى عنه فى كل تعليم علمي او تربية طفولية لا تستثني احدا مهما تباينت الامزجة وتباعدت الطبقات الاجتماعية

ـ يتبع ـ

**الرباط ـ عبد الرحمن بنعبد الله**

(4) المصدر السابق .




للاستاذ عدنان الداعوق

عرفت الفقيد الاديب الكبير « نظير زيتون» عام 1952، على صفحات جريدة (الهدى) الحمصية ، وكان يومها ما يزال يوقع اسمه « نزيل حمص » ولم يكن الفقيد قد امضى فترة فى الوطن ، فقد كانت عودته عام 1950 بعد هجرة طويلة امضاها فى الكفاح والنضال والمشقة والاجتهاد فى « سان باولو » ، باحثا اول الامر عن الحلم الذهبي ، ناشدا المستقبل الزاهر فى العالم الجديد ، محاولا ان يقتفي خطوات من سبقوه من المغتربين السوريين واللبنانيين ، راميا نفسه فى بحر التجارة الواسع الضخم .

لكن الاحلام الذهبية تبددت عند « نظير الزيتون » : الشاب المتحمس المندفع للعمل والثروة والثراء .. فما لقيت التجارة فيه رجلها ، ولا استطاعت نفسه ان تجني ما حققه غيره فى هذا المضمار .

فما لبث ان ترك التجارة وعالمها ، وعمل كاتبا فى محل تجاري استطا عمعه ان يتفرغ لدراسة الادب وعلوم اللغة والنحو والمطالعة فى اللغتين البرتغالية ( لغة اهل البلاد ) والاسبانية .

وكان « نظير زيتون » مهتما بالمطالعة والكتابة منذ حداثته وقبل ان يهاجر الى البرازيل ، ولم يكن اهتمامه هذا اهتماما عابرا ، بل كان يجلس الساعات الطويلة مستأنسا الى الكتاب ، متخذا منه الرفيق الوحيد دون باقي الرفاق .

وحين تمكن قليلا من القراءة والكتابة انصرف الى المدرسة ، فاذا هو هناك يتلقى العلم والادب والمعرفة على يد الاستاذ الكبير « يوسف شاهين » ، الذي تثقف عليه كبار ادباء المهجر الحمصيين امثال : ( نسيب عريضة – وندرة حداد – وعبد المسيح حداد – وميشيل مغربي – ونصر سمعان – وغيرهم )

وما ان ملك الفتى اليافع « نظير زيتون » ناصية القلم حتى بدا ينشر بعض المقالات فى كل من جريدتي ( حمص ) و ( صدى حمص ) ، وفى مجلة ( الاخاء ) الحموية لصاحبها « جبران مسوح » – نزيل الارجنتين الآن .

وانتقل «نظير زيتون» بعدها الى المدرسة الانجيلية الوطنية ، فتلقى على يد استاذ الجيل «حنا خباز» الانكليزية والفرنسية والتركية .

وعلى الرغم من حداثة سنه ، فقد كان يختاره مدير المدرسة ليلقي الخطب فى الحفلات والندوات والمناسبات الاجتماعية وسواها .

لذلك عندما اخفق فى التجارة فى المهجر البرازيلي لم ييأس من هذا الاخفاق ، لتأكده انه لم يخلق للتجارة بقدر ما خلق للقلم .

فاخذ ينشر ، بعيد وصوله الى « سان باولو »، بعض المقالات الوطنية والاجتماعية والوجدانية فى الصحف والمجلات المهجرية .. حتى اذا كان عام 1926 ، لفت انتباه المفكرين والقراء ، فدعاه العالم اللغوي الكبير « رشيد عطية » ليسند اليه رئاسة تحرير جريدة ( فتى لبنان ) التى اتخذها ادباء وشعراء المهجر منبرا لهم ولافكارهم وءارائهم .

وكان عام 1926 ، عام التحول الكامل بالنسبة لنظير زيتون ، اذ وجد الطريق امامه مفتوحة الى عالم الصحافة والادب .

واقام على رئاسة تحرير (فتى لبنان) حتى عام 1942 ، وتولى عن طريق تحرير في هذه الجريدة توجيه الجالية العربية هناك توجيها قوميا واجتماعيا واسعا .

وفي عام 1932 ، تأسست (العصبة الاندلسية) وهي رابطة ثقافية ادبية ترأسها « ميشال معلوف » وانضوى تحت لوائها اكابر ادباء العربية في البرازيل امثال : ( شفيق معلوف — والشاعر القروي — والياس فرحات — وحبيب مسعود — وجورج حسون — وشكر الله الجر — وعقل الجر — وغيرهم . ) وكان « نظير زيتون » من جملة مؤسسيها ، وكان ينتخب تارة خطيبا للعصبة وطورا امينها العام .. واشترك في تحرير مجلة ( العصبة ) بمقالاته وابحاثه ودراساته ونقده .

وكانت ( العصبة ) معهدا ادبيا حرا تدور فيه المناظرات والمناقشات والمحاورات ويتبارى فيها المفكرون في الدفاع عن ءارائهم الفكرية ونظرياتهم كانهم في مجامع علمية . فاعادت العصبة ، للاذهان ذكرى ( الجامعة ) لـ : « فرح انطون » و ( الفنون ) لـ : « نسيب عريضة — وميخائيل نعيمة » .

واذا الفتى المهاجر يمسي — بعد فترة من الزمن — المشعل المنير والحركة الدائبة ، والدعاية لكل خطب ومسؤولية .

ولنظير زيتون مؤلفات عديدة بين مترجم وموضوع ، المترجم منها : ( رواية النبي الابيض ومركيزة سانطوس ، وارلندا الحرة ، وفلسطين العربية ، واعترافات ابن الشعب . ) اما الموضوع فهي رواية ذنوب الآباء ، ورسالة استقلال البرازيل، وهي اطروحة تاريخية ، وسقوط الامبراطورية الروسية ، والشعلة - مجموعة خطبه ، وهيرودوس الكبير : دراسة لعصر المسيح ، وروسيا في موكب التاريخ ، وغيرها . )

ان نظرة واحدة لما خلف « نظير زيتون » من ءاثار عظيمة لا بد ان تستلفت الانتباه والدراسة الجادة المتانية ، شاب لم ينل من العلم الا قسطا ضئيلا يهاجر الى بلاد غريبة نائية ، لا يتكلم اهلها العربية ، يغدو هناك بعد فترة من الزمن القنديل العربي المضيء يبعث نوره وافكاره عبر القارات ، فاذا هو اديب يملك الاسلوب الفريد والمنهج الخاص ، والقلم المميز .. ذلك كله ليس الا صورة من صور العبقرية الخالدة .

ويستبد الحنين بالمهجر الشاب ، وتتوق نفسه الى ( حمص ) وعاصيها وميماسها ، والى ازقتها العتيقة الضيقة ، والى ترابها الاحمر كالمرجان ، والى حجارتها السود .. ويتعاظم الشوق في اعماقه يوما بعد يوم ولا يملك نفسه من العودة .. فيعود الى ( حمص ) عام 1950 ليمضي فيها بعض الوقت ، لكن الحنين يتشبث بنظير زيتون ، فيرجيء العودة والرحيل يوما بعد يوم ، وشهرا اثر شهر ، وسنة في اعقاب سنة .. حتى ينسى العودة الى المهجر بين قلب موزع هنا وروح تهفو الى رفاق المودة والاغتراب هناك .

ويلقى « نظير زيتون » بعيد عودته من المهجر بعض الاكرام والتقدير الذي ينسيه احيانا لهفة الرجوع .. فتقدر له الحكومة السورية خدماته الوطنية في المهجر ، فتمنحه وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الاولى عام 1950 ، كما تعترف له الحكومة اللبنانية بدفاعه — في المهجر — عن استقلال لبنان ، فتهدي اليه وسام الارز من درجة فارس ، وتقدر له كذلك علمه وادبه فتمنحه وسام المعارف المذهب من الدرجة الاولى، هذا عدا عن اوسمة اخرى نالها من هيئات علمية ودينية مختلفة .

وانتهت رحلة « نظير زيتون » الشاقة الطويلة ، وهو اسعد حظا من رفيقه الحمصي المغترب الشاعر «نسيب عريضة » الذي بكى الغربة والعودة والحنين فقال :

يا دهر قد طال البعاد عن الوطن
هل عودة ترجى وقد فات الظعن

عد بي الى حمص ولو حشو الكفن
واهتف اتيت بعاثر مردود

واجعل ضريحي من حجار سود

فضمت ( حمص ) — ام الحجار السود — جسد « نظير زيتون » ، المغترب المقيم يوم 22 تموز — يوليو عام 1967، ففقد به المجمع العلمي بدمشق عضوا بارزا يشار اليه بالبنان ، وفقد به مجمع اللغة العربية بالقاهرة ركنا شامخ البنيان ، وفقد به المجلس الاعلى لرعاية الآداب والعلوم الاجتماعية قطبا حديثة على كل لسان ، وفقدت به الامة العربية كاتبا وناقدا وعلما من اعلامها الخالدة .

**سوريا — عدنان الداعوق**




- 2 -

### منشآته الحربية والدينية والعمرانية :

وذلك عظيم كثير ، من ذلك انه بنى اسوار مدينة الشام جميعها وقلاعها ، التى منها دمشق وحمص وحماه وحلب ، وقام بتحصينها ، واحكم بناءها ، وانفق عليها من الاموال ما لا تسمح به النفوس ، وبنى ايضا المدارس بهذه البلاد وغيرها للشافعية والحنفية والمالكية ، فكنت تخال من قبل عهده ان بلاد الاسلام كانت خالية من العلم واهله ، اما فى زمنه فقد اضحت مقرا للعلماء والفقهاء والصوفية . وبنى الجوامع فى غالب البلاد ، فجامعه فى الموصل منتهى الحسن والاتقان ، وكان قد فوض امر عمارته والوقف عليه الى الشيخ عمر الملا ــ رحمه الله تعالى ــ وكان من الصالحين . فقيل له : انه لا يصلح لمثل هذا العمل ، فقال : اذا وليت العمل بعض الاجناد او بعض العمال اعلم انه يظلم فى بعض الاوقات ، ولا يفي الجامع بظلم رجل مسلم ، واذا وليت هذا الشيخ غلب على ظني انه لا يظلم احدا ، فاذا ظلم كان الاثم عليه لا علي . وانما سمي هذا الشيخ بالملا لانه كان يملأ تنانير الآجر ، ويأخذ الاجرة يتقوت بها ، وكان ما عليه من الثياب مثل القميص والعمامة يملكه لغيره ، فلا يملك هو من الدنيا شيئا. وكان عالما بفنون العلوم ، يزوره الملوك والعلماء والاعيان ، ويتبركون به ، ويؤثر عنه احتفاله كل عام بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويحضر دعوته صاحب الموصل والاكابر ، فكان نور الدين يحبه ويكاتبه . وكان الجامع النوري خربة واسعة ، ما شرع احد فى عمارتها الا وقصر عمره ، فاشار الشيخ عمر هذا على السلطان نور الدين بعمارتها جامعا ، فاشتراها، وانفق عليها اموالا كثيرة يقال : كانت ستين الف دينار ، ويقال : ثلاثمائة الف دينار، فتم فى ثلاث سنين ، ولما تم جاء نور الدين الى الموصل ــ وهي المرة الاخيرة ــ فصلى فيه ، ووقف عليه قرية بالموصل ، ورتب فيه خطيبا ومؤذنين ، وفرشه بالحصر والبسط وغيرها . ثم دخل الشيخ عمر على نور الدين وهو جالس على دجلة ، فترك بين يديه دساتير الوقف على الجامع ، وقال يامولانا: اشتهي ان تنظر فيها ، فقال له : يا شيخ نحن عملنا هذا لله تعالى ، دع الحساب الى يوم الحساب ، ثم رمى بالدساتير فى دجلة .

كذلك بنى السلطان جامع حماه على نهر العاصي، وهو من احسن المساجد واجملها ، كما انشأ البيمارستانات فى انحاء البلاد ، ومن اعظمها البيمارستان الذى بناه بدمشق ، ذو الاوقاف العظيمة ، كما بنى ايضا مدرسته ، ودار الحديث بنفس المدينة ، ووقف عليهما ايضا الحبوس الواسعة.

قال الشيخ عماد الدين ابن كثير ، ونقله عنه ابن الاثير : ومن شروط البيمارستان انه خاص بالفقراء والمساكين ، واذا لم توجد بعض الادوية التى يعز وجودها الا فيه فلا يمنع منه الاغنياء ، ومن جاء اليه فلا يمتنع من شرابه ، ولهذا جاء اليه نور الدين،

وشرب من شرابه . قال : ويقول بعض الناس : ان هذا البيمارستان لم تخمد منه النار منذ بني الى زماننا هذا ، ولم تخمد الا في فتنة تيمور لنك ، وحكى الشيخ الجزري في تذييله على المرءاة ان نور الدين لما حضر الى البيمارستان احضر له قدح شراب ، فشربه ، وقال : هذا حلال على جميع المسلمين ، وعلى مثلي وعلى اقل العالم، وحرام على اليهود والنصارى ، وعلى غلام وجارية تحت الرق ، فلا يدخله الا من هو معتوق .

قال وبنى ايضا الابراج على الطرق بين المسلمين والفرنج ، وجعل فيها من يحفظها ومعهم الحمام الهوادي ، فاذا راوا من العدو احدا ارسلوا الطير ، فاخذ الناس حذرهم وتجهزوا لهم ، فلم يبلغ العدو منهم غرضا . وكان هذا من الطف الفكر ، واكثره نفعا .

قال : وبنى الربط والخانقاهات في جميع البلاد للصوفية ، واوقف عليها الاوقاف الكثيرة ، وادر عليهم الادارات الصالحة ، وكان يحضر مشايخهم عنده ، ويقربهم ويدنيهم، ويباسطهم ، ويتواضع لهم . واذا اقبل اليه احدهم يقوم له منذ تقع عينه عليه ، ويعتنقه ، ويجلسه معه على سجادته ، ويقبل عليه بحديثه . وكذلك كان يفعل ايضا بالعلماء ، من التعظيم والتوقير والاحترام ، ويجمعهم عند البحث والنظر ، وكانوا يقصدونه من البلاد الشاسعة من خراسان وغيرها . وكان اذا نقل عن انسان منهم عيب يقول : ومن المعصوم ؟ انما الكامل من تعد ذنوبه .

وبنى دار الحديث بدمشق ، وهو اول من بنى دارا للحديث فيما علمنا ، وبنى مكاتب الايتام في كثير من البلاد ، واجرى عليهم وعلى معلميهم الخيرات الوافرة ، وبنى ايضا المساجد الكثيرة ، ووقف عليها وعلى من يقرا بها القرءان . قال : وهذا فعل لم يسبق اليه ، وبلغني من عارف باعمال الشام ان اوقاف نور الدين في وقتنا هذا — وهو سنة ثمان وستمائة — في ابواب البر كل شهر تسعة ءالاف دينار صورية ، ليس فيها ملك فيه كلام ، بل حق ثابت بالشرع باطنا وظاهرا .

وفي سنة تسع وستين وخمسمائة — وهي السنة التي توفي فيها نور الدين — اكثر فيها من الاوقاف والصدقات ، وعمارة المساجد المهجورة . وكانت عادته في الصدقة ان يحضر جماعة من اماثل البلد في كل محلة ، ويسال عمن يعرفونه في جوارهم من اهل الحاجة ، ثم يصرف اليهم على قدر حاجاتهم . قال : ولو اشتغلت بذكر وقوفه وصدقاته في كل بلد لطال الكتاب ، ولم يبلغ الى امد ، ومشاهدة ابنيته دالة على خلوص نيته ، تغني عن خبرها بالعيان ، وتكفي اسوار البلدان والربط والمدارس على اختلاف المذهب ، واختلاف المواهب ، وفي شرح طوله طول ، وعمله لله ذلك مبرور مقبول.

لقد كان رحمه الله فردا في زمانه من بين سائر الملوك، ولو لم يكن الا استماعه للموعظة وانقياده لها — وان اشتملت على الفاظ قد اغلظ فيها لكفى.

وحكى شرف الدين بن المستوفي في تاريخ اربل ان الواعظ ابا عثمان بن ابي محمد البحتري الواسطي انشا في نور الدين قصيدة ، وانشده اياها من لفظه ، وهي :

مثل وقوفك ايها المغرور
يوم القيامة والسماء تمور

ان قيل نور الدين رحت مسلما
فاحذر بان تدعى ومالك نور

انهيت عن شرب الخمور وانت من
كاس المظالم طافح مخمور

عطلت كاسات المدام تعففا
وعليك كاسات الكوس تدور

ماذا تقول اذا نقلت الى البلى
فردا وجاءك منكر ونكير ؟

ماذا تقول اذا وقفت بموقف
فردا ذليلا والحساب عسير ؟

وتعلقت فيك الخصوم وانت في
يوم الحساب مسحب مجرور

وتفرقت عنك الجنود وانت في
ضيق اللحود موسد مقبور

ووددت انك ما وليت ولاية
يوما ، ولا قال الانام امير

وبقيت بعد العز رهن حفيرة
في عالم الموتى وانت حقير

وحشرت عريانا حزينا باكيا
قلقا وما لك في الانام مجير

ارضيت ان تحيا وقلبك دارس
عاف خراب وجسمك المعمور ؟

ارضيت ان يحظى سواك بقربه
ابدا وانت مبعد مهجور ؟

مهد لنفسك حجة تنجو بها
يوم المعاد ويوم تبدو العور

تدعى بنور الدين فاحذر فى غد
تدعى ظلام الدين ما لك نور !!

ويقال : ان هذه الابيات كانت من اقوى الاسباب المحركة للقضاء على المظالم فى الدولة ، والخلاص من كافة المآثم ومظانها . وكان هذا الواعظ من كبار الصالحين ، ليس له شيء، ولا يقبل من احد شيئا ، انما كانت له جبة يلبسها اذا خرج الى مجلس وعظه ، وكان يجتمع فى مجلسه الالوف من الناس .

### زهده وتقواه وعلمه :

قال ابن الاثير : فان قال قائل : كيف يوصف بالزهد من له الممالك الفسيحة ، وتجبى اليه الاموال الكثيرة ) فليذكر نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام مع ملكه ، وهو سيد الزاهدين فى زمانه ، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم قد حكم على حضرموت واليمن والحجاز، وجميع جزيرة العرب من حدود الشام الى العراق ، وهو على الحقيقة سيد الزاهدين على الاطلاق . قال : وانما الزهد خلو القلب من محبة الدنيا ، لا خلو اليد منها . وكان نور الدين — رحمه الله تعالى — مع سعة ملكه ، وكثرة ذخائر بلاده واموالها لا يأكل ، ولا يلبس ، ولا يتصرف فيما لا يخصه الا من ملك اشتراه من سهمه من الغنائم . وكان يحضر الفقهاء ، ويستفتيهم فيما يحل له من تناول الاموال المرصدة لمصالح المسلمين ، فياخذ ما يفتوه بحله ، ولم يتعده الى غيره البتة . ويقال : ان نفقته كانت من الجزية فى كل شهر الف قرطاس، يصرفها فى كسوته وملبوسه وماكوله ، حتى اجرة خياطه ، ويستفضل منها ما يتصدق به فى اخر الشهر . ويقال : ان قيمة القراطيس مائة وخمسون درهما ، وما كان يصل اليه من هدايا الملوك وغيرهم يبعثه الى القاضي ليبيعه، ويعمر به المساجد المهجورة، ويشترى لها اوقافا ، ولا يتناول منها شيئا ، ولم يلبس قط ما حرمه الشرع من حرير او ذهب او فضة، ومنع من شرب الخمر وبيعها فى جميع بلاده ، ومن ادخالها الى بلد ما ، وكان يحد شاربها الحد الشرعي، كل الناس عنده فيه سواء ، وكان كثير الصيام ، وله اوراد فى الليل والنهار ، وكان يقدم اشغال المسلمين عليها ، ثم يتمم اوراده .

اخبرت عنه زوجته الخاتون بنت معين الدين : انه كان اذا جاء اليها يجلس فى المكان المختص به ، فتقوم فى خدمته ، ولا تتقدم اليه الا فى اخذ ثيابه عنه ، ثم تنعزل الى المكان المختص بها ، وينفرد هو ، تارة يطالع رقاع اصحاب الاشغال ، او ينظر فى كتاب اتاه فيجيب عنه . وكان يصلي فيطيل الصلاة ، وله اوراد فى النهار . فاذا جاء الليل وصلى العشاء نام ، ثم استيقظ نصف الليل ، فيتوضا ، ويصلى الى الفجر ، ثم يصلي الصبح ، ويظهر للركوب ، ويشتغل بمهمات الدولة .

وارسلت اليه الخاتون يوما اخاها من الرضاع ، تذكر له انه لم يكفها ما كان قرره لها ، وتطلب منه زيادة . فلما قال ذلك تنكر ، واحمر وجهه، ثم قال : من اين اعطيها ما يكفيها ؟ والله لا اخوض نار جهنم فى هواها ، ان كانت تظن ان الذى بيدي من الاموال هي لي فبئس الظن . انما هي اموال المسلمين مرصدة لمصالحهم ، وانا خازنهم عليها ، فلا اخونهم فيها . ثم قال : لي بمدينة حمص ثلاث دكاكين اشتريتها من الغنائم ، وقد وهبتها اياها ، فلتاخذها، وكان يحصل منها قدر يسير . وقد كانت زوجته هذه ايضا من الصالحات الخيرات ، تكثر القيام ، فنامت ذات ليلة عن وردها ، فاصبحت وهي غضبى ، فسألها نور الدين عن امرها ، فذكرت له نومها الذى فوت عليها وردها ، فامر نور الدين عند ذلك بضرب طبلخانة ( ناقوس مثلا ) فى القلعة وقت السحر ليوقظ النائم ذلك الوقت بقيام الليل ، ورتب للضارب جراية كافية .

قال ابن الاثير : وكان نور الدين لا يفعل فعلا البتة حسنة . وكان بالجزيرة رجل من الصالحين كثير العبادة والورع ، شديد الانقطاع عن الناس ، وكان نور الدين يكاتبه ويراسله ، ويرجع الى قوله ، ويعتقد فيه اعتقادا حسنا ، فبلغه ان نور الدين يدمن اللعب الكرة ، فكتب اليه يقول له : ما كنت اظنك تلهو وتلعب ، وتعذب الخيل بدون فائدة دينية . فكتب اليه نور الدين بخطه يقول : والله ما يحملني على اللعب بالكرة اللهو والبطر ، انما نحن فى ثغر ، العدو منا قريب ، فربما وقع صوت فتكون الخيل قد ادمنت على سرعة الانعطاف بالكر والفر ، فاذا طلبنا العدو ادركناه ، ولو تركناها على حالها لصارت جماما لا

تنفع ، ولا يمكننا ملازمة الجهاد ليلا ونهارا ، صيفا وشتاء ، اذ لابد من الراحة للجند ، فهذا – والله – الذي يبعثني على اللعب بالكرة .. قال : فانظر الى هذا الملك المعدوم النظير ، الذي يقل في اصحاب الزوايا المنقطعين الى العبادة مثله . فاز من يجيء الى اللعب بهذه النية الصالحة حتى يصير من اعظم العبادات ، واكبر القربات ، وقل في العالم مثله ، وفي ذلك دليل على انه كان لا يفعل شيئا الا بنية صالحة ، وهذه افعال العلماء الصالحين العاملين .

قال : وحكى عن هذا السلطان ، انه حمل اليه من مصر عمامة من القصب الرفيع مذهبة ، فوضعت بين يديه ، فلم يلتفت اليها ، وبينا هم معه في حديثها اذ جاءه رجل صوفي ، فامر له بها . فقيل له : انها لا تصلح لهذا الرجل، ولو اعطي غيرها لكان انفع له. فقال : اعطوها له ، فاني ارجو ان اعوض عنها يوم القيامة ، فسلمت اليه ، فسار بها الى بغداد فباعها بستمائة دينار ويقال : انه اعطاها لشيخ الصوفية بهاء الدين ابي الفتح بن حمويه ، فبعث بها الى العجم، فبيعت بألف دينار .

وكان نور الدين عارفا بمذهب ابي حنيفة – رضي الله عنه – وليس عنده تعصب على احد ، والمذاهب كلها عنده سواء . قال ابن عساكر : وسمع الحديث واسمعه ، وكان قد استجيز له ممن سمعه وجمعه ، حرصا منه على الخير في نشر السنة والتحديث ، ورجا ان يكون ممن حفظ على الامة اربعين حديثا ، كما جاء في الخبر ممن رءاه ، انه شاهد من جلال السلطنة ، وهيبة المملكة ما يبهره . فاذا فاوضه رأى من لطافته وتواضعه ما يحيره . وكان يحب الصالحين ويؤاخيهم ، ويزورهم في اماكنهم لحسن ظنه فيهم .

قال الشيخ شهاب الدين : وقد صنف له جدي كتابا سماه « الفجر النوري » ، فيه احاديث العدل والجهاد ، ومواعظ ، وغير ذلك . وصنف في نور الدين كتابا في الجهاد وهو بدمشق . ثم قال : فقد ذكرت ما نقله علماء السير مما وقع لهم من سيرته ، وما يستدل به على صالح سريرته . وقد وقع لي مآثر لم يذكروها ، ومفاخر لم يسطروها ، لم تكن لغيره من ملوك الجاهلية او الاسلام ، ولا راوها ولا في الاحلام كان مشغولا بصيد الصيد لا بصيد الغزلان ، وما زال بفر مبادرته الى الخيرات يتم لا عن نقصان . فمن ذلك انه كان في عزمه ان يفتح بيت المقدس ، فعمل منبرا وقبلة بجامع حلب على اسم القدس ، فتوفى الى رحمة الله تعالى قبل الفتوح . فلما فتح صلاح الدين بيت المقدس حمل المنبر اليه ، وابقى القبلة بجامع حلب .

ويروى في صدد تواضعه واحسانه ، ان رجلا صالحا من اهل حران لقيه احد الشيوخ سنة خمس وستمائة ، وكان هذا الاخير قد نيف على التسعين سنة . قال : لما قتل اتابك زنكي ، وملك نور الدين تصدق ، وازال المكوس ، ورد المظالم ، وانا حديث عهد بعرس ، وقد ركبني دين ، فقالت لي زوجتي : قد سمعت اوصاف نور الدين ، واحسانه الى الناس، فلو قصدته ، وانهيت اليه حالك لقضى دينك . قال : فخرجت من حران ، وليس معي سوى درهمين ، تركت عندها درهما، وتزودت بدرهم ، واتيت الفرات ، وابتعدت عن اعين الناس ، حيث خلعت ثيابي ، وتوضأت، وصليت ركعتين ، واذا الى جانبي شخص ملفوف في عباءة . فقال لي : يا فقير من ابن انت ؟ قلت : من حران . قال : والى ابن ؟ قلت : الى حلب . قال : وما تصنع فيها ؟ قلت : انا فقير مدين ، وقد بلغني احسان نور الدين الى الخلق ، فقصدته لعله يقضي ديني . فقال : وابن انت من نور الدين ؟ ومن يوصلك اليه ؟ كم عليك من دين ؟ قلت : خمسون دينارا . فاخرج يده من العباءة ، وقال : خذ هذا القرطاس فاقض به دينك ، وارجع الى اهلك ، قال : فاخذته فعددته ، واذا به خمسون دينارا ، والتفت فلم اره ، فبهت ، وبت في مكاني وانا افكر ، هل ارجع الى حران ، او امضي الى حلب : وقلت في نفسي : هذه اوفي بها ديني ، فمن اين اتقوت ؟ ثم قمت ، وقصدت طريق حلب ، فبت عن قرب احد ابوابها ، وفي الصباح كنت عند قلعة حلب ، فصليت ، وقعدت تحت القلعة ، واذا قد فتح بابها ، ونزل نور الدين في ابهة عظيمة ، والامراء بين يديه ، حتى جاء الى الميدان ، فلما اراد ان يدخل نظر الي طويلا ، واشار الى خادم بين يديه ، فجاء الخادم الي ، وقال : قم . فاخذني ، وصعد بي القلعة . قال : فندمت على مجيئي الى حلب ، وقلت : يا ليتني قبلت من ذلك الرجل الصالح مقالته ولعل نور الدين توهم اني اسماعيلي فدائي . قال : فلما كان بعد ساعة عاد نور الدين الى القلعة ، وجلس في الايوان ، ومد سماط عظيم لم يمد يده اليه ، واذا قد فتح باب صغير عن يمينه ، وخرج منه خادم ، وعلى يده طبق خوص مغطى بمنديل ، فوضعه بين يديه ، وفيها غضارة عليها رغيف ،

فتأملتها من بعيد فاذا هي ثردة ، فتناول منها شيئا يسيرا ، واكل الناس ، واكلت معهم ، وصرف الناس ، وبقيت قاعدا خائفا . فاوما الي فقمت ، واتيت بين يديه ، وانا ارتعد خائفا ، فقال : من اين انت ؟ قلت : من حران، قال : وما الذي اقدمك ؟ قلت : علي دين ، وبلغني احسانك الى الناس ، فقصدتك لتقضي ديني . قال : وما دينك ؟ قلت : خمسون دينارا . قال : انما اعطاك امس صاحب العباءة على نهر الفرات خمسين دينارا ؟ هلا رجعت الى اهلك؟ وانت عليك خرقة الفقر ، واذا حصل القوت للفقير فما يطلب شيئا ءاخر . ثم قال : ما نضيع تعبك . ورفع سجادته ، وكانت زرقاء ، فاذا بقرطاس مثل القرطاس الذى اعطاني صاحب العباءة. قال : فبكيت بكاء كثيرا ، وقلت : لا ءاخذه حتى تخبرني بصاحب العباءة . قال : هذا امر ما يلزمك. فقلت: يا مولانا انا رجل غريب وضعيف ، ولي حرفة، فبالله عليك اخبرني، فقال : احلف لي بانك لا تحدث بهذا فى حياتي . فحلفت له . فكشف العباءة عنه ، واذا بتلك العباءة على جسده ، وقال : انا ذلك الفقير!! فقلت له : بالذي اعطاك هذه المرتبة باي شيء وصلت الى هذا ؟ فقال : بقوله تعالى « ان الذين سبقت لهم منا الحسنى » ، ولكن لابد من السبب ، وذلك انه لما التقينا بالفرنج فى « حارم » ونصرنا الله عليهم وعدت الى حلب ، التقى بي فى الطريق شاب حسن الوجه ، طيب الرائحة ، فسلم علي ، وقال : يا محمود انت من الابدال ، قد اعطاك الله الدنيا، فاشتر بها الآخرة. سله عما شئت ، ثم علمني كلمات ، وقال : اذا طلبت امرا فاذكرها . فقلت له : بالله عليك من انت ؟ فقال: انا اخوك الخضر . ثم غاب عني . فاذا عزمت على امر ، واردت ان اذهب الى مكة ، او الى المدينة ، او الى اي بلد شئت لبست هذه العباءة ، وتكلمت بتلك الكلمات ، واغمض عيني وما افتحهما الا وانا فى تلك البقعة !!

ـ يتبع ـ

**القاهرة ــ د. عبده اسماعيل الطهطاوي**



# مميزات المسكوكات الاسلامية
## وأول حرب قامت من أجل العملة الذهبية

للأستاذ عثمان بن خضراء

من الابحاث الاسلامية الهامة مسالة المسكوكات ... هذه المسالة التي تحتل مركزا كبيرا وواضحا فى **تاريخ الاسلام ...** اذ لا يخفى ان المعاملات هي اساس الاقتصاد فى كل دولة وامة ، والاقتصاد هو ميزان عظمة الدولة بدون خلاف ولا شك ـ ومن المسائل التي تثير الاهتمام مسالة المسكوكات وكيف بدات وتطورت فى الدولة الاسلامية ـ .

ففي العهد النبوي كانت المسكوكات على نوعين : **السوداء** ووزن الدرهم منها ثمانية دوانق وعملة **الطبرية** ووزن الدرهم منها اربعة دوانق ... حتى اذا جاءت الزكاة اخذ الناس يزكون بشطرين من الكبار والصغار ...

على ان هذا الراى لم يكن مسلما به عند جمهور الفقهاء والمحدثين ، اذ منهم من يقول ان الدرهم لم يكن معلوما فى عصر النبي صلى الله عليه وسلم ـ ويرى البعض خلاف ذلك حيث ان الزكاة لا يمكن ان تكون الا بواسطة الدراهم ، اذ ان النبي صلى الله عليه وسلم كما يخرج السعاة فلا يجوز ان لا يكون هناك عملة ـ ومنهم من يقول بانها كانت موجودة ولكن غير معلومة المقدار ... والراجح الذي لا جدال فيه ان العملة كانت موجودة ومعلومة المقدار والوزن والمبلغ كما اتفق على ذلك الائمة ـ وتفسير مقدار الدرهم هو ستة دوانق ... وكل عشرة سبعة مثاقيل ـ .

وذكر العلامة الكبير ابن عطية : « واما ما كان فالذي يكاد المؤرخون ان يجمعوا عليه ان اول سكة ضربت فى الاسلام كانت ايام الخليفة الاموي عبد الملك ابن مروان ...

وان العرب المسلمين كانوا قبل ذلك يتعاملون بسكة فارس وبسكة الروم ايضا حسب المناطق التجارية ، على ان الدنانير كانت تحمل اليهم من بلاد الروم فلهذا كانت منتشرة بالشام وعند عرب الحجاز لاتصال هؤلاء بالاقتصاد الرومي ... وكانت هذه الدراهم عليها صورة الملك واسمه وتاريخ ضربها ، وربما توجد عليها صورة ذلك حسب قيمتها .

اما الدراهم فكانت بارض العراق وارض المشرق وكانت كسروية عليها صورة كسرى واسمه مكتوب باللغة الفارسية ... واكبر دليل على ان الدرهم فارسي والدينار رومي ، ان الدينار كان يسمى ايضا بالهرقلي، وان الدرهم كان يسمى بالكسروي .

وقد وقع خلاف بين بعض ذوي الراي فى جواز حمل الدراهم والدنانير : لانا عليها صور اشخاص او صور حيوانات ، ولا يخفى راى الفقهاء والعلماء فى هذه الصور من الوجهة الدينية لهذا وقع خلاف فى جواز حملها ... على ان الذين اجازوا حملها استدلوا بدلائل منها : انها كانت تجلب فى زمان السلف ولم يقع نهي عن حملها فى العمامة او الثوب مثلا اذ ان المراد منها هو النقد لا الصور ... اذ ليس من المعقول ان يلاحظ فيها المنع فى الصور فالمراد فى الصور ما يشغل الذهن ويتحدى الخلقة ... اما هذه فالمقصود منها هو النقد وقد استدل بهذا على جواز الطبع على الورق ... وقد سئل ائمة الدين من دنانير عليها صورة حيوان هل

يحرم حملها قياسا على الثياب التي عليها صور ام لا فافتوا بعدم الحرمة .

في سنة خمس وسبعين هجرية كان ابتداء ظهور النقد العربي ، واول من اصدرها هو الخليفة عبد الملك ابن مروان الذي سن عدة سنن في الاسلام ... وقد كانت السكة التي ضربها صورة من السكة المالوفة في عصره ، غير انها تخلو من الصور نظرا تقبح فكرة الصور في الاسلام .

على ان الدولة الاموية لم تتخذ من الذهب الابريز او العسجد او من الحديد والصلب مادة لعملتها او موازينها بل جعلتها من الزجاج الذي اهتدت الى صنعه وسبقت عدة دول الى تكييفه ومزجه — وقد احتفظت بعض المتاحف بعينات من تلك السكة ومن تلك الموازين في متحف دمشق — ومن بينها درهم ضرب ببلدة قبل سنة تسع وسبعين هجرية الموافقة لسنة ستمائة وثمانين وتسعين ( 698 ) ميلادية وكتب بها : « لا اله الا الله وحده لا شريك له » وفي دائرة اخرى : الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا احد » . اما في خلف السكة فقد كتب : « محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » وفي دائرة اخرى « بسم الله ضرب هذا الدرهم بقبل سنة تسع وسبعين » .

وتوجد عدة دراهم زجاجية اخرى بمتحف دمشق صكت كلها في عهد الدولة الاموية ، بعضها مضروب « بمنازر » و « أدرشيروجي » و « سرخس » ما بين اواخر العقد السابع ( 80 ) هجرية واوائل العقد التاسع الهجري من « 83 الى 91 هـ » وبعضها « بالتيمرة » و « برامهرمز » و « بهمدان » و « بارمينية » او « بالاندلس » او « بافريقيا » ( الشمال الافريقي ) ما بين سنوات 92 هجرية الى 127 هجرية.

ولما انتقلت الخلافة الى الدولة العباسية سارت على ذلك النهج واقتفت ذلك الاثر ، وتختلف السكة العباسية عن سابقتها باضافة اسم امير المومنين على السكة — فنرى السكة المضروبة « بدشت » سنة 147 هجرية الموافقة لسنة 765 ميلادية :

« لا اله الا الله وحده لا شريك له » ثم « محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » — وفي الدائرة الخلفية « بالدشت سنة سبع واربعين ومائة » ثم بدلا من سورة الاخلاص التي تزين السكة الاموية كتبوا « مما امر به المهدي محمد بن امير المومنين » .

وبالمتحف السوري بدمشق عدة نماذج من السكة المضروبة بالموصل في عهد الامير هشام ابن عمرو — او بمدينة السلام في عهد الخليفة المهدي ... او باليمامة او بكرمان او بزرنج او بلدة «ارا» او «بالرافقة» و « سمرقند » او « دمشق » ما بين سنوات 147 هجرية الموافقة لسنة 765 ميلادية الى سنة 226 هجرية الموافقة لسنة 840 ميلادية — بحيث يمكن الجزم بان السكة التداولة ما بين سنتي 79 هجرية و 226 هجرية اى مدة 147 سنة بالبلاد الخاضعة لنفوذ الاسرتين الاموية والعباسية كانت زجاجية احتفظ لنا منها متحف دمشق بعينات ونماذج على غاية من الروعة والبهاء .

اما الموازين فهي كانت من المادة الزجاجية الخضراء ... واقدم تلك الموازين المحفوظة الى الان بالمتحف القومي السوري بدمشق : ميزان يزن 3 غرامات و 95 جزءا من المائة ، وفي بعض هذه الموازين كتبت الشهادة : « لا اله الا الله — محمد رسول الله — على ولي الله » ، وفي غيرها اكتفوا بنقش اسم الامام الحاكم والخليفة الآمر .

اما زنة تلك الموازين فهي تتراوح بين 35ر1 غرام لادناها الى 23ر76 غراما لاقصاها .

هذا ويذكر المؤرخون ان الروم البيزنطيين فرضوا على الامبراطورية العربية موازينهم وعملتهم الذهبية ... فكانوا لا يتقايضون معهم الا بها ولا يريدون عنها بديلا في معاملاتهم وتجاراتهم .

ويذكر المؤرخ الكسائي نقلا عن هرون الرشيد انه قال : ان سلفه عبد الملك هو الذي فكر في التنصل من الموازين البيزنطية ، وضرب موازين اسلامية من مادة زجاجية للقضاء على الامتياز البيزنطي العالمي في صك العملة والموازين ( السنجات ) ... ومن بعد ذلك قلدوا عملة البيزنطيين النحاسية والذهبية تقليدا كاملا مع فارق واحد وهو انهم ابدلوا صورة الامبراطور ببعض الآيات القرآنية امتثالا لاوامر الشريعة التي تنهى عن التصوير والتمثيل .

ثم استعملوا في الموازين عدة الفاظ منها المثقال — والقيراط — والخروبة ... وفي العملة الفاظ الدينار والدرهم والفلس ... ولكن سرعان ما نشبت الحرب بين الروم البيزنطيين والعرب المسلمين بسبب العملة الذهبية الجديدة التي رآها البيزنطيون عملة مزاحمة لعملتهم الرائجة في كامل اطراف الامبراطورية العربية والمنقوشة باللغتين الرومية والفارسية ... بينما

نظر اليها رمزا لسيادتهم واستقلالهم ... واول من فكر في الامر كما ذكرنا سابقا هو الخليفة عبد الملك بن مروان في سنة 95 هجرية الموافقة للسنة 684 ميلادية ... ففي تلك السنة كانت الحرب بين الامبراطوريتين على قدم وساق ، وفكر الخليفة في صك عملة تروج في داخل الامبراطورية العربية بدون احتياج الى عملة العدو من اجل التعامل داخل حدود مملكته .

وقد انشأ الخليفة عبد الملك بن مروان دارا لصك العملتين الذهبية والنحاسية واطلق على الاولى لفظة دينار وعلى الثانية لفظة درهم ... ونقش عليها كلمة « الله صمد » .

وكانت الخلافة الاسلامية بحكم المعاهدة التي ابرمتها مع الامبراطورية البيزنطيه مضطرة الى دفع التعويض سنويا بالدنانير الذهبية البيزنطية ... فلما صكت الحكومة العربية دنانيرها الجديدة رات ان تجعلها عملة التعويض ... فبعث الخليفة عبد الملك بن مروان بدنانيره الجديدة الى خصمه يوستنيانوس الثاني قيصر بيزنطة في مقابل الاتاوة ... فرفض هذا الاخير قبولها ونقض معاهدة الصلح بينه وبين الخليفة ... واذن لثلاثين الفا من رجاله المرتزقة من الصقالبة ( السلاف ) بالزحف صوب التخوم الاسلامية يقودهم اسطفان المجري ... وعندما رابطوا بسيواس في القطر التركي التحق بهم قيصر الروم على راس فرقة من حراسه .

وشعر الخليفة بالخطر الداهم ، فعهد لاخيه محمد بن مروان بقيادة فرقة من الفرسان خرجت من دمشق عاصمة بني امية ... وضرب الجيش العربي مضاربه بنفس المكان في نشز من الارض صالح للهجوم والاغارة ... ولم يكن القائد العربي مطمئنا كثيرا للفوز نظرا لوفرة الجنود المقابلين لجيشه .

وهنا نذكر اسطورة عربية وهي تقول ان وفدا من الغساسنة العرب مؤلفا من تسعة انفار : ثلاث نساء وستة رجال كانت اسرهم نزحت الى امبراطورية الروم قبل الفتح العربي ... فلما راوا ان الحرب وشيكة بين العرب والروم التحقوا بالمعسكر العربي وارادوا الاشتراك معه في محاربة الروم ... واراد القائد محمد ابن مروان حقن الدماء عملا بنصيحة اخيه عبد الملك الخليفة ... فارسل وفدا من ثلاثة رسل الى قيصر الروم يوستنيانوس الثاني يرجوه بواسطتهم ان يحترم نصوص المعاهده ، ولكنه طردهم وامر قواده بالهجوم.

وجاء محمد بن مروان بالمعاهدة الموقعة بامضاءي الامبراطور والخليفة وعلقها على رأس رمح حمله اقدم حاملي الاعلام في طليعة الجند العربي .

واشتبك الجيشان والتحما في اليوم الاول ... وظهرت آثار التفاوت بين الجيشين في العدد ... وعند المساء اخترقت الصفوف هند ابنة الفضل ، احدى افراد الوفد الغساني القادم من بيزنطة والمشترك في الحرب في صفوف العرب ، وقالت القائد :

« عليك بحيلة تنجيك وتنجي جيشك ، ان معك الذهب الابريز ، وزعيم الصقالبة والمجريين يعبد الذهب ، فما بالك لا تغريه بالعملة الذهبية الجديدة خصوصا وهو لم يستلم حظه وحظ جنوده المرتزقة من خزينة الامبراطور منذ زمان ، جربه وانزل المال بين يديه فستراه ينسحب من الميدان وينضم اليك » ...

وجرب القائد الفكرة فنجحت وخذل القائد المجري اسطفان سيده القديم وانضم لصفوف سيده الجديد ... وهزم القيصر الرومي في معركة سويسطة ...

ومنذ ذلك الوقت راجت الدنانير الذهب والدراهم الفضة التي صكها العرب وحلت محل العملتين الرومية والفارسية ...

ولعلنا بهذه الدراسة قد افدنا القراء بناحية مجهولة من تاريخ السكة والموازين العربية الاسلامية واول حرب ثارت من اجل العملة الذهبية الجديدة .

**سلا : عثمان بن خضراء**

# صفحة من ذكرياتي

للدكتور زكي المحاسني

تقف بباب نفسي ذكرياتي بحوادث متزاحمة متراصة كل واحدة تبتغي الدخول قبل اختها .

فهي تزدحم على خيالي مشاهد عشت فيها بدنيا التعليم التي سلخت في تضاعيفها زهرة عمري حتى الان وكل مشهد من هذه الحياة الوارفة بالعلم يريدني ان اسجله فاخرجه من مخابئه في الذكريات الى عالم الوجود ليعود ادراجه في التنفس ورؤية الشمس وخفوق الفؤاد ، وكم رحت اشبه حالي بمصور عاش طويلا السنين وريشته الغمية باشتات التلاوين ترسم الواحة التي كان كلما فرغ من لوح منها ركمه على مثيله حتى امتلأ المستودع وهو اليوم يفتح عن بابه ليخرج لوحا قديما يبسطه تلقاء النظارة المشاهدين.

حين افتتحت الوزارة مدرسة التجهيز الثانية في الحي الحلبوني بدمشق دعيت من التجهيز الاولى لاكون فيها كما يدعى طير اليف الى مكان يراد ان تحلق به الطيور الشوارد . ولم يعلم بهذه النقلة تلاميذي حتى انتقلوا معي فوجدتني لم يتبدل علي شيء سوى المكان ، وبلغني من احد المعيدين الذين كانوا صفي النظام والادارة ان ثمة تلميذا عسرا مراهقا سيضمن حقي فسالت عن اسمه فعلمت انه عرف بالعسر واتهم بالشغب فاستعذت بالله من قبل حضوره اذ كان صفي هادئا منصرفا بمن فيه الى العلم والتحصيل وطيب الخلق والاطاعة وكان الصف جنتي اليومية فحسبت الف حساب لما سيصيبني من الضيم لو انضم هذا الطالب الى تلاميذي الطيبين ، لقد عرفت انه اختصم مع استاذ جليل في شتاء قارس وانه فيما كان يجسر به على سوء التصرف قد تسبب بكسر شمسية الاستاذ ، وانه مقلق لمعلميه لا يفتر عن طرح الاسئلة المحرجة ، كل ذلك اتاه من نمو شخصيته قبل الاوان واذ كان له تأثير على رفاقه وكانت نزعته التحررية مبكرة وقد شفع له مع مثاليه براءة الاسباب وانبعاث الفتوة وسلامة الخلق من الدنس . وكانت بعد ذلك كل سنة اكبر من حقيقتها وذكاؤه اظهر من عقله .

وجاء اليوم الموعود لدخوله الى صفي وعلم الطلاب الذين كانوا فيه بهذا الموعد فاخذوا عدتهم من العيون والحس والتطلع ليعاينوا استقبالي له وانضمامه اليهم . وكنت اشبههم قبيل ان يفتح الباب عنه بحملان مسالمة باتت تنتظر ان يدق عليها ذئب صغير .

كان الصف هو السابع وطلابه في سنيين بين الخامسة عشرة وما يقاربها ، فلما دخل الطالب المنتظر اسميه الان اسما معارا وليكن « سعيدا » تطالت الاعناق الدقاق اليه واصحابها في صمت مطبق ، فلم يخف دهشته واخذ سبيله الى اول مقعد حيال منصتي العالية وجلس في المكان الشاغر ثم اخذ ينظر الى وجهي متفرسا . ولست اشك في انه استخبر عني كما استخبرت عنه .

ولم اكن شعرت في حياتي التعليمية براحة قلب لمشاهدة طالب مثلما شعرت حين شاهدته ، فان من الطلاب كثيرين يغلقون على اساتذتهم كالصناديق التي ضاعت مفاتيح اقفالها ، فاذا وجد المعلم المفتاح هان

عليه التهذيب والترغيب وعرف وجوه الاصلاح والارشاد وبعض التلاميذ نصوص نفسية تحتاج الى تفسير من حاذق اديب فاذا فسرت غموضها ووضحت معالــم توجيهها . وكان سعيد معقدا ايضا محتاجا الى شرح وتفسير وصندوقا موصدا رجوت الله ان اجد مفتاحه، فابتدرتــه :

— الى اللــوح

وقرنت كلمتي باشارة بابهام يدي نحوه بوجه بين الباسم والمستفهم .

فقام متثاقلا فاردفت بقولي :

— اكتــب .

فامسك باصبع الكتابة الابيض وهو لا يزال ثابت النظر على نظري يديره حيثما اديره .

— اكتب هذا البيت من الشعر لتفسيره ثــم لاعرابــه :

بليت بلى الاطلال ان لم اقف بهـا
وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

فكتب بانة وخط جميل ذي قاعدة ؛ ثم اخــذ يشكل الحروف ويستعيد مني بعض الفاظها ليحكــم شكله ، فادركت انه ذو جوهر وان ذلك العرض الذي كدر جوهره ممكن الجلاء والصقل ؛ فقلت له :

— اشرح معنى البيت .

ولم يكن يخوض في شرحه على هدى وبصيــرة حتى توقف عند قول الشاعر . ضاع في الترب خاتمه ، فرفع راسه نحوي واوشك ان يقول كلمة واذا بــي اقول لــه :

— لتقل انه ضاع منك هذا الصباح ليرة سورية فاخذت تبحث عنها ملحا .

وما راعني منه الا ان رمى القلم الحوار من يده ودلف نحو منصتي وضع يده عليها وقــال بصــوت عجيــب :

— من اين عرفت استاذ باني ضيعت ليرة هــذا الصباح والله العظيم بحثت عنها اكثر من نصف ساعة قبل ان اجيء الى المدرسة اليوم فما وجدتها .

فحمدت الله في سري على ما اتفق لي من ارسال القول بما حدث معه ومكث له .

— لست اعرف قراءة الافكار لكن الالهام الذي ركبه فينا خالقنا قد يجود علينا بمثل ذلك ، ولقــد توقفت انك طالب جاد وستكون من المتفوقين في العلم والاخــلاق .

فالح يريد ان يقبل يدي ، ثم اتم تفسير البيــت واعرابه في قليل من التحير وعاد الى مكانــه حمــلا جديدا انضم الى حملات الصف .

كان يحفظ جوانب من القرءان ولبث عندي طوال العام لا ينبس بشفه سوء ولا يشغب ولا يقصر عــن لداته بل ربما تقدمهم .

وشاع خبر هديه وهدوئه في المدرسة فقال لي المديــر :

— لعلك قد سحرته .

— لا ينبغي ان تدخل السحر في فنون التربيــة لكن جلاء النفوس وفهم اغوارهــا هو المعيــن على اساليب التعليم .

وامتد منذ اول العام حسن خلقه الى فتــرات الدرس لدى الاساتذة الاخرين .

وفي آخر العام رجوت المدير ان يجزل لــه في جائزته بين الجوائز التي كنا نرصدها للطلاب المتفوقين.

ثم لم البث في تلك المدرسة الا عامــا واحــدا فانجزت الوزارة وعدها بردي الى التجهيــز الاولــى وضرب الدهر بيني وبين التلميذ سعيد زمنا ، حتى كانت الحرب الثانية وازدحم الناس على طلب الخبــز بابواب الافران فارسلت خادمتي لتجلبه فعادت تبكــي وقد رحمها الكبار وكادوا يدوسونها فلم تفز بالخبــز فقلت اذهب بها لاحصل على الخبز وهي تحمله وذهبت، وكان القوم صفوفا متشابكة بعضها وراء بعض ينادون بلفظ وضجيج باسم الخباز وهو عنهم في عراك مستمر مع المطبقين عليه امام الميزان وفيما انا معتزم الانصراف بغير خبز رآني وجها لوجه امام تلميذي القديم سعيد.

— استاذ ماذا تصنع هنا ، هل هذا مكان وقوفك.

— ضرب الناس خادمتي هذه ولم يمكنوها من الخبز فجئت ارى الخبز .

— استاذ اذهب الى بيتك وسيصل اليك الخبز عاجــلا .

ولم يمض نصف ساعة حتى كان سعيد قد حمل الي الخبز فى مقدار يكفيني اياما وابى ان ينال ثمنه على الرغم مما بذلت له من الجهد .

وضاعت عني اخباره بعد ذلك فاذا عاودني ذكره اخذت اردد ذلك البيت واجدني اهاب الرجل الذي ذكره الشاعر وقد ضاع خاتمه .

ان سعيد كان خاتما من الذهب الخالص ، وحين اراد ليلبسه اللابسون فى اصابعهم حسبوه خاتما زائفا فطرحوه .

وكنت جوهريا ، فوضعت له الخاتم محك الذهب وقد وجدته سليما صحيحا فى غير زيف او خداع وانا اليوم فى هذه المجلة « المعلم العربي » التي كنت اجاورها وآنس بها واعرف محرريها وكنت اشاهد فى اكثر ايامي مديرها الاستاذ عبد الرحمن حمور ـ يرحمه الله ـ فلقد كان شعلة ذكاء عبقرية وروحا لا تعرف السكوت .

كتبت هذه الخاطرة من ذكرياتي فى التربية والتعليم مستجيبا للتكليف الكريم الذي وجهته الي مجلتي الحبيبة التي لن افارقها ولاضع بين ايدي المعلمين صورة تجريبية من حياة مدرس كنت فيه كان جل اعتماده على الدخول الى نفوس الطلاب ، لا الوقوف على الوصيد خارجها ، وما من طالب يستطيع استاذه الدخول الى نفسه الا يصبح مثل استاذه فى العلم والاخلاق ، ولو تسللنا الى دخيلة الانفس من طلابنا لوجدنا كنوزا لا تفنى ودروبا توصلنا بهم الى كثير من المجد والفلاح .

**دمشق : الدكتور زكي المحاسني**




**( 1 ) مضناك جفاه مرقده**

من عيون الشعر العربي ، قصيدة شوقي الرائعة التي يقول في اولها :

مضناك جفاه مرقده
وبكاه ورحم عوده

وهي القصيدة التي عارض بها شوقي رحمه الله، قصيدة أبي الحسن الحصري ، التي يقول في اولها :

يا ليل الصب متى غده
اقيام الساعة موعده

*

وابو الحسن الحصري هذا ، هو علي بن عبد الغني الفهري القيرواني ، وقد توفي بمدينة طنجة ، سنة 488 هجرية، أي انه عاصر قيام دولة المرابطين، وامتداد نفوذها الى الاندلس ، ومات قبل وفاة يوسف ابن تاشفين باثنتي عشرة سنة .

وقد قضى ابو الحسن الحصري حياته متنقلا بين تونس والاندلس والمغرب ، حيث استقر به المقام نهائيا ، وذلك بعد القضاء على ملوك الطوائف ، وظل مقيما بطنجة ، الى ان وافته منيته في التاريخ السابق الذكر .

وقد نقل الدكتور زكي مبارك في المقدمة التي كتبها للطبعة الاولى لتحقيقه لكتاب ( زهر الاداب ) ان أبا الحسن الحصرى هذا كان عالما بالقراءات وطرقها، وانه اقرأ الناس القرآن الكريم بمدينة سبتة وغيرها، وان له قصيدة نظمها في قراءة نافع، عدد أبياتها مائتان وتسعة .

وعلى ذكر كتاب ( زهر الاداب ) يجدر التنبيه الى ان أبا الحسن الحصري هذا ، صاحب قصيدة « يا ليل الصب متى غده » ليس هو مؤلف كتاب زهر الاداب ، وانما مؤلف هذا الكتاب هو ابن خالته أبو اسحاق الحصري .

ونظرا لان كثيرا من الناس يخلطون بينهما ، فقد اضطر الدكتور زكي مبارك رحمة الله عليه ، ان ان يترجم لهما معا ، ليتميز كل منهما عن الاخر ، في اذهان القراء والباحثين .

وهذه هي الابيات الاولى من قصيدة أبي الحسن الحصري :

يا ليل الصب متى غده
اقيام الساعة موعده
رقد السمار وارقه
اسف للبين يردده
فبكاه النجم ورق له
مما يرعاه ويرصده

*

هذا ، وقد حظيت قصيدة أبي الحسن الحصري هذه ، باهتمام كبير من الشعراء ، لطرافة موسيقاها وخفة وزنها ، وان كانت معانيها في غالبها من المعاني التقليدية المتكررة في الشعر العربي .

وهكذا اغرى بمعارضتها كثيرون على مدى الاحقاب .

وكان ممن عارضها من المتقدمين نجم الدين القمراوي بقصيدة يقول في اولها :

قد مل مريضك عوده
ورثى لاسيرك حسده

وكذلك عارضها ناصح الدين الارجاني ( بتشديد الراء وفتحها ) بقصيدة يقول في اولها :

هل انت بطولك مسعده
يا ليل فصبحك موعده

واخيرا جاء شوقي ليعارضها هو الاخر ، اسوة بكثير غيره من الشعراء ، بقصيدته الرائعة التي يفتتحها بقوله :

مضناك جفاه مرقده
وبكاه ورحم عوده

وهي قصيدة متوسطة الطول ، تقع في ثمانية وعشرين بيتا ، ولعله لا حاجة بنا هنا الى ايراد نماذج منها ، فانها معروفة متداولة على نطاق واسع جدا ، وانما نكتفي بالوقوف عند بعض ابياتها .

من ذلك قول شوقي :

الحسن حلفت بيوسفه
والسورة انك مفرده
وتمنت كل مقطعة
يدها ، لو تبعث تشهده

ففي هذين البيتين اشارة الى قصة سيدنا يوسف عليه السلام ، ، وغرام امراة العزيز به ، وعفته منها ، ثم ما كان من شيوع القالة ، بين النساء، وما كان من استدعاء امراة العزيز لهن ، لتعرضهن للامتحان ، ولتقيم العذر لنفسها بين بنات جنسها ، وقد وضعت امامهن — كما هو معلوم — فاكهة وسكاكين ، ثم اخرجت يوسف عليهن ، فبهرهن جماله وبلغ بهن الذهول مبلغا انهن قطعن أيديهن بسكاكين الفاكهة ، وقلن كما ورد في القرآن الكريم : « حاشى لله ما هذا بشرا ، ان هذا الا ملك كريم » .

وشوقي هنا يخاطب الحبيب ، فيقسم له بيوسف الحسن ، وبالسورة التي اوردت قصته في القرآن الكريم ، انك وحيد الحسن ومفرده ، وان النسوة اللاتي قطعن أيديهن مبهورات بجمال يوسف ، يتمنين الان لو يبعثن من مراقدهن ، ليشاهدن حسنك وجمالك .

*

كذلك نقف عند قول شوقي :

جحدت عيناك زكي دمي
اكذلك خدك يجحده
قد عز شهودي اذ رمتا
فاشرت لخدك اشهده

وهذا معنى تقليدي ، يرد كثيرا في الشعر العربي ، ومؤداه ان يزعم الشاعر ان حبيبه قد قتله وسفك دمه ، وان الحمرة التي ترى في خد الحبيب ، ليست الا دم الشاعر المسفوك ، وان الحبيب لا يستطيع ان ينكر ذلك ، لان خديه يشهدان عليه به .

وقد لا يستسيغ ذوقنا العصري هذا المعنى ، ولكن يبدو انه كان مغريا بالنسبة للاقدمين ، بدليل اننا نجده يتردد كثيرا في اشعارهم .

وهذا المعنى نفسه ورد في قصيدة ابى الحسن الحصري ، التي يعارضها شوقي ، وذلك حيث يقول الحصري :

يا من جحدت عيناه دمي
وعلى خديه تورده
خداك قد اعترفا بدمي
فعلام جفونك تجحده

وهكذا يبدو ان شوقي في معارضته لهذه القصيدة كان متاثرا ببعض معانيها ، فكررها في شعره .

ويبدو هذا التاثر ايضا في قول شوقي :

ما بال العاذل يفتح لي
باب السلوان واوصده
ويقول : تكاد تجن به
فاقول : واوشك اعبده

فهذا البيت الاخير يشير الى قول ابى الحسن الحصري :

صنم للفتنة منتصب
اهواه ولا اتعبده

❋

واخيرا ، فرحم الله شوقي حيث يقول :

مولاي وروحي فى يده
قد ضيعها سلمت يده
ناقوس القلب يدق له
وحنايا الاضلع معبده
قسما بثنايا لؤلؤها
قسم الياقوت منضده
ما خنت هواك ولا خطرت
سلوى بالقلب تبرده

وما اروع التشبيه المبتكر ، والاستعمال اللغوي الطريف ، فى قوله :

قسما بثنايا لؤلؤها قسم الياقوت منضده

ولن نقتحم على هذه الطرافة ، وهذا الابتكار ، حرمتهما ، بالتعليق او الشرح ، لان ذلك كثيرا ما يفسد الاثر الادبي الجميل ، او يحيله الى درس فى اللغة ، او النحو ، او البلاغة .

## ( 2 ) بين ابي العتاهية وابي نواس

ابو العتاهية وابو نواس ، كانا شاعرين متعاصرين بل انهما كانا على صلة وثيقة ، يجمعهما معا قصر الخلافة ، ويتصل ما بينهما اتصالا كبيرا ، رغم اختلاف طبع كل منهما عن الاخر .

كان ابو نواس ، شاعرا ماجنا ، تزهد فى اواخر عمره ، وندم اشد الندم ، على ما فرط منه فى شبابه من خلاعة واستهتار .

وكان ابو العتاهية ، منذ شبابه عفا وقورا محتشما ، شديد الخشية لله .

وقد قال ابو العتاهية ، شعرا كثيرا فى الغزل ، ولكنه غزل عفيف لطيف ، ولم يشتهر عنه ان قلبه تعلق الا بامراة واحدة ، هي « عتبة » جارية الخليفة المهدي العباسي ، وقد هم المهدي مرة ان يكافئه على مدائحه فيه ، بان يدفع اليه « عتبة » ليتزوجها ، ولكنها — كما يروي المبرد فى كتابه الكامل — تقدمت الى الخليفة جزعة ، تستعطفه ، وتسترحمه الا يفعل ، وتذكره بحرمتها وخدمتها .

قالت : « يا امير المؤمنين ، حرمتي وخدمتي ! ! اتدفعني الى رجل قبيح المنظر ، بائع جرار ، متكسب بالشعر ! ؟

تشير « عتبة » بذلك الى ما هو معروف ، من ان ابا العتاهية كان يبيع الجرار قبل ان يصبح شاعرا مشهورا ، وقبل ان تتصل اسبابه بأسباب قصر الخلافة .

قالوا : وقد رق المهدي لجاريته عتبة ، فاعفاها وامر لابي العتاهية عوضا عنها بمال كثير .

❋

اقترن ذكر ابي العتاهية بذكر ابى نواس ، وان كان ما بينهما مختلفا كثير الاختلاف .

فقد كان ابو نواس ظريفا ، جميل الوجه ، سمحا بالمال .

وكان ابو العتاهية قبيح الوجه ، متزمتا ، لا يكف عن ذكر الموت والتنديد بتفاهة الحياة ، وكان بخيلا بالمال حريصا عليه ، تروى عنه فى ذلك كثير من النوادر والطرائف .

ولكن الرجلين مع ذلك ، كانا زميلين متلازمين ، يجمعهما الشعر ، فقد كان كل منهما شاعرا مجيدا ، ويجمعهما قصر الخلافة ، يمدحان الخليفة ، ويعيشان فى كنفه ، وعلى منحه وعطاياه .

وكان يحلو لابي نواس ان يتندر على ابي العتاهية وان يمجن به ، ولهما فى ذلك اقاصيص كثيرة ، تحفل بها كتب الادب القديمة والحديثة .

❋

قال ابو العتاهية شعرا كثيرا فى الزهد ، ولكنه — فيما نرى — لا يصل فى جودته الى زهديات ابي نواس .

فلقد قال ابو نواس شعره فى الزهد ، فى أخريات عمره ، بعد ان شبع من لذائذ الدنيا وشبعت منـــه ، وسيطر عليه الندم والخوف ، ولم يعد يملأ قلبه الا شيء واحد ، هو الرجاء فى عفو الله .

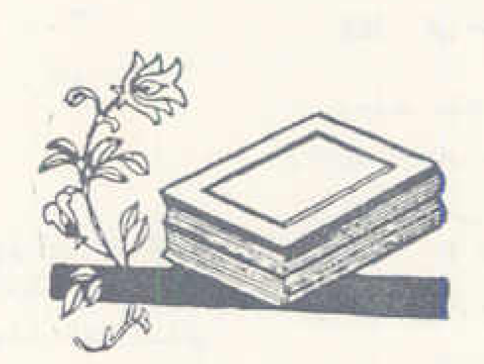
ويذكرون ان ابا نواس عندما انصرف فى أواخر عمره الى شعر الزهد ، لقيه يوما أبو العتاهيـــــة ، فقال لـــــه :

« يا اخى انك ستفضحني !! »

يريد ان يعبر بذلك عن تفوق ابي نواس عليه ، وانه سيأتي فى هذا الباب ، بما لا يستطيع ان يأتي بـــه هو ، وهو المشهور بشعر الزهد طيلة حياته .

والواقع ان ابا نواس ، وان كان لم ينصرف الى شعر الزهد الا مؤخرا ، فانه قد اتى فيه بأحسن ممـــا يستطيعه ابو العتاهية او غيره ، ولا غرابة فى ذلك ، فقد كان ابو نواس نسيج وحده فى الشعر ، كما كان يحدوه فى زهدياته ندم قاتل ، وتوجه الى الله مخلص صادق .

**الرباط ــ عبد القادر الصحراوي**






للأستاذ : عبد القادر زمامه

## 261 تولت النساء دفنه ... !

وجدت فى كتاب « البلدان » لمؤلفه الهمذاني ص . 84

« نساء البربر خير من رجالهم ... !
بعث اليهم نبي ... ؟ فقتلوه ... !!
فتولت النساء دفنه ... !! »

## 262 تطفـــل ... !

وجدت فى شرح العلامة النحوي ابن عبد الله محمد بن مسعود الطرنباطي على الالفية ... فى باب الموصول ... بعد ان اشار الى الجدال الحاد الذي دار بين الشاعر السبتي مالك بن المرحل وبين ابن ابي الربيع فى قضية ... ماذا ... !

« قال ابن غازي : تطفل مالك . على ابن ابي الربيع فى النحو ... !

وتطفل ابن ابي الربيع على مالك فى الشعر .. !!»

## 263 بقدر الناس والزمان ... !!

وجدت هذين البيتين منسوبين للشاعر الزجال ابن قزمان :

دفعت قرقي الى القراق يصلحه
وقد تعذر قيراط من الثمن .. !

فامنن علي شاعر خفت مؤونته
قدر السؤال بقدر الناس والزمن . !

## 264 فى ســـوداء ... !

وجدت قطعة غزلية منسوبة للشاعر عبد السلام الزموري المتوفى سنة 1279 هـ يقول فيها :

فى السود معنى لطيف ليس يدركه
الا القتيل بفتج اللحظ والحور

كم بين سوداء تزهو فى تبرجها
وبين بيضاء تاتي وهي فى خفر

يا من يلمني على سوداء فاحمة
دعني فلومك عندي غير معتبر

## 265 اتباع بكر بالعجوز الباردة ... ؟

وجدت فى ديوان ابن علي اليوسي

« وقال ايضا فى بعض الاصحاب ... وقد تخلف عن مجلس القراءة فى ايام الحجوز .. !! وعبر عنها بالعجوز .. ! وهو الفقيه احمد بن يعقوب الولالي»

اعجزت عنا بالعجوز ولـم يكـن
رجل لتمنعه عجوز .. فائدة .. !

وعدلت عن ابكار فكـري بكـرة
اتباع بكر بالعجوز البـاردة .. !

### 266 خلقوا بغير رؤوس ... !

وجدت فى شرح الشرشي على المقامات الحريرية .. هذين البيتين وهما من نظم شواش ... !

كسدت شواشينا وقل معاشنـا
فسعودنا مقرونة بنحـوس ..

فكانما قطعت رؤوس النـاس أو
خلقوا لشقوتنا بغير رؤوس .. !

### 267 غمض عينك الواحدة ... !

انشد المؤرخ العبـاس ابن عبـد الرحمـن السجلماسي فى كناشته .. هذا البيت :

اذا جئت ارضا اهلهـا كلهـم
عور فغمض عينك الواحدة ...

### 268 شدة الشكيمة فى الجهل ... !

وقفت على تاليف لطيف فى موضـوع البـدع المستحدثة بالمغرب الفه شيخ الجماعة بمراكش محمد ابن ابراهيم السباعي المراكشي (1) سنة 1324 هـ ..! وكتبه بخطه السيد العباس الشرفي فى نفس السنة .. وقد اطلعني على هذا التاليف الاخ السيـد حمـاد بـوعيـاد ...

وقد جاء فى مقدمة التاليف :

« واما اصطفاف الجماعات للشطح ... ! وهز الذوات كلهـا .. ! والرقـص .. ! والزليـر .. ! والتهرير بقوة ... ! وتهييج ذلك بالنغمات والغناء .. فما ذلك كله الا من شدة الشكيمة فى الجهل ... !! »

### 269 فى حصـار مليليـة

وجدت فى نوازل الشيخ التاودي ابن سـودة المتوفى سنة 1209 هـ سؤالا غريبا موجها من السلطان سيدي محمد بن عبد الله ... ايـام حصاره لثغـر مليلية ... سنة 1188 هـ جاء فيه ...

« اما بعد : فانه ظهر من الترك ان بعض المسلمين ممن شملتهم ولايتهم حضروا معنا هذا الجهاد ... ! فلما رجعوا اليهم اباحوا دماءهـم ... ! وروعـوا اولياءهم ..! وتعاقدوا على ان يكون هذا جزاءهم ..! فانظر الى هذا الفعل الشنيع .. ! وهل يفعله الا كفور صريح ... ! والان خط لنا ما تحكم الشريعة المطهرة فيهم ... والسلام (2) »

### 270 تحقيق اسم البطل عروج ... !

وجدت فى كتاب حرب الثلاثمائة سنة للاستـاذ السيد احمد توفيق المدني ص 160

« فالاسم الحقيقي لهذا البطل الاسلامي العظيم مؤسس دولة الجزائر انما هو عروج بضم العين وضم الراء ... ! وهي عربية صميمة معناهـا الارتفـاع والصعود ... ! ودخلت التركية عن طريق ذكـرى حادث عظيم فى حياة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ... وهو حادث الاسراء والمعـراج ... ! ولا اكاد ارتاب فى ان البطل المتحدث عنه قد ولد ليلـة المعراج ... فدعاه ابوه عروج ... ! تيمنا بذلـك الحادث العظيم ... كما يطلق الاتراك كثيرا أسماء : رجب وشعبان .. ورمضان .. ومحرم على مواليدهم الذين يولدون خلال تلك الشهور الحرم »

### 271 مفتحان وجرتان ... !

ووجدت ايضا فى كتاب حرب الثلاثمائة سنـة ص 526 . جاء فى عقد الصلح الذي تم به انسحـاب اسبانيا نهائيا عن مدينة وهران والمرسى الكبير ...

1 ) انظر التعريف به فى فهرس المخطوطات للخزانة العامة بالرباط ج 2 ص 141 .
2 ) اطلعني على نسخة قيمة من هذه النوازل السيد حماد بوعياد فله الشكر . . !

ورجوعهما الى حظيرة الوطن الجزائري ... وذلك سنة 1791 م موافق 1206 هـ

« تحمل سفينة اسبانية بصفة رسمية الى استانبول مفتاحين ذهبيين ... ! رمز استسلام وهران والمرسى الكبير ... !! مع جرتين من ماء عيون وهران ... !! للخليفة السلطان العثماني كبشرى بالفتح ...! وتأكيد للرابطة مع دولة الخلافة » .

## 272 المقري والمناوي ... !

وجدت فى نسخة خطية قيمة من كتاب « فتح المتعال » لابي العباس المقري ... قرأتها بخزانة عارف حكمت .. بالمدينة المنورة ..

يقول ابو العباس المقري عن الشيخ عبد الرؤوف المناوي ... !

« لقيته بالقاهرة .. ! وزرته فى بيته .. ! وجاءني الى منزلي ... ! »

ويقول المقري عن كتاب المناوي الشرح الكبير على الجامع الصغير ... !

« مزج فيه الشرح بالمشروح امتزاج الراح بالروح ... !! »

## 273 المحبة عيساوية ... !!!

## السنة مسناوية .... !!

وجدت فى ترجمة سعيد امسناو ... نزيل صومعة تادلا من كتاب ممتع الاسماع ... !

« وكان اشياعه غاية فى اتباع السنة ... !! كما كان اتباع سيدي محمد بن عيسى الفهري غاية فى المحبة .. ! والادب ... !!!

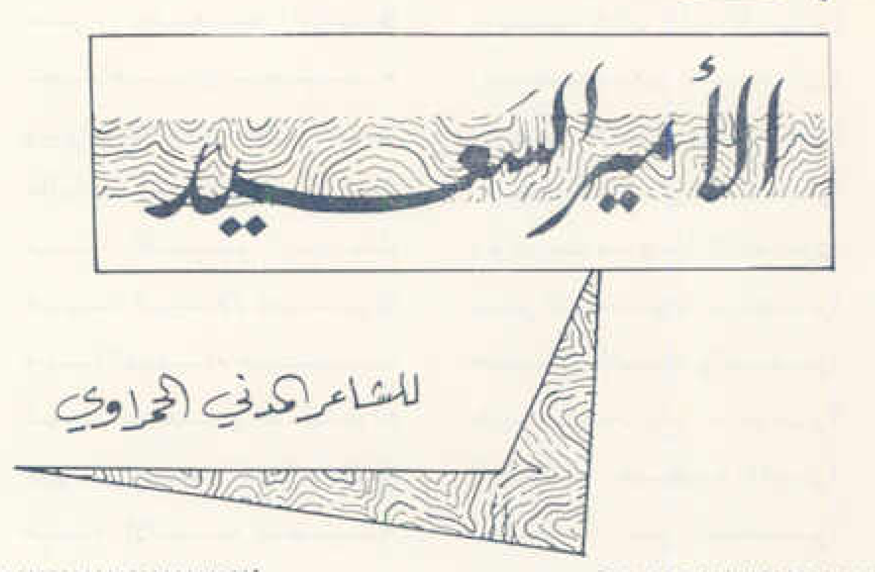
فكان يقال : المحبة عيساوية ... !!! والسنة مسناوية ... !! »

## 274 الدربوكة ... !

وجدت فى نوازل المسناوي سؤالا فقهيا موجها اليه فى موضوع ... !

« السفر الى الحج ... بالمراة المحمولة فى المحمل ... المسمى بالدربوكة ... !!!! »

**فاس : عبد القادر زمامة**




مرفوعة الى حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم الحسن الثاني حفظه الله وبارك في عمره الزكي بمناسبة المولود السعيد الذي انعم الله به على جلالته دامت لمولانا المحبوب المسرات وحفظه الله واراه في ذريته الطيبة واسرته الكريمة وفي شعبه الملتف حول عرشه ما يسره انه سميع مجيب .

مولاي عشت مظفرا ... وبما تحب مبشرا
لك في بنيك سعادة ... ولك الهناء ميسرا
هذا الامير محمد ... باخيه قد بشرا
وافى بأسعد طلعة ... في يمنها لا يمترى
اكرم بمولده الذي ... سر الوجود وعطرا
فتهللت قسماته ... ـ حين استهل ـ وكبرا
وغدا سيصبح يافعا ... فيسر حتى يبهرا
فالشبل مثل اصوله ... ان شب صار غضنفرا
فالله يجعل غرسه ... غرسا مكينا مثمرا
والله يحرس نجمه ... حتى يشع ويزهرا
الشعب من اعماقه ... عن بشره قد عبرا
في كل حي حفلة ... هزت من الطرب الثرى
وبكل بيت فرحة ... غمرت ببهجتها الورى
القطر منها راقص ... وبها زها وتنورا
وكأنه في موسم ... غلب العقول فاسكرا

هزج تواصل لحنه … في كل دوح قد جرى

وزغارد لا تنتهي … ونشيد شعر حبرا

عرش وشعب اقبلا … يتبادلان تشكرا

يتعانقان محبة … ويبجلان تآزرا

ويواصلان تجاوبا … بهر الانام وحيرا

فالله احكم وحدة … جمعتهما لن تكسرا

منذ القديم تابدت … وتوثقت منها العرى

وبها البلاد تميزت … بين الشعوب تبصرا

وبها الهمام حبيبنا … حسن اشاد واعمرا

شهم بفضل جهوده … جاء النجاح موفرا

فهو الرصيد لامة … وجدته حظا اكبرا

هبة الاله لشعبه … وعناية لن تكفرا

فمن النبوءة فرعه … لا غرو ان بلغ الذرى

حرس الاله زمانه … وحباه عمرا اغزرا

وحمى بنيه وزادهم … فوق الرعاية مظهرا

وولي عهده يرتقي … درج العلاء مؤزرا

ويكون قرة اعين … ويعيش دهرا ازهرا

وبعنوه ـ احبب به ـ … سينال عونا اكثرا

مولاي فضلك سابغ … أسديت برك مكثرا

وغمرت شعبك نعمة … وجعلت عيشه اخضرا

اشركته في فرحة … فرأيته متشكرا

فالله يشكر همة … احسانها لن ينكرا

والى الجناب تهانئي … وتمنيا متعطرا

والى الامير ازفها … سعد الامير وعمرا

**الرباط ـ المدني الحمراوي**




للشاعر: محمد شمس الدين

سلام على القدس حتى تعود
وترفع فوق رباها البنود ،
سلام يعيد اليها الوجود ...
سلام يزحزح ظل اليـــهود
عن القدس ، والمهد والناصرة ..

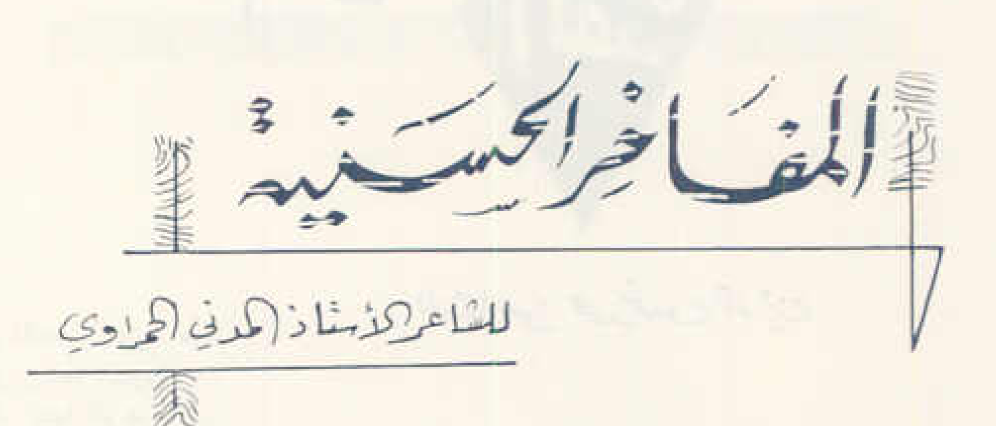
سلام على العربـي الجديـد
تنادي وهب غـداة ابيـد
له ما يشـاء له ما يريد ،
تسلح بالعـزم عـزم الحديـد
وءامـن بالثـورة الثائـرة ..

سلام على كل طفـل صغيـر
نقي كما موجة من عبيـــر
تنـزه عن ذل يـوم حقيـر
وشرف بالموت معنـى المصيـر
وتلك مبادئـه سافـرة

سلام على « فتح » والثائريـن
على كل منعطف راصديـن
يشيلون بالعـز ذل الجبيـن
ويمحون بالنار عـار السنيـن
ويحيـون بالقـدرة القـادرة

سلام يقـول : هنـا لا مجـال
لمؤتمرات وقيـل وقـال
سـلام الكفـاح سلام النضـال
الى ان تعـود الينا التـلال
وتحضن راياتنـا الظافـرة ...

**محمد شمس الدين**




شكر الله سعيك المبرورا ... يا هماما شفى وسر الصدورا

قد حللت القيود عن كل حر ... يوم اعلنت فى الورى الدستورا

همة حرة سمت بك حتى ... صرت بالحق غالبا منصورا

ورءاك الانام قطبا فريدا ... رائدا لم يزل يشق الوعورا

ومليكا يحوط شعبا عزيزا ... وينمي نراءه المقتورا

يتجافى عن مضجع النوم حزما ... ويوالي جهاده المشكورا

ساهرا، باحثا ، له ، - كل حين - ... ونبات تيسر المعسورا

كلما عن معضل سل عزما ... فترى كل معضل مقهورا

حسن ، محسن ، عظيم بحق ... عبقري سما جلالا ونورا

قد بنى - كيف شاء - مجدا مكينا ... سيناجي - مدى الحياة - الدهورا

به جاد الاله - لطفا - علينا ... فشكرنا صنيعه المقدورا

نعمة ما لها حدود ، ويمن ... وامان يجنب المحذورا

يده عصمة لشعب مطيع ... وجد العز والمنى والحبورا

فى مليك مؤيد علوي ... قد عرفنا بلاءه المشهورا

وبلغنا به مكانة عز ... فنصرنا لواءنا الموتورا

واستعدنا بفضله خير مجد ... ظل - دهرا - مقيدا محجورا

ومضي يكتب المآثر حتى ... صار فى الارض المفرد المذكورا

صيته طبق الاقاصي فخرا ... هب كالمسك فائحا منشورا

رائد قاد امة فى طريق ... حمدت فيه رايه المأثورا

كل شبر فى ارضنا صار رمزا ... لأياد له ، وصار فخورا

منجزات من كل نوع بناها ... بعد ما خطها سطورا سطورا

فبدت للعيان تبهر فكرا ... تاه فيها محيرا معذورا

كلما انعم التفكر فيها ... عاد عنها موهنا مبهورا

معجزات فى عصرنا شامخات ... جاوزت العجز طفرة وعبورا

— ◆ —

واتت هذه تكمل عقدا ... به ـ لا بالحصى ـ تزين النحورا

انها رحمة وشورى وعدل ... وضمان يصون حقا طهورا

قد حبانا بها اب قد رآنا ... ـ بعد خبر ـ اهلا لحكم الشورى

انها من مليكنا الحسن الشهـ ... ـم المفدى صنيعة لن تبورا

نفس حر له ابت غير حكم ... يصبح الكل فيه حرا وقورا

فلنصنها لعرشنا خير نعمى ... غمرتنا بشارة وسرورا

ولنحي المليك رمزا مجيدا ... واماما مقدسا مبرورا

طاعة الله ان يطاع امام ... به اضحى جنابنا معمورا

جمع الشمل بالكياسة والحلـ ... ـم ، وصان الحمى وساس الامورا

هو ظل الاله فينا وحصن ... من عواد تعسر الميسورا

قد راينا نجاحنا به حقا ... فلنؤيده ، ولنجنب غرورا

— ◆ —

عشت يا سيد الملوك مطاعا ... من قلوب سكنتها محبورا

لك منا ولاء عهد وثيق ... هو دين به ندين الغفورا

صانك الله للبلاد وابقى ... عهدك الحر للحياة نشورا

وليعش فى رضاك شبلاك تزهى ... بهما وافر الرضى مسرورا

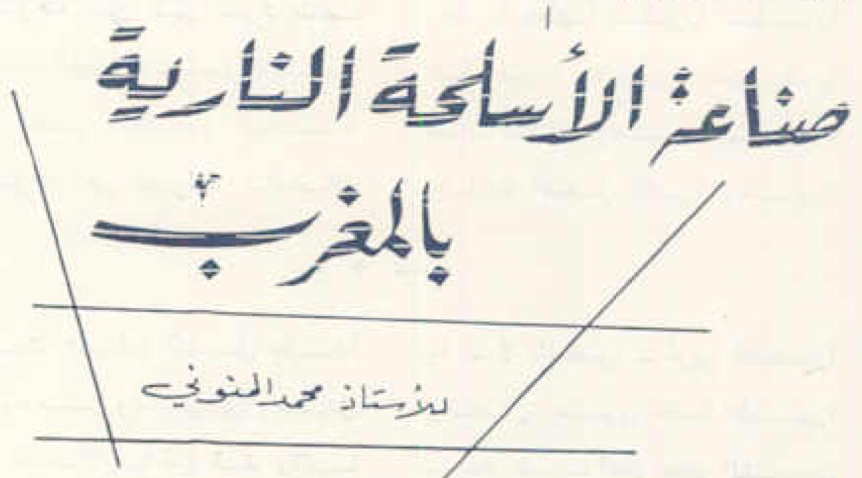
ولنا منهما بشائر يمن ... يترددن فى القلوب شعورا

حفظ الله ما حباك ووالى ... لك نصرا ورفعة وظهورا

دمت للامة المطيعة يا من ... لا نوفي جزاءه الموفورا

**الرباط : المدني الحمراوي**

دراسات مغربية :



# صناعة الأسلحة النارية بالمغرب

للأستاذ محمد المنوني

## مقدمـــة

خلال النصف الثاني من المائة 7 هـ / 13 م ابتدأ المغاربة يستعملون الالات القاصفة التى تقذف الكرات الملتهبة، وترمي الحصون والاسوار ، وقد تم استخدامها على يد ثلاثة من ملوك الدولة المرينية فى اربع معارك ، وهذا ما تستعرضه هذه المقدمة فيما يلي :

ا ـ فى عهد يعقوب بن عبد الحق المريني عند حصار سجلماسة عام 672 هـ / 1273 م ، قال ابن خلدون (1) لدى حديثه عن هذا الحصار :

« ونصب عليها ـ يعقوب المريني على سجلماسة ـ ءالات الحصار : من المجانيق (2) والعرادات (3) وهندام النفط القاذف بحصى الحديد ، ينبعث من خزنة امام النار الموقدة فى البارود ، بطبيعة غريبة ترد الافعال الى باريها » .

ونقله الناصري (4) وعلق عليه بقوله : « وفيه فائدة : ان البارود كان موجودا فى ذلك التاريخ ، وان النـاس كانـوا يقاتلـون به ويستعملونـه فـى محاصراتهم وحروبهم يومئذ » .

وبعد الناصري يعلق جرجي زيدان (5) على نفس النص ويقول : « وفى هذا القول شاهد صريح ان البارود كـان معروفـا عنـد العـرب ، وكانـوا يستخدمونه فى حروبهم قبل شوارتز (Schwarz) بنحو نصف قرن » .

ب ـ فى عهد ابي الحسن علي بن ابي سعيـد المريني ، وذلك فى الدفاع عن الجزيـرة الخضـراء جنوب اسبانيـة سنـة 746 هـ / 1342 ـ ورد فى « حضارة العرب » : الترجمة العربية (6) .

« وتثبت مخطوطات ذلك الزمن : ان الاسلحة النارية شاعت بين العرب بسرعة ، فاستخدموها على

---

(1) «العبر» «المطبعة الاميرية» بالقاهرة ـ ج 7 ص 188 .
(2) مدافع ترمي بالحجارة على المحصورين ، ولهذا تسمى ـ ايضا ـ بالمدافع الحجارة .
(3) نوع صغير من المجانيق .
(4) «الاستقصا» مطبعة القاهرة ج 2 ص 18 .
(5) «تاريخ التمدن الاسلامي» مطبعة الهلال بمصر سنة 1922 ـ ج 1 ص 181 .
(6) تاليف الدكتور غوستاف لوبون ، (Gustave Lebon) ترجمة عادل زعيتر ، الطبعة الثانية ، مطبعة « دار احياء الكتب العربية » ـ ص 579 .

الخصوص للدفاع عن مدينة الجزيرة التي هاجمها الادفونش الحادي عشر سنة 1342 م — 742 هـ ، وجاء في تاريخ الادفونش الحادي عشر ان **مغاربة المدينة** — يقصد المرينيين — كانوا يقذفون بكثير من الصواعق على الجيش فيرمون عليه عدة قنابل كبيرة من الحديد كالتفاح الكبير ، وذلك الى مسافة بعيدة من المدينة ، فيمر بعضها من فوق الجيش ، ويسقط بعضها عليه » .

ج — في عهد ابي عنان بن ابي الحسن المريني الذي استخدمها في حربه مع بني زيان ملوك تلمسان ، ويستفاد هذا من بيتين اثنين وقعا اثناء قصيدة لابن الخطيب (7) ، خاطب بها ابا عنان عقب الانصراف من بابه في غرض السفارة ، وقد تعرض في القصيدة لاستصراخه لفائدة الاندلس ، وجاء فيها هذان البيتان :

والروم فارم بكل رجم ثاقب
يذكي باربعها شواظ لهيب

بذوابل السلب التي تركت بني
زيان بين مجدل وسليب

د — في عهد ابي عنان — ايضا — في حصار بجاية ، ذكر هذا في «فيض العباب» (8) في صدد الحديث عن مناورة قام بها الاسطول العناني خارج بجاية وهذه عبارته :

« واتت — الاساطيل — من الفاظها (9) بكل متاجج الشواظ ، يجول دويه بين الالسنة والالفاظ ، مرسل في الجو ذؤابه كعقيقة البرق ، منذرة للسامعين بالصدق ، ومالئة بالهوبها ما بين الغرب والشرق»

هذا ويظهر ان اسطول سبتة — بالخصوص — كان مجهزا بهذه الالفاظ فقد وصف ابن الخطيب (10) هذه المدينة بانها ذات الاسطول الموهوب ، المحذور الالهوب » ومما يؤكد هذا ورود كلمة الالهوب في هذا النص ، بعدما راينا «فيض العباب» — آنفا — يصف دخان النفط بالالهوب .

وبعد هذا نذكر انه كان بفاس في القرن 8 هـ — 14 م صناع اختصاصيون في آلات النفط النارية، وقد جاء ذكرهم عند ابن الخطيب في «نفاضة الجراب» بعبارة : « قادحي شعل الانفاظ ونافضي ذوايب المجانيق» وذلك ضمن الصناع الذين استدعاهم الوزير المريني عمر بن عبد الله الفودودي (12) استعدادا لمرافعة جيش عبد الحليم بن ابي علي المريني حيث كان يحاصر فاسا الجديد وسلطانها تاشفين بن ابي الحسن المريني بتاريخ 7 محرم عام 763 هـ — 1362 م .

وهكذا يتبين من هذا العرض اسبقية المغرب لاستخدام الاسلحة النارية ، مع تسمية مقذوفاتها « بالبارود » من طرف كل من ابن خلدون والناصري وزيدان .

اما عن الآلات القاذفة للبارود فقد راينا تسميتها بالانفاظ عند مؤلف « فيض العباب » ، تعبيرا عما صار يسمى — من بعد — «باسم المدفع» ، وفي النصف الثاني من المائة التاسعة للهجرة، يتحدث مؤلف مغربي (13) عن تجهيز مدينة طنجة — من طرف المغنيين المغاربة — بالانفاظ العظيمة والمدافع .

— * —

ولا شك ان هذه الاسلحة النارية : بارودا ومدافع وبندقيات ، ثلاثتها تستلزم قيام معامل مغربية لانتاجها ، غير اننا لا نعثر على ذكر لهذه المعامل الا في النصف الاول من المائة العاشرة ، حيث بنى السلطان ابو العباس الوطاسي معملا للسلاح بالقصر الملكي من فاس الجديد ، وصار يستخدم لانتاج

---

(7) القصيدة واردة في ديوان « الصيب والجهام»: النسخة الثانية ، « مخطوطة خاصة » .
(8) مخطوطة المكتبة الملكية بالرباط رقم 3267 — ص 130.
(9) هكذا ورد في هذه المخطوطة بالظاء المشالة ، وقد فسر مدلوله سياق النص .
(10) «معيار الاختيار» مطبعة احمد يمني بفاس —ص 38 .
(11) مصورة معهد مولاي الحسن بتطوان رقم 27 — ج 2 لوحة 127 .
(12) انظر عن هذا الوزير : «العبر» ج 7 ص 212 — 224 .
(13) هو عبد الله بن احمد بن سعيد الزموري في تعليقه على الشفا لعياض، وقد سماه « ايضاح اللبس والخفا ، عن الفاظ الشفا » ، حسب مكتبة القرويين رقم 2798 .

الانفاط والبندقيات والبارود ، زيادة على صناعة الاقواس والنبال وغير ذلك (14).

وتعتبر الفترة السعدية العصر الذهبي لهذه الصناعة، واقدم مدفع مغربي هو الذى يرجع الى عهد محمد الشيخ الاول عام 952 هـ .

ثم تكاثر هذا الجهاز فيما بعد بالمغرب السعدي، فقد هاجم عبد الله الغالب مدينة البريجة باربعة وعشرين مدفعا في مقدمتها واحد يسمى ميمونة (15)، وكان في غاية الكبر ، وبعد هذا تشتمل بعض « محلات » محمد المتوكل على اكثر من مائة وخمسين نفطا (17) .

ولما بويع عبد الملك المعتصم اهتم — اكثر — بانتاج المدافع التى كان عارفا بصناعتها واشرف — بنفسه — على اعداد نحو ثمانية منها (18).

وقد بنى المنصور السعدي « دار العدة » على مقربة من قصر البديع بمدينة مراكش ، وهي التى يقول عنها الفشتالي (19) : واما ما يفرغ مع الايام من مدافع النار ومكاحلها بدار العدة المائلة قرب ابوابهم الشريفة من قصبتهم المحروسة .. فشيء غصت به الخزائن السلاحية والديار العادية » .

وقد كان ضمن الجيش المنصوري اربع فرق مدفعية تسمى بجيوش النار او عساكر النار ، قال الفشتالي : « والترتيب الذى جرى عليه العمل في عساكر النار بالحضرة : ان يتقدم — اولا — جيش السوس ، ثم يردفه جيش الشراقة ، ثم يردفهما العسكران العظيمان : عسكر الموالي العلوجين ومن انضاف اليهم ، وعسكر الاندلس ومن لبس جلدتهم ودخل في زمرتهم » :

وعن مدى اثر الآلات النارية في الواقع ، يسجل نفس المصدر (21) ان جيوش المنصور قاذفة بشواظ النار ، وحصباء البندق المنهل بسحائب البارود المركوم . ترجيه الرعود القاصفة ، والصواعق الراجفة .

والى عهد المنصور يرجع بناء اربعة عشر برجا مدفعيا تسمى « بستيونات » (23) ، وتتوزع بين اربع مدائن مغربية : واحد منها في مدينة تازا ، واثنان بمرسى العرائش، وتسعة تحف بأسوار فاس الجديد، واثنان خارج فاس العتيق على مقربة من باب الفتوح وباب محروق ، وقد كان هذا الاخير يعرف ببرج النار ، تدليلا على مهمته المدفعية ، ثم تنكب السكان هذا التعبير واستبدلوه باسم «برج النور» .

وقد جهز نفس السلطان هذه الابراج الاربعة عشر بالمدافع واسكن بها الحاميات المختصة ، وكانت مدافع حصني فاس القديمة تقذف بالبارود والنار، وبالاكر المعدنية والحجرية (23).

ومما يسجل للمنصور ان في عصره ظهرت بالمغرب عادة ضرب المدافع بمناسبة العيدين : عيد الفطر والاضحى ، وعند ورود بشارة ، قال الفشتالي عن مدافع فاس :

---

(14) « عروسة المسائل ، فيما لبني وطاس من الفضائل » ارجوزة لمحمد الكراسي ، المطبعة الملكية بالرباط — ص 36 .

(15) «المعجم التاريخي» للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله — ص 63 .

(16) تاريخ الدولة السعدية لمؤرخ مجهول الاسم ، نشر جورج كولان (Georges Colin) بالمطبعة الجديدة بالرباط — ص 53 .

(17) المصدر الاخير — ص 51 .

(18) «المعجم التاريخي» — ص 28 ، 63 .

(19) « مناهل الصفا في اخبار الملوك الشرفاء » ، السفر المختصر المطبوع بتطوان — ص 246 .

(20) المصدر الاخير — ص 165 .

(21) ص 65 .

(22) جمع بستيون بمعنى الحصن حسب التعبير الاسباني :

(23) «مناهل الصفا» ، المطبوعة المتكررة الذكر — ص 183 — 185 ، وعن تحديد عدد ابراج فاس الجديد ، يرجع الى « المنتقى المقصور » لابن القاضي ، مخطوطة المكتبة الملكية بالرباط رقم 1153، عند الباب العشرين ، وقد اشار — ايضا — لابراج فاس العتيقة والجديدة : المؤلف المجهول لتاريخ الدولة السعدية — ص 52 ، 65 .

(24) مناهل الصفا — ص 184 .

«واذا استهلت رعودها فى العيدين من المصلى او لورود بشارة عظمى ؛ فلا تسال عن دوي الارض ورجفانها ... ويمتد على البلدين ركام البارود كانما هو ليل مطبق »

وبعد هذا السلطان ينتقل نشاط هذه الصناعة الى ايام ابنه زيدان ، وسنذكر — وشيكا — انه لا يزال ، على قيد الوجود احد المدافع التى صنعت برسمه .

وقد وظف السلطان زيدان فى بلاطه الشهاب الحجري كترجمان وكاتب باللغة الاسبانية ، وقام هذا — بعد رحلته عن المغرب بترجمة عن الاسبانية لكتاب فى فن المدفعية وسمى الترجمة : « كتاب العز والرفعة والمنافع ، للمجاهدين فى سبيل الله بالمدافع » .

وقد جاء فى خاتمة الكتاب عن السلطان زيدان انه كان يبذل عطاء سخيا لمسيحي كشف له عن بعض اسرار الصناعة المدفعية (25) .

والظاهر ان نشاط صناعة الاسلحة النارية لم يتوقف نهائيا بعد وفاة زيدان، فقد افاد مصدر اجنبي أن هولندا كانت تستورد من المغرب البارود وملحه ، لاسيما خلال محاربتها للاسبان عام 1628 م (26) . ومن المعروف ان هذا التاريخ يوافق ايام عبد الملك الثاني بن زيدان : 1038 هـ .

والآن نذكر ان بعض المدافع السعدية لا يزال على قيد الوجود ، حيث كانت موضوعة بحديقة عمالة مدينة طنجة ، ومنها مدفع لمحمد الشيخ الاول ، كتب فى اعلاه بالخط المغربي : « صنع لمولاي محمد الشريف نصره الله نصرا عزيزا ، وفى اسفله : عمل منصو العلج عام اثنين وخمسين وتسعمائة » ، ومدفع ءاخر للسلطان زيدان ، كتب عليه بالخط الشرقي الثلثي : «امر بعمله عبد الله امير المومنين مولانا زيدان المظفر بالله ، ابن امير المومنين مولانا احمد ، بن امير المومنين مولانا محمد الشيخ ايده الله » . ويتوسط هذه الكتابة شكل مستطيل يشتمل على علامة زيدان (27) ..

ونسجل — فى خاتمة هذا العصر — ان الادب المغربي ساهم بنصيب فى تجميل بعض المدافع السعدية؛ فقد جاء فى ترجمة محمد بن علي الوجدي الغماد الفاسي ، ذكر اربع نتف شعرية من نظمه ، حيث كتب على مدافع صنعت برسم المامون السعدي ايام ولايته للعهد بفاس (28) .

— ※ —

وفى العصر العلوي عمل السلطان محمد الثالث لاحياء صناعة الاسلحة النارية والرماية المدفعية ، واستقدم — لهذه الغاية — بعثة من الاستانة عاصمة الخلافة العثمانية ، وقد وفدت هذه البعثة عام 1181 هـ / 1767 — 1768 م ، وكانت تتركب من ثلاثين خبيرا توزعوا — حسب اختصاصاتهم — الى اربع شعب :

— صناع السفن الحربية
— صناع القنابل المحرقة
— صناعة المدافع ومدافع الهاون
— اختصاصيين فى الرماية بمدافع الهاون .

وقد بعث السلطان المغربي بمعلمي المراكب الجهادية الى العدوتين ، فدخلوا دار الصنعة بالرباط وصاروا يشتغلون الى جانب المعلمين المغاربة

---

(25) كتاب «العز والمنافع» ، خ. ع ، ج 87 ورقة 114 ب ، وانظر عن التعريف بنفس الكتاب : محمد المنوني « ظاهرة تعريبه فى المغرب السعدي » . مجلة «دعوة الحق» ، العدد الثالث ، السنة العاشرة — ص 78 — 85 .

(26) جريدة «العلم» ، ع 874 ، السنة الرابعة.

(27) وقفت عليهما مع غيرهما بالمكان المشار له : عشية الجمعة 18 حجة عام 1375 هـ / 27 يوليوز سنة 1956 م .

(28) «روضة الاس» للمقري ، «المطبعة الملكية» بالرباط — ص 78 .

(29) ، ويلاحظ مؤرخ معاصر (30) ان الاتراك كانوا احكم صنعة ، بينما تفوق المغاربة فى اتقان تفصيل المراكــب .

اما صناع المدافع ومدافع الهاون فقد ارسلوا الى فاس فاقاموا بها الى ان ادركتهم الوفاة هناك ، ولم يذكر الزياني (31) ما اذا كانوا قد اشتغلوا بصناعة هذه الالات، غير ان مصدرا اجنبيا (32) يؤكـد ان السلطان محمد الثالث اسس مصانع لتذويب نحاس المدافع وجلب لذلك خبراء من الاستانة .

وقد اسس نفس السلطان مصنعا يتطوان لانتاج القنابل الثقيلة تحت اشراف المختصين الاتـراك ، الذين تعلم منهم هذه الصناعة بعض التطوانيين (33)، وقد يكون من انتاج هذا المعمل القنابل الضخمة التى استخدمت فى حصار مدينة الجديدة لتحريرها من حكم البرتغال ، ويصفها البعض بأنها على شكل قدور تزن الواحدة منها ما يزيد على القنطار (34) .

واذا كنا لا نعرف اسماء الاختصاصيين الاتراك فى الشعب الثلاثة الاولى ، فاننا نستطيع ان نعرف اسم كل من الاثنين المختصين فى الرماية بمدافــــع الهاون ، ويسمى اولهما باسماعيل الدريزي ، امــا الثاني : فيعرف باسم « بابا سليمان الدريــزي » ، والحاج سليمان البنباجي على طريقة النسبة التركية الى صناعة البنب التى هي القنابل المحرقة ، وقـد اشتهر هذا الاخير بالمغرب ، وكان عارفـا برمايـة المدافع ومدافع الهاون ، قال الضعيف « وهو الـذي علم اولاد الرباط وسلا وغيرهم ». والظاهر ان هذا هو الذى يقول عنه الزياني (36) بعد ذكر مدينة رباط الفتح : « فكان يعلم بها الطبجية من اهـل سـلا والرباط وتخرج على يديه نجباء ، ومـن ثم توارث اهل المدوتين هذه الصناعة مدة » ، ويذكـر عنـه الزياني ـ ايضا ـ انه ابلى بلاء حسنا فى فتح مدينة الجديدة (37) .

وقد اشتهر فى هذه الفترة وبعدها جماعة من الرماة المدفعيين: فكان منهم ـ فى الرباط ـ المعلم العنابة البعودي ، وكان عارفا بضرب المهراس ، وهو الذى ضيق على الاسبان فى حصار سبتة ايام السلطان اليزيد، فقتلوه ومثلوا به فى موقعة كانت يوم الخميس 24 حجة عام 1205 هـ ـ (38) 1791 م .

ومن سلا : نقدم ثلاثة : الاول : الحاج عبد الله يعقوب المتوفى نحو عام 1200 هـ ، قال عنـه ابـن زيدان (39) اثناء ترجمة محمد الثالث: «كان السلطان المترجم كلفه بسائر ثغور ايالته من موسى مليلية الى اطراف السوس ، واسند اليه سائر ما يرجع لابراج الثغور ومدافعها ومهاريسها ومتعلقاتها : من بارود وبنب وكور وتنظيم رجـال ، واصـلاح احـوال ، حسبما افصحت عن ذلك ظهائره المولوية التى خاطبه بها ، تاريخ اولها سنة 1177 ، وتاريخ اخرها سنة

---

(29) الزياني فى الروضة السليمانية خ . ع ، د 1275 ـ ورقة 119 : ا . ب ، مع خاتمة نشر المثاني المخطوط نسخة المكتبة الاحمدية ـ ورقة 343 ب ، ويحدد هذا المصدر الثاني عدد افراد البعثة فى ستة عشر ، ويثبت ان السلطان المغربي هوالذى استجلبها بواسطة سفيرين مغربيين اوفدهما لهذه الغاية ، وهما قاضي مراكش السيد طاهر بناني وشيخ الركب النبوي الحاج الخياط عديل ، على حين ان الزياني يجعل عدد افراد البعثة ثلاثين ، ويذكر ان السلطان العثماني بعث بهم ضمن هدية ـ مع السفير المغربي الحاج عبد الكريم راغـون .

(30) القادري ، عند الرقم المذكور من مخطوطة النشر الآنفة الذكر .

(31) الروضة السليمانية المخطوطة المشار لها ـ ورقة 119 . ب .

(32) المعجم التاريخي ـ ص 43 .

(33) الروضة السليمانية ـ ورقة 119 . ا، ب ، مع نشر المثاني المخطوط ـ ورقة 343 .

(34) «الاعلام ، بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام» ج 5 ـ ص 79 .

(35) فى تاريخه ، خ. ع، د 1706 ـ ص 71 .

(36) نقله فى الاستقصا، نشر دار الكتاب بالبيضاء ج 8 ص 32 .

(37) الروضة السليمانية ورقة 108 . ا.

(38) «تاريخ الضعيف» ، المخطوطة الآنفة الذكر ـ ص 152 ، والمهراس الوارد فى هذا النص كان يطلق على مدفع الهاون .

(39) «اتحاف اعلام الناس» ج 3 ص 261 .

1193 » ، وسنذيل هذه الدراسة بثلاثة من هـذه المراسيم .

الثاني : (40) محمد بن محمد بن حسين فنيش المتوفى بفاس عام 1236 هـ / 1820 – 1821 م

الثالث : محمد بن عبد الله ملاح (41)

ومن تطوان : نذكر احمد عنيقد ، المتوفى – بفاس – عام 1236 هـ / 1820 – 1821 م ، وكان – حسب اكنسوس (42) – لا نظير له ، وعبـارة الاستقصا (43) : « وكان عجبا فى صناعة الرمـي بالمهراس » .

واخيرا نذكر من مدينة فاس – سعيـد العلـج العارف بالرمي (44) .

— ※ —

ومن مظاهر النشاط الصناعي لانتاج بعض الاسلحة النارية فى هذا العهد ، ان المغرب استطاع ان يصدر الى الخارج اربعة ءالاف قنطار من ملـح البارود المصنوعة بالمغرب ، فى شكل مساعدة للدولة العثمانية (45) .

كما أن نشاط هذه الصناعة انعكس اثره على ميدان التاليف ، فظهرت – فى نفس العصـر – دراسات منثورة ومنظومة فى صدد الرماية المدفعية وما اليها ، وتقدم منها خمسة لا تزال كلها مخطوطة الاول : « النشر اللائق لمو اراد الجهاد بالصواعق » لمؤلف مجهول الاسم كان يعيش ايام السلطان محمد الثالث ، وضعه باقتراح من بعض اصدقائه ، وسجل فى افتتاحيته ولوع هذا السلطان باستخدام القنابل المحرقة فى المعارك الجهادية ، وهو يصنفه فى عشرة ابواب وخاتمة حسب المواضيع التالية :

– صفة تحضير ملح البارود

– طبيعة الاجزاء التى يتركب منها الفتيـل ، وهو الذى كانت القنابل توقد به فى هذا العهد .

– طريقة صنع الفتيل

– طريقة معرفة سعة فم المدفع .

– مقدار ما يوضع من البارود فى نـوع مـن المدافـع .

– كيفية وضع القنبلة فى المدفع .

– صفة جعل الفتيلة فى القنبلة .

– معرفة البعد الواقع بين المدافع والهـدف المعيـن .

– قواعد حسابية وهندسية موضوعـية فـى البابين التاسع والعاشر .

– خاتمة فى توصيات للرماة .

ومن الجدير الذكر أن هذه الرسالة تتخللهـا رسوم توضيحية ، وتوجد منها بضع نسخ خاصـة وعامة ، وتحمل مخطوطة خ . ع . رقم د 1342 . ومخطوطة المكتبة الملكية رقم 490 ، وكلتاهما ضمن مجموع .

اما الدراسة الثانية فقد جاءت منظومة فـى ارجوزة يشبه ان تكون ترجيزا للرسالـة قبلهـا ، وتسمى : « روض الجهاد الفائق ، لمن اراد الغـزو بالصواعق » نظم محمد بن احمد الريفي التمسماني العرائشي الدار ، فى ابيات 142 ، وفرغ من نظمهـا فى ربيع النبوي عـام 1195 هـ ، توجـد منـهـا مخطوطتان خ. ع. د 3368 ، واخرى بالمكتبة الملكية رقم 490، وهما – معا – ضمن مجموع .

الدراسة الثالثة : رسالة تحمل اسم « نزهـة الناظرين ، وتعليما للمجاهدين ، واعانة على جهـاد اعداء الله الكافرين » لمؤلف غير معروف ، جمعها عن الحاج سليمان التركي سابق الذكر ، وكان يعيش ايام السلطان محمد الثالث ، وقد تناول فيها صنع البارود وكيفية جعله فى المدافع ومدافع الهاون ،

(40) الجيش ج 1 ص 222 ، الاستقصا ج 8 ص 154 .
(41) الاستقصا ج 9 ص 19 .
(42) الجيش ج 1 ص 221 .
(43) ج 8 ص 154 .
(44) الاستقصا ج 8 ص 154 .
(45) «اتحاف اعلام الناس» ج 3 ص 307 ، وانظر «تاريخ الضعيف» ص 94 .

وقدر ما يجعل لكل واحد وطريقة قذف القنابل منها (46) .

الرابعة : ارجوزة فى صواعق البنبات ، وهي القنابل المحرقة ، لناظم كان يعيش ايام السلطان ، وتقع فى 143 بيتا ، وجاءت نسبتها لاحمد التمسماني ءانف الذكر فى مخطوطة خ. ع. د 1342 ، ووردت غير منسوبة فى نسخة المكتبة الملكية رقم 1043 .

الخامس : خاتمة رسالة فى العمل بالكرة الفلكية لمؤلف زار المغرب ايام السلطان محمد الثالث ، ويسمي نفسه محمد بن عبد القادر ، وقد ذيل هذه الرسالة بخاتمة فى شرح طريقة الرماية بالمدافع ، وهي مخطوطة عند البعض بمدينة وزان .

— ✻ —

## ملاحق

وتقدم ثلاثة من المراسيم الصادرة عن السلطان محمد بن عبد الله للرئيس الحاج عبد الله يعقوب السلاوي (47)

نص الاول وفيه مواضيع لا تقرأ :

« خديمنا القائد عبد الله بن محمد الرحماني . والقائد عبد الهادي . . . . سلام عليكما ورحمة الله تعالى وبركاته

وبعد : فحامله : خديمنا المعلم الحاج عبد الله يعقوب ، قد جعلناه كبيرا على جميع طبجية المدافع بثغري سلا والرباط ، واذنا له ان يتفقد فى كل جمعة احوال المدافع بالثغرين المذكورين ، بحيث يمسحهم ويصلح ما شاء من امرهم فنامر . . . . . ان يقدروه قدره . . . . . ولا يخالفوه ، فقد وليناه امرهم ، وجعلناه رئيسهم ، ونامركما . . . ان تشدا عضده ، وتكونا له خير معين ، وحيث يقرا هذا . . . الكريم على الطبجية ليمتثلوا امره المطاع ، يبقى ظهيره بيد الحاج عبد الله المذكور ، والسلام . فى سابع جمادى الثانية 1177 »

ونص الظهير الثاني :

« خديمنا عبد الله يعقوب ، سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته .

وبعد ، نامرك ان تعلمنا بعدد الانفاض الذين بثغر العرائش من غير سرائر، ولا تذكر لنا الا الانفاض المعتبرين ، واما المدافع المتلاشون الذين لا يقدرون على الخدمة فلا تذكرهم لنا ، وكذلك اعلمنا بعدد المدافع الذين بثغر العرائش ، لنعلم ما بقي لكمال المائة مدفع وتكملها ان شاء الله ، والسلام ، فى ثالث ذي القعدة الحرام ، سنة 1183 » .

ونص الثالث :

« خديمنا عبد الله يعقوب ، سلام الله عليك ورحمة الله وبركاته .

وبعد : فنأمرك ان تقدم لفضالة وتقف على المدافع حتى ينزلون «كذا» فى الموضع الذي فيه الخشب ، وخرجهم انت وبوعز بن فاتح : عمارة للواحد ، وها نحن امرنا خديمنا السيد محمد بن احمد ينزل عشرة من الخيام يعسون عليها، والسلام ، فى العشرين من صفر الخير عام 1186 » .

**الرباط ـ محمد المنوني**

---

(46) «دليل مؤرخ المغرب الاقصى» رقم 2296 .

(47) خ. ع « فيلم » : 45 . 48 . 50 ، ج ، ح ، ح ، ني .

من التراث الأندلسي:

# أوصاف الناس في التواريخ والصلات

للوزير لسان الدين ابن الخطيب (713-776)

تحقيق ودراسة الدكتور محمد كمال شبانة

- 4 -

ومن ذلك في وصف:

## 24 – ابي زيد خالد بن خالد

فائز من الابداع بكل مطلوب، ومشتمل اسماع وقلوب، (82 : ب) وفي البداوة حسن غير مجاوب (1). قدح قريحته الوقادة، وراض صعب الكلام فاعطاه المقادة. فتالق بذلك الافق تالق البرق، وطلع بتلك الجهة الشرقية ولا ينكر النور على الشرق. فشرف في قومه، واصبح فيه امسه منافسا ليومه. الى بلاغة تتحلى بها صفحات المهارق، وعفاف حتى عن الخيال الطارق.

ورحل الى هذا العهد القريب، وقد اصبح بحسن ضرائبه عديم الضرائب، فاقتحم فرصة المجاز (2)، الى مثابة الحجاز، فقضى وطره من تلك المشاهد، وتبرك بلقاء اهلها من عالم وزاهد. وقفل وقد دون رحلة سفره، وزها بها زهو الجفن بزهره، والخد بخفره.

واجتاز بالبلاد الموحدية، فدعته الى خدمة بابها، وقلدته رياسة كتابها. فاينع روضه والمر، وحل بهالتها فاضاء وابدر، فلم يكن الا كلا واكثر. حتى جذبه الشوق برسنه، وطار به الوجد الى وطنه. فاسرع اللحاق، واثار على النور المحاق، وعلى ذلك فقد ولي للحين (83 : أ) ببلدته قضاءها، وتقلد انفاذ الاحكام وامضاءها، رحمه الله.

ومن ذلك في وصف:

## 25 – ابي عبد الله بن عبيدة

مجموع ادوات، وفارس قلم ودواة. وشيخ تقع العين منه على صورة ظريفة، وهيئة ظريفة، وفريع بيت نبيه، واصالة ليس لها من شبيه. وله خط حسن، وبلاغة ولسن. تصرف في القضاء فما ذوى لسيرته نور، ولا نسب له حيف ولا جور.

ومن ذلك في وصف:

## 26 – ابي زكريا القباعي

شاعر، اذا نظم اجاد، وان استسقى طبعة جاد. الى ديانة سابغة الاذيال، واخلاق معتقة الجريال (3)، ومعان الطف من طيف الخيال. ولم اقف من كلامه

(1) عجز بيت يروى هكذا:

حسن الحضارة مجلوب بتطرية      وفي البداوة حسن غير مجلوب

(2) يعني انه عبر مضيق جبل طارق.

(3) الجرية: في الاصل حوصلة الطائر، وربما عنى بها هنا وعاء المسك في جسم الغزال.

الا على قصيدة ، مبدية في الاحسان معيدة ، يخاطب بها الوزير ابا بكر بن الحكيم (4) .

ومن ذلك في وصف :

## 27 ــ ابي جعفر السياسي

حسن الاغراض ، نقي الجراهر من مخالطة الاعراض ، وادب غض كزهر الرياض ، ومعان كمن فيها الابداع ( 83 : ب ) كمون السحر في الجفون المراض . وتقدم للقضاء ببعض تلك الجهات . فاقام رسمه ، وانفذ حكمه ، بنزاهة مأثورة ، وسيرة مشكورة .

ومن ذلك في وصف :

## 28 ــ ابي جعفر بن عبد الحق

مجموع فضائل ، وكامل لم يدع مقالا لقائل . ان ذكرت المعارف فهي من حلابه ، او تليت سورة السور كان ذكره ام كتابه .

قعد ببلده يدرس العلم ويجيل قداحه ، ويدير اكواس البيان ويشعشع راحه . فأصبح به غرة ، وبلبل عصره ودره . الى وقار تحسد العضاب سكونه ، وتهوى ان تكونه . واقناع بحسب كل سائل ، ومقيم من المشكلات كل مائل . وادب لا تشح رهامه (5) ، ولا تتعدى الفرض سهامه ، صدر معظمه في دول درسه ، واجتناء ثمرة العلم من غرسه ، على جهة التعليم والتدريب ، لمنتحلى البيان والقريب .

ومن ذلك في وصف :

## 29 ــ الحكيم المفرد ابي عثمان بن لبون

مجتهد مشمر ، منقبض عن الناس متغمر . قصر ــ على نظر العلم اوقاته ، وتبلغ بالقليل بقاته . وعكف على التقييد والتدوين ( 84 : 1 ) ، واكتسب من الامهات كل ذخر ثمين ، وهلم جرا ، فقد اشتهر بفوده صبح المشيب ، ونضا برده الزمن القشيب . وما فتر عن مواصلة اجتهاده ، وايثار ارقه وسهاده ، ومال الى صناعة الطب فدون فيها ، وشارك منتحليها . وجعلها مادة حاله ، ومحط رحاله .

وله نظم حسن ، وعارضة ولسن ، نظم به العلوم ودون ، وتقلد في شتى المآخذ وتلون . وبآخره فهو روضة انيقة ، وخميلة وحديقة ، وضارب بسهم في كل طريقة . وقد البت من شعره يسيرا ، جعلته للمحاسن اكسيرا (6) .

ومن ذلك في وصف :

## 30 ــ المكتب ابي عبد الله ابن قاسم المالقي

مجدد مرتل ، وعابر متبتل ، على ما يزلفه من صالح الاعمال ويدنيه . عكف على تعليم كتاب الله العزيز ، وشمر فيه على قدم التبريز ، وارتضاه الوزير ابو الحكيم اماما لصلاته ، واعتمده بجوايزه الجزيلة وصلاته . ولم يزل (84 : ب) يرفع بضبعه(7) حتى عصف الدهر بربعه . فضاع ضياع مصباح الصباح ، ولعبت به الايام كما لعبت بالهشيم ايدي الرياح . وتقلبت به ايدي الزمان ، واحوجت الثمانون سمعه الى ترجمان (8) .

وله ادب محتكم القوى ، منيع الهضبات والصوى (9) .

ومن ذلك في وصف :

---

(4) سيفرد له ترجمة خاصة بعد قليل .
(5) الرهام : ج رهمة بكسر فسكون ، المطر الخفيف الدائم .
(6) الاكسير : في الاصل مادة تلقى على الفضة فتتحول الى ذهب خالص ، وهو من الخرافات ، ولكن في العلم الحديث يعني الاكسير « مادة الحياة وسرها » لاي شيء عامة .
(7) القصد من التعبير : الاشادة بالذكر عاليا .
(8) اقتباسا من قول الشاعر :

ان الثمانين ــ وبلغتها ــ قد احوجت سمعي الى ترجمان

والتعبير كناية عن بلوغ المترجم له مرحلة متاخرة من العمر .
(9) الصوى : ما يوضع من احجار كدليل بالطريق.

## 31 ـ ابن عبد الله بن الصايغ

ـ من اهل المرية (10) ـ

بحر معرفة لا يغيض ، وصاحب فنون ياخذ فيها ويفيض . نشا من بلاده مشمرا عن ساعد اجتهاده ، وسائر فى فن العلم ووهاده ، ومواصلا لارقه فيه وسهاده ، حتى اينع روضه ، وفهق حوضه (11) وضاءت سرجه ، وتعطر ارجه .

ولما استكمل من المعارف ما استكمل ، وبلغ ما امل ، اخذ فى اراحة ذاته ، وشام فوارق لذاته . ثم سار فى البطالة سير الجموح ، وواصل الغبوق الصبوح (12) ، حتى قضى وطره ، وسئم بطره . وركب الفلك، وخاض اللجج الحلك. واستقر(85 : ا)بمصر على النعمة العريضة بعد قضاء الفريضة، وهو اليوم (13) بمدرستها الصالحية (14) ـ عمرها الله بذكره ـ نبيه المكانة ، معدودا فى اهل العلم والديانة . وصدرت عنه الى هذه البلاد قصيدة نبوية ، تغنى بها الحادي المطرب ، وكلف بها المصعد والمصوب ، تدل على انفساح طباعه ، وامتداد باعه .

---

(10) المرية : مدينة كبيرة جنوب شرق الاندلس، تعرف فى الاسبانية باسم Almeria وهي من اجمل الثغور والمدن الاندلسية ، وعاصمة الولاية المسماة باسمها ، يبلغ تعداد سكانها حاليا 63.000 نسمة ، واهم صادراتها الحديد والرصاص والفاكهة ، وكانت فى العهد الاسلامي من اهم ثغور الاندلس الجنوبية ، ولها اصالتها التجارية ، فقد ذكر ابن الخطيب انه كانت تقطنها على ايامه جالية اجنبية من النصارى الاسبان وغيرهم ، وكانت مهنة معظمهم التجارة استيرادا أو تصديرا، وترجع شهرتها فى هذا الى صناعة الحلل الحريرية الموشاة ، وقد اعانها موقعها البحري على تصدير هذه الصناعة الى الخارج بواسطة السفن، والى الداخل بواسطة القوافل البرية . وقد ذكر « المقري » فى روايته عن كتاب « مزية المرية على غيرها من البلاد الاندلسية » لابن خاتمة الانصاري احد ابنائها ـ انه كانت بالمرية على عهده 800 نول لطرز الحرير، و100 نول للحلل النفيسة والديباج ؛ وامثال هذا العدد مكرر لانواع اخرى من هذه الصناعة ، كالستر المكللة وغيرها . كما ذكر عن نفس المصدر انه كانت تصنع بالمرية صنوف متنوعة من ءالات الحديد والنحاس واشكال من الزجاج ، وكلها مما لا يكاد يوصف ، ثم اضاف « ابن خاتمة » قائلا : انه لم يكن فى بلاد الاندلس اكثر مالا من اهل المرية ، ولا اعظم متاجر ولا اوفر ذخائر، وانه كانت بها دار للصناعة .

ولقد بنى المدينة اصلا الخليفة الاموي عبد الرحمن الثالث « الناصر » عام 344 هـ 955 م ، وسقطت فى يد الاسبان ابان حروب الاسترداد عام 895 هـ (1490 م)

راجع : الروض المعطار للحميري ، ص 183 ـ 184 ، وخطرة الطيف ، ضمن «مشاهدات ابن الخطيب فى بلاد الاندلس والمغرب » ص 43 بتحقيق د. العبادي ، ط جامعة الاسكندرية 1958، ونفح الطيب للمقري جـ 1 ص 154 ، ثم ما ذكره المستشرق « زيبولد » فى دائرة المعارف الاسلامية عن وضعية هذه المدينة فى العصر العربي جـ 1 ص 319 .

(11) فهق الحوض او الاناء : امتلا حتى صار يتصبب، والكناية هنا عن استكمال المترجم له لاسباب العلم والمعرفة .

(12) الغبوق : العشي ، والصبوح ، الغداة . والقصد هنا : مواصلته ليله بنهاره فيما هو بصدده .

(13) عصر المؤلف ( ابن الخطيب )

(14) تنسب هذه المدرسة الى منشئها السلطان الصالح الايوبي من دولة المماليك البحرية بمصر، البالغ عددهم 24 سلطانا (1250 ـ 1290 م ) ، وهم قسيم لمن بعدهم من المماليك البرجية ، وهؤلاء يبلغون 23 سلطانا (1382 ـ 1517 م ) والجميع يرجعون اصلا الى اجناس شتى ، فمنهم التركي والشركسي والمغولي والايطالي والالماني واليوناني . وقد طارت شهرة المماليك لما حققوه لمصر من قوة وثروة وسلطان ، كما يرتبط تاريخهم بصد الخطر المغولي ، وانهم اخرجوا الصليبيين من الشام، حتى غدوا القوة العظمى دفاعا عن العالم الاسلامي يومئذ ، ويعتبرون فى النهاية ءاخر الدول المستقلة التى حكمت مصر .

راجع : تاريخ العالم العربي وحضارته ، للدكتور زيادة وءاخرين. ص 215 ـ 217 ط القاهرة الخامسة 1965 م .

ومن ذلك في وصف :

### 32 ـ ابي عبد الله بن الحاج البضيعـــة

مسدد المقاصد ، آخذ للمعاني بالمراصد . وكاتب شروط لا يساجل في مضمارها صحة فصول ، وتوقيع فروع على اصول . وكلما طلب بالنظم القريحة ، واعمل فكرته الصريحة ، اجابت ولبت ، وتسنمت رياح بيانه وهبت .. وحفظت العامة من كلامه لقربه من افهامها ، وانتصاب غرضه لسهامها .

ومن ذلك في وصف :

### 33 ـ ابي عبد الله بن عصام

منتم الى حسب ومجد ، وقارع من الاصالة كل نجد ، وان نوزع فيها بخصام ، وخلفة لمالك راس من بعده ، واستوفى بمرسية ( 85 : ب ) حظ سعده، حتى اتاه الاجل لوعده ، وراعه الدهر ببرقه ورعده .

وكان هذا الرجل عدلا من عدول بلده ، وذاهبا من الفضل الى اقصى امده ، لولا تهور كثر وافرط ، وطيش تخبط في شركه وتورط .

وله ادب ضعيف المبنى ، خال من المعنى ، كان يسهل عليه ، وينثال بين يديه .

ومن ذلك في وصف :

### 34 ـ ابي جعفر بن ابي غالب

ماطر جاد بالوابل السجم ، وشاعر افتتح بيتا في النجم . وبليغ قاد الكلام برسنه، وايقظ طرف البلاغة من وسنه ، وطبق مفصل فصل الخطاب بلسانه .

كان وابن عمه ـ رحمهما الله ـ فرسي سباق ، ومديري كاس اصطباح للادب واغتباق . غير انه كان اشد انقباضا ، واكثر ازورارا (15) عن الخدمة واعراضا . وابن عمه اسمح طباعا ، وافسح باعا، واوفر صاعا ، فقد انتجع واسترفد ، واصلح بتعريضه واقتصد ، حسبما تضمنه كتابي المسمى بـ « طرفة العصر ، في اخبار دولة بني نصر » .

وقد اثبت من شعر ابي جعفر ( 86 : ا ) هذا ما يشهد باجادته ، وبنظمه في فرسان الكلام وقادته.

ومن ذلك في وصف :

### 35 ـ ابي الحسن الرقاص

سابق لا يشق غباره ، ودوح فنون لا يغب جناه (16) ولا تذبل ازهاره . تتبع الغوامض بثاقب فهمه ، واصمى كل مشكلة بسهمه (17) فشأى حلبته وتقدمها ، وزاول المعارف وخدمها ، فترشف منها كل ريقه ، ولم يقتصر على طريقة ، وتفيأ كل حديقة ، من مجاز وحقيقة . فكلما استمطرته صاب ، او رميت به غرضا اصاب . حتى تضوع نسيمه، وتحدث بخبره رائد العلم ومسيمه . الى نفس بعيدة الهمم ، لطبيعة الشمائل والشيم .

وقد اثبت من ادبه ـ الذي خاطبني به ـ كل عطر النفحة ، مشرق الصفحة .

ومن ذلك في وصف :

### 36 ـ ابي عبد اللـه النجـار

متفنن مشارك ، وآخذ في الادب غير تارك . برع في الوثيقة واحكامها ، وتنزيل فصولها على مقتضيات احكامها . الى نفس جبلت على حسن الاخلاق ، وشمائل اعذب من الماء الزلال ( 86 : ب ) في المذاق ، وايناس يسري في الارواح سرى الراح ، ومذاكرة اشهى من العذب القراح .

وهو الآن صدر في عدول بلده ، وسابق تقف الحلبة منهم دون امره .

ومن ذلك في وصف :

### 37 ـ ابي عبد الله الزبار الونشي

صنع اليدين ، فايز من سهام الضراب بالفريضة والدين . اذا زين الطروس (18) وقطر اصباغها ، واحكم في قوالب السحر افراغها ، حسد

(15) الازورار : مصدر ازور ، وهو العدول والانحراف .

(16) غبت الفاكهة تغب : بمعنى انها تاتي ثمارها اياما بعد ايام ، فالقصد هنا ان علم المترجم له لا ينقطع.

(17) اصماه السهم : اصاب منه مقتلا ، والمقصود هنا اصابة التوفيق في شتى المشاكل المعروضة عليه بما يتوفر عليه الشيخ من فقه وتصرف .

(18) الطروس : ج طرس بكسر فسكون ، وهو الصحيفة .

قدح تلوينها ، وحقرت الرياض بساتينها . الى خط يقف عنده الطرف ، وادب كالروض راق منه المجتلى وتارج العرف (19) ونفس ارق من نسيم الفجر ، واخلاق اعذب من الوصل فى عقب الهجر . وقد ثبت من كلامه ما تعذب موارده ، وتروق شوارده .

ومن ذلك فى وصف :

### 38 – ابي جعفر بن صاحب الصلات

محسن لا ينازع احسانه ، وبليغ لا يساجل لسانه ، وذكي يتوقد فهمه ، ومجيد يصيب كل غرض بسهمه . فما شئت من ادراك ماضية نصوله ، وذكاء علت فروعه وطابت اصوله ، ( 87 : 1 ) وظرف كالروض لما اعتدلت فصوله ، وادب شدت معاقده ، فلا يطمع فيه ناقده .

جالسته فى بعض التوجهات الى مالقة – حرسها الله – فرضت روضا تعطر وتارج ، ومر به نسيم دارين (20) بتارج . فلما ظفرت بجناه الطيب ، وقعلت تحت غمامه الصيب ، تركت خبره لعيانه ، وخطبت نبذة من بيانه ، فانشدني ما يذكر .

ومن ذلك فى وصف :

### 39 – ابي القاسم بن رضوان

اديب احسن ما شاء ، وفتح قليب قلبه فملا الدلو بل الرشاء ، وعانى فى حداثته الشعر والانشاء . وله ببلده بيت معمور ، بفضل وامانة ، ومجد وديانة . ونشا هذا الفاضل على اتم العفاف والصون ، فما مال الى فساد بعد الكون . وله خط بارع ، وفهم الى الغوامض مسارع ، فقد ثبت من كلامه ، ونفثات اقلامه ، كل محكم العقود ، زارا باينة العنقود .

ومن ذلك فى وصف :

### 40 – ابى بكر بن مقاتل

تابعة مالقية ، وخلف ممن ترك الادباء وبقية ، ومغربي الوطن اخلاقه مشرقية . اشتهر بالاجادة بين اصحابه ، وتالق تالق البارق خلال سحابه ، حتى اشتهر احسانه ، ومضى عند الشعر لسانه . ثم ازمع الرحيل الى المشرق ، مع اخضرار العود وسواد المفرق ، وسهم القدر لا يخطى ، ومن استحثه الاجل لا يبطى . ولما توسطت السفينة اللجج ، وقارعت الثبج ، هال عليها البحر فسقاها كاس الحمام ، واولدها قبل التمام . وكان رحمه الله فيمن اشتملت عليه اعوادها ، وانضم على نوره سوادها ، من الطلبة والادباء ، وابناء السراة الحسناء . اصبح كل منهم مطيعا ، لداعي الردى سميعا ، واحبوا فرادى وماتوا جميعا . فملأوا القلوب حزنا ، وارسلوا العبرات مزنا . وكان البحر لما طمس سبل خلاصهم وسدها ، واهال هضبة سفينتهم وهدها ، غار لدررهم النفيسة فاستردها .

والفقيه ابو بكر – مع اكثاره ، وانقياد نظامه ونثاره – لم اظفر من ادبه الا باليسير التافه ، بعد وداعه وانصرافه .

**مكناس – د. محمد كمال شبانه**

---

(19) العرف : الرائحة عموما ، والاستعمال الاكثر للرائحة الطيبة ، فتارج العرف هنا ، انتشرت رائحته الطيبة .

(20) دارين : موضع بالبحرين فى الخليج العربي ، يجلب اليه المسك من الهند ، وينسب اليها .




للدكتور محمد علي حيدر

تم الفتح الاسلامي لبلاد الاندلس فى سرعة عجيبة ، حتى ليعتبر انتصار المسلمين فى اوربا لاول مرة ، اشبه ما يكون بمعجزة تاريخية كبرى ، واسطورة من اساطير البطولة الاسلامية ، ذلك بأن الفتح الاسلامي لهذه البلاد ، التي ركب المسلمون البحر اليها ، لم يكد يستغرق اكثر من عامين ( 92 — 95 هـ ) .

وهذه المدة التي قضاها الجيش الاسلامي على ثرى الاندلس جهادا وفتحا تعتبر من اقصر الفترات فى تاريخ الفتوحات الاسلامية ، ولا سيما اذا قورنت بما قضاه المسلمون فى فتح بلاد المغرب التي استغرقت اكثر من سبعين عاما .

ولا يستطيع الباحث المدقق ان يعلل سرعة الفتح الاسلامي وشموله لبلاد الاندلس بالطبيعة السهلة لهذه البلاد ، اذ انها لا تخلف كثيرا من حيث التضاريس عن بلاد المغرب ، فجبال الريف فى المغرب تقابل جبال سرا نفادا فى الاندلس ، وجبل موسى يقف بحذاء جبل طارق ، كما ان الهضبة الوسطى فى الاندلس كتلك الهضبة التي تتوسط سلاسل الجبال فى المغرب ، كما ان السهل الساحلي موجود بحذاء الشاطئين : الاوربي والافريقي . اذن يجب البحث عن عوامل اخرى تكشف السر عن الاسباب الحقيقية فى انتصار المسلمين ، والتى كانت بدورها عوامل هزيمة لاعداء ، فما اهم تلك الاسباب التى هيأت مسرح العمليات العسكرية لهذا الانتصار السريع والحاسم ؟؟

لقد كان الفاتح الاسلامي يجلب معه اشكالا راقية من التنظيم السياسي والاجتماعي والاقتصادي رحبت بها الجماهير العريضة فى الاندلس ، وصفقت لها لانها تتفق مع احتياجاتها ، بعد ان كانت تلك الجماهير تعيش فى عالم عبودي منحل للغاية . او عالم اقطاعي مقطع الاوصال .

فقد قامت الدولة الاسلامية بنظامها الديمقراطي لتحل محل الحكم المطلق الذى ساد العالم متمثلا فى الامبراطورية الفارسية شرقا،والامبراطورية البيزنطية غربا ، وبذلك قضت دولة الاسلام على فكرة تأليه الحكام ، وقضت على سلطانهم المطلق ، وجعلت ذلك كله للقانون الاسلامي الذي تمثل فى القرءان الكريم ، والسنة النبوية والاجماع ، الذي يطلق عليه الاجتهاد الجماعي ، والقياس ، الذي هو اجتهاد فردي .

وهدف الدولة الاسلامية الذي قامت من اجله هو تحقيق العدل المطلق والكامل بين جميع المواطنين، وتمثل خير تمثيل فى الحرية السياسية والحرية الاجتماعية والاقتصادية ، والحرية الدينية ، فى ظل المساواة والاخاء ، وفى مراعاة للمصلحة العامة التي هي فوق مصالح الافراد .

وبذلك الغى الاسلام الامتياز الطبقي الذي كانت تتمتع به طائفة من دون الناس، ولم تكن رابطة الجنس او الوطن هي المؤهلة لنيل العضوية فى الدولة الاسلامية، لان الاسلام يحارب الاقليمية الضيقة ، والعنصرية المتعصبة وانما صارت العقيدة وحدها هي الرابطة

الحقيقية بين المسلمين ، والمؤهلة لنيل العضوية العاملة فى الدولة الاسلامية ، وفى الوقت نفسه حرص الاسلام كل الحرص على ان يضمن العدل لمن ابوا الدخول فى الاسلام وظلوا على دينهم لان دولة الاسلام تنظر للانسانية نظرة عامة وشاملة .

كان هذا هو التنظيم السياسي الذي حمله الفاتحون العرب فى كل مكان ونشروا مبادئه فى كل اتجاه ، ويظهر انه نظام ديمقراطي سليم يجعل السيادة للقانون فى ظل الحرية والاخاء والمساواة .

اما النظام الاقتصادي فلم يقل روعة عن ذلك النظام السياسي ، فقد الغت الدولة الاسلامية كثيرا من الضرائب التي كانت مفروضة من قبل ، ولم تبق الا على نوعين اثنين فقط هما : الجزية التي هي ضريبة تفرض على رؤس اهل الذمة نظير المنعة لهم والدفاع عنهم ، والخراج الذي هو ضريبة على الارض التي استولى عليها المسلمون صلحا ، او عنوة كما يرى كثير من رجال القانون الاسلامي .

وبهذا الاجراء صارت الضرائب بسيطة ، وزال الظلم الاجتماعي الذي كان يقع على كاهل كثير من المواطنين الذين اثقلوا بالضرائب الكثيرة ، كما حددت الضرائب ، وروعي فى تحديدها مبدا الطاقة ففرض على الاغنياء اربعة دنانير لكل شخص كجزية سنوية ، اما اذا كان الفرد من الطبقة الوسطى ففرض عليه ديناران ، اما ان كان من الطبقة الدنيا ، فيدفع دينارا واحدا ، كما روعيت طبيعة الارض جودة ورداءة فى ضريبة الخراج .

وفى مجال الحرية الدينية ، حققت الدولة الاسلامية حرية العبادة ، واصبحت الطوائف غير الاسلامية تؤدي شعائرها دون ازعاج او اكراه على الدخول فى الاسلام وبذلك حقق الفاتح الاسلامي بسماحته التفوق المعنوي ، وبروحه النقدية تحقق التفوق العقلي فى مواجهة التعصب الاستبدادي .

ومع ايماننا بان التفوق العسكري للدولة الاسلامية كان له اثره فى سير حركة الفتح الاسلامي بصورة عامة ، الا ان العامل الاساسي فى تيسير حركة الفتح فى الاندلس ، ودفع الحركة الاسلامية تلك الدفعة القوية ، انما كان يكمن فى هذا التقدم الكبير فى الفكر السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذى جاءت به دولة الاسلام مما اطاح فى حركة خاطفة بالانظمة المتعفنة ، والتي كانت مبنية على الاستعباد والظلم ، والتى سببت الجمود والعقم .

وبينما كانت النظم الاسلامية آخذة فى الازدهار، وتنشر آثارها فى كل اتجاه كانت اوضاع الاندلس السياسية والاجتماعية والاقتصادية قبل الفتح الاسلامي فى تدهور واضمحلال ، مما جعل بلاد الاندلس لا تقوى على الصمود او الوقوف امام تلك الحضارة النامية والزاحفة والتي تمثلت خير تمثيل فى حضارة الاسلام . فقد كانت الاندلس يحكمها قبائل القوط بعد ان طردوا «الوندال» عنها .

فى اوائل القرن السادس الميلادي ، ولم تكن لدى القوط حضارة قديمة او تراث ثقافي يستندون اليه فى حكمهم ، لذلك نجدهم يبقون على كل التقاليد الرومية القديمة ، ولم يشعر المواطنون بأن شيئا جديدا قد حدث فى المجال السياسي وانما غاية ما هنالك ان الحاكم الروماني استبدل بحاكم قوطي .

وتطرق الفساد الى نظام الحكم القوطي بعد ان سرت روح التخاذل فيما بينهم ، وكانت السنوات الاخيرة من حكمهم ، والتي سبقت الفتح الاسلامي تعتبر من اسوا السنوات التي عاشتها هذه البلاد ، بعد ان غدت مسرحا للحروب الاهلية والفتن الطائفية بين المطالبين بالعرش ، وقسم الاشراف وكبار رجال الدين البلاد الى اقطاعيات كبيرة وسكنوا القصور ، وانصرفوا الى اللهو والترف والبذخ .. مما أمات فيهم حمية آبائهم ... وعلى هذه الصورة فسدت الحياة السياسية ، ودب الضعف ، مما جعل البلاد تقع فريسة سهلة لاى فاتح يقبل عليها ، وتفتح ذراعيها لاستقبال ذلك الفاتح الجديد املا فى انقاذها من تلك الحالة السيئة التي صارت عليها .

ولم تكن الاوضاع الاجتماعية باقل سوءا من الاحوال السياسية ، فقد انقسم المجتمع الى طبقات « بعضها فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا » .

**الطبقة العليا :** وتكونت هذه الطبقة من النبلاء ، وكان الملك على راس هذه الفئة التي تكونت اساسا من أسرة الفاتح العظيم لهذه البلاد وكانت جماعة النبلاء تتمتع بنفوذ لا حد له ، فكان سلطانها غير مقيد بقانون، بل كانت ارادتها هي القانون ومشيئتها هي النظام ، وتمتعت بامتيازات اجتماعية واقتصادية ، فكانت املاكها الواسعة معفاة من الضرائب ؛ مع انها كانت اكثر الفئات ثروة بينما كان العدل يقضي بأن تتحمل هي العبء الاكبر فى الضرائب .

وكانت طبقة رجال الدين تلي طبقة النبلاء من حيث سعة النفوذ وبسطة السلطان ، لان الدين كان مسيطرا على كل شيء في الدولة ابان العصور الوسطى حتى لقد اعتقد من الناس ان رجال الدين في مقدورهم ادخال الاخرين الجنة او النار .

ومن ثم انفرد رجال الدين بمشاركة النبلاء في سعة النفوذ السياسي فكان من حقهم وحدهم ان يباركوا الملك الجديد بعد انتخابه من النبلاء وحدهم وهذا يدل على اشتراكهم في عملية انتخاب الملك ، كذلك كان لهم نفوذ اقتصادي كبير ، واعفيت ضياعهم الواسعة من الضرائب وقد سلك رجال الدين — بعد ان ورثوا — السياسة الموروثة فساموا عبيدهم الذل والخسف والهوان كما كان يفعل نبلاء القوط واثرياء الرومان .

ويقول السير توماس ارنولد : « وقد كسب رجال الدين لطائفتهم نفوذا راجحا في شئون الدولة ، وجلس الاساقفة وكبار رجال الدين في المجالس الوطنية التي كانت تجتمع لاقرار الشئون الهامة في الدولة والتصديق على انتخاب الملك وادعت لنفسها الحق في عزله اذا ابى الاذعان لقراراتهم ، واتخذ القسس من هذه القوة التي وصلوا اليها سبيلا لاضطهاد اليهود الذين كانوا طائفة كبيرة العدد في اسبانيا ، وصدرت الاوامر المشددة ضد كل من امتنع عن الدخول في المسيحية » .

**الطبقة الوسطى :** وبينما كانت الطبقة العليا في المجتمع الاسباني تتمتع بهذا النفوذ وذلك السلطان ، كانت الطبقة الوسطى مضيعة الحقوق ، مهيضة الجناح ، مع ان الطبقة الوسطى في كل المجتمعات الانسانية هي تلك الطبقة العصامية المستنيرة المثقفة ، والتي هي المؤثر على حياة تلك المجتمعات وتقدمها . او ضعفها وانحلالها ، فاذا زادت اعداد هذه الطبقة كان ذلك دليلا على حيوية المجتمع الذي تعيش فيه ، اما ان قلت اعدادها فان ذلك مؤذن بانهيار هذا المجتمع وتدهوره .

ونحن اذا بحثنا عن هذه الطبقة خلال عهد الدولة القوطية بالاندلس وجدنا اعدادها آخذة في النقصان ، ولم تعد تتكون الا من سكان المدن الاحرار وقد اثقلت بالضرائب الكثيرة مما جعل افرادها يحيون حياة اقرب الى الفاقة منها الى الغنى ، واحتكرت الطبقة العليا الصناعات والزراعة ، مما كان سببا في تدهور احوال هذه الطبقة .

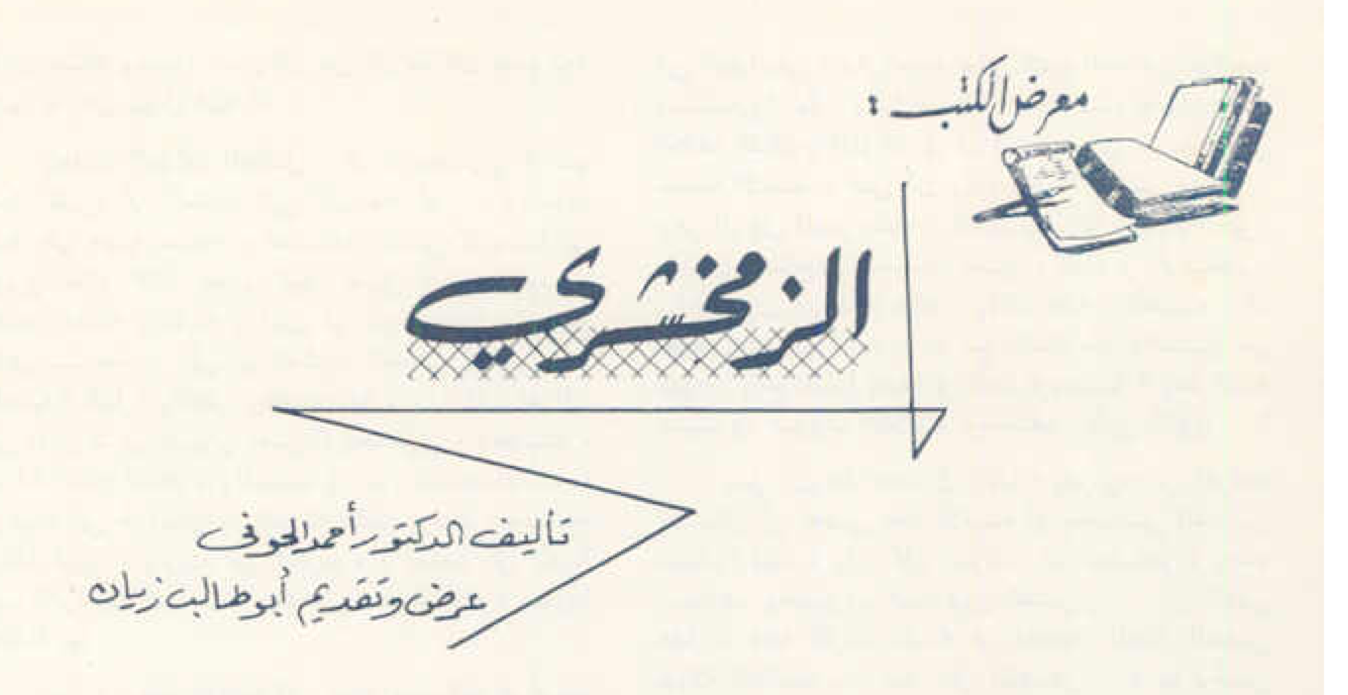
**الطبقة الدنيا :** اما الطبقة الدنيا الكادحة ، فكانت اكثر طبقات المجتمع عددا واقلها حقوقا ، وكان اكثر افراد هذه الطبقة يقومون باعمال الزراعة في اقطاعيات النبلاء ورجال الدين ، وقد ارتبط اولئك الزراع بالارض التي كانوا يشتغلون فيها ، واخذوا ينتقلون معها اذا انتقلت ملكيتها من مالك الى آخر فكانهم عبيد الارض وملك لصاحبها .

ولم يكن عبيد الارض وحدهم هم الذين يشكلون هذه الطبقة البائسة بل كانت هناك جماعة الرقيق الذين كانوا اسوا حالا من عبيد الارض ، اذ كانوا كالسلع يباعون ويشترون وليست لهم حقوق على الاطلاق بحيث لم يكن القانون يمنع سيده من قتله ولا من تعذيبه ، وكانما الشيء الوحيد الذي امتاز به عبيد الارض عن الرقيق هو حق الحياة وحدها .

من هذا كله يظهر ان المجتمع الاسباني قبل الفتح الاسلامي كان مجتمعا فاسدا منحلا غير متماسك ، فسدت فيه الحياة السياسية ، وعاش الناس في ظل الظلم الاجتماعي القائم على الامتياز الطبقي ، والاضطهاد الديني المبني على التعصب الذميم . مما جعل انتصار المسلمين في هذه البلاد سريعا وحاسما وشاملا نظرا لتفوق الدولة الاسلامية في نظامها السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، مما جعل الرابطة قوية بين الشعب الاسلامي والحكومة الاسلامية ، وتوحدت بذلك غايات المقاتلين ، بينما الفساد الذي استشرى في المجتمع الاسباني افقد الفرد ولاءه للدولة واحدث انفصالا بين الدولة ورعاياها ، مما جعل الجيش الاسلامي في زحفه لا يواجه سوى حكومات ظالمة ، بينما وقف الشعب في كثير من المواقف بجانب الدولة الاسلامية ، لانه راى ان مصلحته سوف تتحقق على ايدي اولئك الفاتحين الذين لا يهدفون الا الى رفع شعار الحرية والعدالة والاخاء والمساواة بين جميع البشر في اى مكان من العالم .

وبعد .. فما احوجنا نحن المسلمين في هذه المحنة القاسية التي تعرض لها المجتمع الاسلامي في العصر الحديث ان نتمثل حضارة الاسلام ، وان نبعثها في ثوب قشيب علنا بذلك نستطيع ان نعيد مجد الاسلام ، وعز المسلمين ، ونصرة العرب .

**القاهرة : الدكتور محمد علي حيدر**




لا ادري ــ علم الله ــ ايهما الزمخشري : محمود ابن عمر بن احمد ، ام احمد بن محمد بن الحوفي ، فكلاهما زمخشري عصره ، وعالم وقته ، ورائد فنون مختلفة من العلم والادب والبيان .

والواقع ان الدكتور الحوفي ، يمضي في هذا الكتاب ، على سننه في التاريخ ، ونهجه في البحث ، فيحاول رسم الصورة الجسدية والنفسية والخلقية لبطله ويضعه بين يديه ، حتى لا يدع لغيره من البحاث، ثغرة ينفذون منها ، او حيلة يتحيلون بها في الدراسة ، او سندا من تلك الاسناد الهشة التي يتعلق بها بعض الدارسين والقاوين ، معاودة الدراسة ، او تقليبها بغية التمام او الكمال . .

تناول المؤلف الفاضل : خوارزم وموقعها ، ومكانتها بعد الفتح ، ووصفها في القديم ووصف المقدسي لها ، ووصف ياقوت وابن طوطة ، وبعض مدنها ، ومدينة « زمخشر » على وجه اضفى. ثم اعقب هذا بكلمة مفصلة عن خضوع تلك البلاد زمنا غير يسير للحكم العربي ، ثم خضوعها للدولة السامانية التي عنيت باللغة العربية الى جوار عنايتها باللغة الفارسية ، وخضوع البلاد بعد ذلك للدولة السلجوقية ، ثم للدولة الخوارزمية .

والذي يحمد للدكتور الحوفي ، انه لم يفته في خلال هذا العرض التاريخي من استكناه حقائق هذا التاريخ ، ان يذكر السلاطين الذين ادركهم الزمخشري، ولا الآثار الجليلة التي خلفها الوزير « نظام الملك » في تشجيع العلوم والآداب . والواقع انه « ما كادت خراسان وخوارزم وما وراء النهر، وغيرها ، تخضع للحكم العربي حتى جعلت تستعرب ، وتكاثرت فيها بذور اللغة العربية والادب والعلوم الاسلامية ، وسرعان ما نبتت وبسقت فروعها ، واينعت ثمارها » .

فلاغرابة ان كثر العلماء والادباء، وكثرت المدارس، وجد العلماء والمؤلفون والمدرسون في التعليم والتثقيف والتاليف ، وعلا شان المكتبات ، وحرص الحكام على مجاراة الركب المتقدم بتقريب الشعراء وتشجيع الحركة الفكرية مباهين جيرانهم من اللاحقة ، ومنافسين سلفهم بحسن الاحدوثة وبعد الصيت والهيبة .

ولقد خص الدكتور الحوفي : خوارزم بفصل من هذا الكتاب ، تناول فيه الادباء والعلماء الذين اثروا الادب واثروا في العلم ، وانتجوا بالعربية والفارسية ، وطريقة التاليف والمذاهب التي سادت فيما حول هذا الاقليم ، وغلبة بعض المذاهب على بعض ، وموقف خوارزم من الحياة العلمية والادبية .

ولد الزمخشري بزمخشر ، وكان مولده في ازهى الفترات التي نهضت فيها الآداب والعلوم ، ثم رحل بطلب العلم الذي يطمح اليه ، وعين نفسه به بالمكانة المرموقة والمناصب العالية ، يساعده على ذلك ، ذكاء لماح ، وتطلع وساع ، وارتقاب الى ما تسفر عنه تلك الحياة الجادة التي عاشها الزمخشري في مطلع حياته ،

وإبان نشأته وصباه .. ولكن هل نال ما كان يحلم به، وتبوأ ما كان يتوق اليه ؟؟

يحدثنا المؤلف الفاضل : ان الزمخشري ، لم يصل كغيره الى المكانة التي كان يجد لها .. ويسوق دليلا على خيبة مسعاه ، قصيدته التي كتبها الى الوزير نظام الملك يصور فيها ضيق نفسه ، وبرمه بعلمه وفضله وكفايته ، التي لم تبوئه المكان الرفيع الذي يستحقه . على ان الدكتور الحوفي لم يثبت القصيدة كلها ، واكتفى ببعض منها ، وان كان قد اتى على ما يريد من تصوير نفس الزمخشري ، وتعاسته ، وعتابه لنظام الملك ، والسبب في عدم التفاته اليه ، ورحيله الى خراسان ، واتصاله بالملوك ، وخيبة رجائه فيهم ، وتوبته عن المديح ، واتجاهه الى مكة مشوقا راجيا الصفح من ربه على مافرط منه ، معتزما الاقامة بها .

غير ان هذه الاقامة الى جوار بيت الله لم تدم طويلا ، فعاوده الحنين الى وطنه ، الذي تحسر في الرجوع اليه ، فعزم على الرحيل مرة اخرى الى بلد الله ، وفي منطلقه اليها ، يعرج على الشام ويمدح تاج الملوك « بوري طغتكين » صاحب دمشق ، وابنه « شمس الملك » الا انه كان مدحا خالصا لله ، ثم يمضي الى مكة ويعكف على تفسيره « الكشاف » .

ولكن هل دامت هذه الاقامة بالزمخشري الى آخر عمره ؟؟ اللهم لا .. فقد عاوده الشوق وبرح به الحنين الى وطنه ، فسافر الى خوارزم وعرج على بغداد ، ثم اقام ببلده الى ان حم به القضاء ، وانتقل الى جوار ربه عام سبعة وثلاثين وخمسمائة من الهجرة ، لا كما انتهى اليه المؤلف من انه العام الثامن والثلاثون بعد الخمسمائة على وجه لا يجمل النقاش فيه .

ومما يزيد في نفع هذه الدراسة ، ويعظم اثر نفاستها ، ان المؤلف قد اورد اساتذة الزمخشري ، وترجم لكل منهم من باب التعريف بفضله ، ومركزه على وجه خاص في حياة صاحبه .

فقد كان استاذه محمود بن جرير الاصفهاني ، فريد عصره ، ووحيد دهره في علم اللغة والنحو ، يضرب به المثل في انواع الفضائل . كذلك سمع الحديث عن شيخ الاسلام ابي منصور نصر الحارثي ، ومن ابي البطر ، واخذ الادب عن ابي علي الحسن بن المظفر النيسابوري ، ورحل الى بخارى ليستزيد من مناهل علمائها ، واجتمع في بغداد بالفقيه الحنفي الدامغاني ، وبالشريف ابن الشجري وزار ابا منصور ابن الجواليقي ، وقرأ عليه بعض كتب اللغة من فواتحها ومستجيزا لها ، وقرأ في مكة كتاب سيبويه وان كنت اخالف الدكتور المؤلف في ان الزمخشري قد جلس جلسة التلميذ ، قبل ان يودع الحياة بخمس سنين ، وهو الرجل المعتز بعلمه ، الذي يرى انه مهضوم الحق، مهيض الجناح في المنصب، مسلوب المقام في الوظيفة.. وكيف يرى من هذه حاله ، وذلك عقله وتطلعه ، ان يعرف عنه انه تتلمذ وقد بلغ السادسة والستين من عمره ، وبلغ شأوا بعيدا في العلم ، وصيتا لا يعد له صيت في ضروب الكلام ، ومختلف افانين القول . !!

ومن كان هذا حاله في العلم ، ومركزه بين اقرانه، فلا يمكن ان يحصى عدد تلاميذه او يحصر الذين تتلمذوا عليه ، وان كان المؤلف قد احصاهم ، وعدد اسماءهم وحصرهم فيما دون العشرين . وان ناقض هذا ما قاله المؤلف نفسه في مقدمة الفصل الخاص بهؤلاء التلاميذ .. فقد قال القفطي : « ما دخل الزمخشري خراسان وورد العراق، اودخل اي بلد الا اجتمع الناس عليه ، وتتلمذوا له ، واستفادوا منه » .

ويقول القفطي كذلك : « انه اقام بخوارزم تضرب اليه اكباد الابل ، وتحط بفنائه رحال الرجال، وتحدى باسمه مطايا الآمال » .

ولقد اتى الدكتور الحوفي بثبت لمؤلفات الزمخشري ، وقسمه عدة اقسام : العلوم الدينية ، واللغة ، والنحو ، والعروض ، والادب ، وهي في مجموعها سبعة واربعون كتابا ، لا يعرف اكثرها ، او لم تطبع ، او لم يشتهر امرها ، كما اشتهرت كتبه المعروفة المتداولة .

وليس من شك في ان التحديد الذي التزم به الدكتور الحوفي في ايراد هذه الكتب ، والثبت الذي اخذ نفسه به، لم يكن من الحكمة او من التصفقق هذا التاريخ والعرض ، فما لم يطبع هنا قد طبع هناك ، وما لم يتداول في بلد ، تداول في بلد آخر ، وما نحب لونه من الوان المعرفة ، يرفضه اناس آخرون ، والعكس هو القاعدة التي تسود دائما في العرف والبلاد المتباينة ، فاذا قلت مثلا : ان كتاب « شقائق النعمان في حقائق النعمان» لم يعرف في مصر ، فليس معنى هذا انه لم يعرف في العراق او الحجاز ، فهو في مناقب ابي حنيفة ، وغير معقول الا يعرف اهل الحجاز مناقب هذا الامام الاكبر ، ولا اهل العراق كذلك !

وقد يطبع الكتاب طبعة واحدة بنسخ قليلة ، وتنفد هذه النسخ في وقت قصير ، ويكاد يقضي على

الكتاب ، ثم يستبين ان هذه النسخ نقلت جميعهـا او اكثرها الى بلد آخر ، بحرص على اقتناء هذا الكتاب ، او يحب ان يستاثر به كما فعل بكتـاب : « اعجـب العجب في شرح لامية العرب » للزمخشري ، فقـد رايت نسخة مطبوعة بالقسطنطينية في مكتبة الشاعر الراحل السيد « حسن القاياتي » منذ عشرين عاما ، اهداها اياه طالب في الازهر كان قد جلبها معه في احدى روحاته الى تلك البلاد ، وان كنت قد سمعت ان هذا الكتاب قد طبع بالقاهرة طبعة اخرى ، ولكن اين هو وفي اي عهد ، وفي اي مطبعة، الا ان يكون كما ذكر المؤلف بالقاهرة ؟

سببه واحد في رايي ، هو الذي جعـل الدكتور الحوفي يذكر جل كتب الزمخشري ويعقب عليها بانها غير معروفة ، هو صعوبة الوقوف عنـد كل كتـاب والتعريف به ، او عدم الحصول عليه وهو يهم بتحضير مادة هذا الكتاب .

على ان نجاح الدكتـور الحوفـي في تصويـر الزمخشري ، والالمام بمكوناته قد جعلته يتحاز على قدر وجيز نحو بطله ، فهو يناقش صفاته الجسديـة وثقافته ، واعتزاله ، وعزة نفسـه ، وموقف الزمخشري بين الطموح والقناعة ، وتدينه ، وتواضعه ، وحبـه للعرب والعروبة ، وقوته على مخالفيه ، وعزوبته . ثم يقف وقفة طويلة في رحاب التفسير والتاويل ، والباعث على تاليف «الكشاف» وبعض من نقل عنه الزمخشري، ويعرف بالاعتدال ، واصول هذا المذهب ، ويعرض لكثير من تفاسير بعض الآيات ، ويناقش في فطنة راي هذا العالم وموقفه من هذه الفرق كلها .. كما لم يفت المؤلف أن يناقش العدل في راي المعتزلة ، وحريـة العباد ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتيـن ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

واستكمالا لهذه الدراسة الماتعـة ، لم يفـت الدكتور الحوفي ، ان يثبت اثر الزمخشري في ميدان النحو ، واللغة ، والشعر ، والبلاغة ، والنقد ، وسبقه الى تقسيم البلاغة الى بيان ومعان وبديع . ولقد ارجع المؤلف تبريز الزمخشري في هذه الفنون جميعا الـى مرونته على الجدل والمحاجة ، وقدرته على التعبيـر عما يختلج داخل نفسه ، وغيرته على الاسلام .

وليس من شك في ان تحليل آثار الزمخشري في هذا الكتاب ، لمما يزيد في نفعه ، ويضعه في موضعـه الذي يحب صاحبه ان يضعه فيه : فللزمخشري آثار نفيسة ، تسمو على آثار من عاصروه من العلمـاء او شافهوه من الادباء هي اولى بالدراسة ، واقمن بالوقوف عندها . « فالكشاف » موسوعة في التفسير ، حافلة بموضوعات كثيرة في النحو والبلاغة والادب والفقه والقراءات وما يتصل بها من تعليل وتمحيص وتدليل . « واساس البلاغة » ، معجم لغوي ، جمع المفـردات ومعانيها الحقيقية والمجازية ، وكثيـر من النصوص البليغة التي وردت فيها ، وذلك غير كتبـه في الادب والبلاغة والنقد والامثال والمقامات والحديث والنحو .

على ان الدكتور الحوفي : قد عالج كل هذه الآثار، ووقف وقفة العالم المتثبت امام كل ما عثرت عليه يده، في حيدة تامة ، ومناقشة اصيلة ، وتضلع فيما كـان يبديه من راي ، او يستعرضه من بيان .

ولو لم يسبق بعض الادباء من دراسة الزمخشري في كتب محدودة الاتجاه ، لقلت : ان هذا اول كتـاب يجمع الزمخشري ، متكاملا ، ويدرسه مجتمعا ، ويقف بعلمه الواسع، امام من يريد التاسي، او يحب الاغتراف من هذا النبـع .

واني لارجو ان يوفق الله الدكتور الحوفي الى الحصول على بعض كتب الزمخشري المفقودة ، وتتاح له فرصة تحليلها والكشف عما بها من كنوز ، ويومئذ، يعاد طبع هذا الكتاب ، كموسوعة كبرى ، تضم كل ما ترك الزمخشري في العلم والادب وسائر الفنون .

**القاهرة ــ ابو طالب زيان**




تأليف الأستاذ عبد الله كنون

تقديم الأستاذ عبد الرحيم بن سلامة

اتحفنا الاستاذ الاديب عبد الله كنون بكتاب قيم سماه « ادب الفقهاء » تولت طبعه مؤسسة دار الكتاب اللبناني وهو يقع فى نحو ( 300 صفحة ) من الحجم المتوسط فى ورق صقيل وطباعة جيدة .

وقد قسم المؤلف كتابه الى قسمين :

فى القسم الاول يقوم المؤلف بدراسة « ادب الفقهاء » مادته واعلامه (1) .

وفى القسم الثاني يحلل المؤلف موضوعات ادب الفقهاء واغراضه (2) .

ونحن قبل ان نلقي اضواء ساطعة على محتويات كل قسم من الكتاب ، نرى من المفيد ان نعرف الظروف التى دفعت بالمؤلف الى اختيار موضوع هذا الكتاب ، والمنهاج الذى اتبعه فى انتقاء مواده ، ولذلك نجده فى المقدمة يقول :

« .. لم يكن باعثي عليه (3) الا اريحية الادب والاهتمام بجمع شوارده ونظم فرائده التى درج مؤلفو الآداب على استبعادها من النصوص الادبية لمجرد انها انتاج طائفة من الادباء غلب عليهم وصف آخر غير الادب وهو الفقه والعلم ، ومع ان فى دراستها وعرضها العرض الذى يجلو محاسنها متعة واثراء لادبنا العربي الاصيل .

ومن هنا يعلم ان قصدي من المحاماة عن ادب الفقهاء هو توجيه الدراسات الادبية الى استيعاب اعمال الادباء بالمعنى الواسع وعدم الاقتصار على المنتخبات المعروفة ، والاسماء الرسمية ، فان فى كنوز الادب العربي اعلاقا وذخائر ما زالت لم تدرس او لم تستكشف بعد .

ثم يقول الاستاذ كنون فى خاتمة مقدمة كتابه :

« وعسى ان يكون فى هذا العمل ما يثير الانتباه الى هذه الكنوز المنسية ويحمل على استخراج محتوياته النفيسة » .

### القسم الاول

فى هذا القسم يتولى الاستاذ عبد الله كنون تحليل بعض الجوانب الادبية لفقهاء اعلام امثال ابي الفضل بن النحوي ، وعروة بن اذينة ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، ومالك بن انس ، والشافعي ، وعبد الله بن المبارك ، واحمد بن المعذل ،

(1) استغرق هذا القسم نحو 80 صفحة .
(2) هذا القسم هو المهم حيث استغرقت صفحاته 174 صفحة
(3) اي على تأليف هذا الكتاب

والقاضي عبد الوهاب، والخطابي ، والمعافي بن زكرياء، ومحمد بن داود الظاهري ، وابن حزم ، وابن الوليد الباجي ، وابي بكر بن العربي ، والقاضي عياض ، وابن دريد ، والزمخشري ، وابن حيان الغرناطي ، ويعقوب الكندي ، وابي بكر بن زهر ، وابن الياسمين والشريف الادريسي .

وقد جعل لهذا القسم مدخل طريف استشهد فيه برواية لابن خلدون جاء فيها على الخصوص :

« روى العلامة ابن خلدون عن ابي القاسم بن رضوان كاتب العلامة السلطانية بالدولة المرينية قال: ذاكرت يوما صاحبنا ابا العباس احمد بن شعيب ( الجزنائي ) كاتب السلطان ابي الحسن المريني ، وكان المقدم فى البصر باللسان لعهده ، فانشدته مطلع قصيدة ابي الفضل ابن النحوي ، ولم انسبها اليه ، وهو هذا :

لم ادر حين وقفت بالاطـــــلال
ما الفرق بين جديدها والبالـي

فقال لي على البديهة : هذا شعر فقيه . فقلت ومن ابن لك ذلك ؟ قال من قوله « ما الفرق ؟ » اذ هي من عبارات الفقهاء وليست من اساليب كلام العرب .

ثم اخذ المؤلف يؤيد هذا الراي بقوله :

« هذا صحيح فان لكلام العرب اساليب لا يحذقها الا من مارسها اشد الممارسة ، وكان محفوظه من النظم والنثر كثيرا جدا ، فهو اذا اراد الانفاق نفق من سعة ، ولم يقع فى ضائقة تلجئه الى القصور عما يريد التعبير عنه ، وهل الكلام الا من كلام ، وعن ( الجزنائي ) يقول المؤلف انه كان يحفظ عشرين الف بيت من شعر المحدثين فقط ، فما ظنك بما كان يحفظه من شعر الاقدمين ؟ ولذلك نبغ منه شاعر عظيم وناقد كبير قال فيه ابن خلدون : « وكان له شعر سابق به الفحول من المتقدمين والمتاخرين وكانت له الامامة فى نقد الشعر » . ولكن الاستاذ كنون يتوصل الى نتيجة هامة وهي ان الحفظ ( فى نظره ) لا يكفي وحده ، بل لا بد من الملكة، وهي الاستعداد النفسي الذى ينميه الحفظ وتصقله الممارسة .

والملكة عند كنون غير الذوق الذى يتحدث عنه علماء البيان ، فالملكة هي طاقة الانتاج وتحتاج الى الذوق ليكون الانتاج رفيعا . والذوق معيار النقد فصاحبه يعرف وجوه الحسن والقبح من الكلام ولكنه — يقول المؤلف — لا يكون اديبا الا اذا كان صاحب ملكة وهناك من يجمع بين الملكة والذوق فيكون اديبا وناقدا ، كاتبا وشاعرا كالعقاد من المعاصرين وصاحبنا الجزنائي من المتقدمين .

ثم يقدم لنا المؤلف هذه الابيات من شعر الجزنائي التى تنم عن نفسه العالي فى النظم فيقول فى الشوق الى الحبيب :

يا موحشي والبعد دون لقائه
ادعوك عن سخط وان لم تسمع

يدنيك مني الشوق حتى انني
لاراك راي العين لولا ادمعي

واحن شوقا للنسيم اذا سرى
بحديثكم واصيخ كالمستطلع

كان اللقاء فكان حظي ناظري
وسطا الفراق فصار حظي مسمعي

فابعث خيالك تهده نار الحشا
ان كان يجهله من مقامي موضعي

على ان شاعرنا ابو الفضل بن النحوي — يقول المؤلف — يعد من الشخصيات المزدوجة الثقافة ، فهو مع رسوخ قدمه فى الفقه له البراعة فى الادب والشعر ، وحسبك منه قصيدته المعروفة (بالمفرنجة) التى اشتهرت بين العلماء والادباء على السواء حتى نسج على منوالها كثير من الشعراء فعارضوها وشطروها ، وهي التى يقول فى اولها :

اشتدي ازمة تنفرجي
قد آذن صبحك بالبلج

وظلام الليل له سرج
حتى ياتي ابو السرج

وسحاب الخير لها مطر
فاذا جاء الابان تجي

ويقول ايضا :

اصبحت فيمن لهم علم بلا ادب
ومن لهم ادب عار عن الدين

اصبحت فيهم غريب الشكل منفردا
كبيت حسان فى ديوان سحنون

وبعد هذه التوطئة اخذ المؤلف يحلل ما المقصود بادب الفقهاء فقال بانه مادة خصبة للدراسة ، وباب

واسع يتضمن فنونا واغراضا مختلفة ، بعضها ممايتل نظيره فى ادب غيرهم، فهو يشتمل على شعر وجداني من الطبقة الرفيعة يعبر عن اعمق المشاعر الانسانية ، وارق العواطف القلبية. ومنه شعر فلسفي يتناول مطالب النفس العليا ويتحدث عن الروح وعالمها الفسيح، ومشكلة الوجود والحقيقة الازلية وما الى ذلك . اما الاخلاق والآداب ، شرعية وسياسية ، فادب الفقهاء هو منبعها الذى ينضب ، ومنجمها الذي يحتوي على ثروة طائلة لا نفاذ لها ويمدح الفقهاء ويرثون كغيرهم من الادباء ، وربما هجوا ولكنهم لا يتخذون ذلك حرفة كما يفعل غالب الادباء . على ان مدحهم – يقول المؤلف – لا يكون لطلب دنيا ونيل جائزة من صاحب ولاية او سلطان . انهم كانوا لا يرغبون فى القرب من الملوك ولا يتملقونهم الا من شذ منهم ، ولذلك فان اكثر مدحهم للرسول (ص) واهل الفضل والكمال ، وتكتسي امداحهم حلة خاصة من السمو الروحي لصدورها عن ايمان صادق بالممدوح وكمالاته النفسية التى تشبه اوصاف الممدوحين العاديين ، ومن ثم فان كثيرا من امداحهم يتغنى بها ويكون لها من القبول ما ليس لامداح فحول الشعراء وحين تكون هذه الامداح فى تمجيد الذات العلية والتغني بالحب الالهي فانها تكتسب فوق ذلك صفة القداسة لدى جماعة المتصوفين .

ثم يقول ما معناه :

وهناك مواضيع اخرى لادب الفقهاء ، ونماذج هي اقرب ما تكون للشعر القصصي ، كبردة البوصيري وهمزيته ، فانها وان كانت تعتمد المادة التاريخية فى مضمونها ، لا تألو جهدا فى استخدام الخيال وتجسيم الصور واثارة العواطف بما يجعل شكلها قريبا جدا من هذا الشعر القصصي الذى كثيرا ما يتحدث بخلو الادب العربي منه . وعلى الاقل فان هذا اللون الطريف من ادب الفقهاء – يقول الاستاذ كنون – يكون بابا من الشعر لم يطرقه غيرهم من الادباء ، ويمكن ان نسميه شعر السير ان لم يندرج فى شعر القصص .

ولعل الاستاذ كنون كان يعلم وهو بصدد تاليف كتابه ان سؤالا او اسئلة ستطرح حول لماذا سمي الكتاب « بأدب الفقهاء » ولم يختر له اسم « شعر الفقهاء » ولذلك سبق الاحداث واجاب على ذلك بقوله :

« .. وربما يلاحظ القاريء اننا اكثر ما نتحدث عن الشعر ، ومدلول الادب اعم من ان يقتصر فى الحديث عنه على الشعر دون اشارة الى النثر ، والواقع ان الباعث على كتابة هذا البحث هو النقد الذي يوجه الى شعر الفقهاء خاصة دون نثرهم ، فان النقاد درجوا على التعبير بقولهم هذا شعر فقيه اذا وجدوا فيه مغمزا من الناحية التى تناولها الجرتاني الذى بنينا بحثنا هذا على كلامه ، فالشعر اذن هو محط النظر من ادب الفقهاء . واما النثر فان لهم فيه يدا طولى قد تطغى على ما للادباء فى ذلك ؛ وما زالت كتابات الغزالي والطرطوشي وابن خلدون والراغب الاصبهاني وامثالهم من النماذج العالية التى تحتذى فى النثر العربي ، والبديهي ان ليس كل الفقهاء ممن برعوا فى النثر وكانت لهم فيه هذه المكانة المرموقة ، وانما الفرق ان النقاد لم يجدوا مثل هذا التفوق للفقهاء فى الشعر فلاحظوا عليهم ضعف الملكة الشعرية، وهم قلما درسوا الآثار النثرية للفقهاء حتى يحكموا بتفوقهم وان سكتوا عليها لما لم يجدوا فيها مطمعا .

وينتهي المطاف بالمؤلف الى قوله :

ان الوقت قد حان لدراسة النثر العربي من جديد وتقديم نماذجه الحية التى طالما غفل عنها مؤرخو الآداب والنقاد ، ومن ءاثار العلماء الذين ذكرناهم وغيرهم من الرحالة والجغرافيين والمؤرخين والفقهاء والمتكلمين والصوفية وعدم الاقتصار على آثار الكتاب بالمعنى الضيق كابن العميد والحريري والقاضي الفاضل ولسان الدين ؛ فان تقدم المعرفة وتطور الادب قد برهنا على ان نثر اولئك الاعلام هو المساير للطبيعة والموافق للذوق السليم .

ونحن اليوم – يقول المؤلف – على غراره تطبع لا على ما كان متكلفا من كتابات هؤلاء الادباء المتنوقين.

وهذا الادب الذى اتخذه الاستاذ عبد الله كنون مادة كتابه لا ينتمي لطبقة من الطبقات ولا لعصر من العصور ، وانما يتناول فترات وعهودا مختلفة تميزت بظهور فقهاء غلبت عليهم صفة الشاعرية فاشتهروا الى جانب مكانتهم الفقهية بقرضهم للشعر ، ولكن المؤلف يثير بصفة خاصة نقطة هامة وهي ما شاع من عدم قول علي كرم الله وجهه للشعر ، غير بيتين اثنين على ما جاء فى القاموس المحيط للمجد الفيروزبادي وهما قوله :

تكلم قريش تمناني لتقتلني
فلا وربك ما بروا ولا ظفروا

فان هلكت فرهن ذمتي لهم
بذات ودقين لا يعفو لها اثر (4)

ويقول الاستاذ كنون : وما نزال نسمعه من علمائنا الذين يعودون فينشدون ( لعلي ) من الشعر الشيء الكثير ، وصاحب القاموس نفسه قد خالفه في مادة (خيس) فانشد لعلي شعرا ينظر فيه

ثم اخذ بعد ذلك يقدم بعض الابيات لعلي (ض) مستشهدا باقوال الفقهاء مثل :

دونكها مترعة دهاقا
كاسا رعاقا مزجت زعاقا

وقوله كرم الله وجهه :

لمن راية سوداء يخفق ظلها
اذا قيل قدمها حضين تقدما

فيوردها في الصف حتى يقيلها
حياض المنايا تقطر السم والدما

جزى الله قوما قاتلوا في لقائهم
لدى الموت قدما ما اعز واكرما

ربيعة اعني ، انهم اهل نجدة
وبأس اذا لاقوا خميسا عرمرما

ولعلي – كما نعلم – قصائد كثيرة للموعظة والارشاد حفظنا منها ونحن تلامذة في الصفوف الابتدائية والثانوية الشيء الكثير نذكر من احداها هذه الابيات :

| | |
|---|---|
| صن النفس واحملها | على ما يزينها |
| تعش سالما | والقول فيك جميل |

الى ان يقول :

| | |
|---|---|
| اذا ضاق رزق اليوم | فاصبر الى غد |
| عسى نكبات الدهر | عنك تزول |

وخروجا من هذا الموضوع الشائك الذى يبعث الشكوك لا في شعر علي فحسب وانما في شعر الخلفاء الثلاثة ابو بكر ، وعمر ، وعلي ( كما حامت الشكوك من حول احاديث كثيرة للرسول )،

ولذلك فان المؤلف يقول : واذا تجاوزنا عهد الصحابة الى من بعدهم من التابعين والائمة والمجتهدين ، فاننا نجد بينهم الكثير من الفقهاء الذين قالوا الشعر الجيد وبذوا في بعض المعاني الفحول من الشعراء بل اننا نجد من هؤلاء الفقهاء من لم يسع النقاد والمؤلفين في الادب الا ان يعترفوا بموهبتهم الشعرية ويعدوهم في جملة المتفوقين .

والآن وبعد ان خلصنا من هذا المدخل المفيد ، فهل نتبع المؤلف في نهجه ونحلل شخصيات الفقهاء من خلال ادبهم وشعرهم ، ام نترك هذه المهمة للقاريء الذى يمكنه ان يتوسع في هذا الموضوع برجوعه الى الكتاب ؟ .

الواقع انني وجدت نفسي متحيرا بين الامرين، ولكن حرصي على ان يستوعب هذا العرض اهم جوانب الكتاب، دفعني ان اخطو خطوات المؤلف فاقدم بعض الشخصيات الفقهية من خلال نماذج شعرية ، واملي الا يضيع الاختصار فائدة الموضوع، ولذلك ساكتفي احيانا بتقديم ابيات شعرية لفقيه من الفقهاء مجردة من كل شرح او تعليق ، وانصح القاريء ان يرجع الى الكتاب نفسه للاستفادة من ءاثار كل شاعر فقيه ، فلا اكون مبالغا اذا قلت ان ما احتوت عليه ستون صفحة (6) من كتاب « ادب الفقهاء » قد لا نهتدي اليه برجوعنا الى مجلدات كثيرة .

وفيما يلي بعض النماذج الشعرية لهؤلاء الفقهاء :

## مالك بن انس

الامام مالك من المجتهدين الذين لم يشغلهم الاهتمام بتفريع المسائل والفتوى في النوازل عن الاسهام بحظه في الادب على مستوى رفيع ، فمما روي عن الشيوخ من نظم الامام مالك قوله يمدح القناعة :

هي القناعة لا ارضى بها بديلا
فيها النعيم وفيها راحة البدن

---

(4) نقل عن المازني ، ونقله المرزباني في تاريخ النحاة عن يونس ، وصوبه الزمخشري ، وهو غير مسلم.

(6) في هذه الصفحات القليلة تولى المؤلف شرح وتحليل ءاداب ازيد من عشرين فقيها على رأسهم الائمة : مالك ، والشافعي ، ومن المجتهدين ابن حزم والباجي والكندي وابن العربي والزمخشري والادريسي .

وانظر لمن ملك الدنيـا باجمعهـا
هل فاز منها بغير اللحد والكفن

ومنه قوله فى ادب السلوك :

اذا رفع الزمان عليـك شخصـا
وكنت احق منه ولـو تصاعـد

انـا حـــق رتبتـــه تجـــده
ينيلـك ان دنـوت وان تباعـد

ولا تقـل الـذى تدريـه فيـه
تكن رجـلا عن الـسـواى تقاعـد

فكم فى العرس ابهى من عـروس
ولكن للعروس الدهـر ساعـد

## الشـافـعـي

كان الامام الشافعي (ض) على قدرة اجتهـاده وسعة علمه وتفقهه ، شاعرا مقلقا جعل من شعـره منطلقا للحث على الاخلاق والآداب وتوجيه النصـح لجماعة المسلمين فهو القائل :

ولولا الشعـر بالعلمـاء يـزري
لكنت اليـوم اشعـر من لبيـد

وهـو القائـل :

ان الذي رزق اليسـار ولم يصـب
حمـدا ولا اجـرا لغيـر موفـق

والجديد فى كـل شـيء شاسـع
والجد يفتـح كـل بـاب مغلـق

واحـق خلـق اللـه بالهـم امـرؤ
ذو همـة عليـا وعيـش ضيـق

وفى الاعتزاز بالنفس يقول فى هذه الابيات :

على ثيـاب لو تبـاع جميعهـا
بفلس لكان الفلس منهن اكثـرا

وفيهن نفس لو تقاس ببعضهـا
نفوس الورى كانت اجل واكبرا

وفى حكاية تروى عن ادبه ان امراة وقفت عليه برقعة فتناولها فاذا فيها :

سلو المفتي المكي هل فى تـزاور
وضمة مخزون الفـؤاد جنـاح

فقراهـا وكتب تحت البيت :

معاذ اله الناس ان يذهب التقي
تلاصـق اكبـاد بهـن جـراح

ومن فقهاء المذهب المالكي الذين تحدث المؤلف عن ادبهم الفقيه عبد الله بن المبارك الذى يقـول فى احدى قصائده :

قد يفتح المرء حانوتا لمتجـــره
وقد فتحت لك الحانوت بالدين

بين الاساطين حانوت بلا غلـق
تبتاع بالدين امـوال المساكيـن

صيرت دينك شاهينا تصيـد به
وليس يفلح اصحاب الشواهين

ومن شعر احمد بن المعذل وهو من كبار فقهـاء المالكية قوله فى المدارك :

اخـو دنـف رمتـه فاقعدتـــه
سهـام من لحاظـك لا تطيـش

قوائل الاقــداح سوى احـورار
بهن ولا سوى اللحظـات ريـش

اصبن سوداء مهجتـه فاضحـى
سقيمـا لا يمـوت ولا يعيـش

كئيب ان تحمـل عنـه جيـش
من البلوى الـم بـه جيـوش

اما القاضي عبد الوهاب بن علي بن نصـر وهو ايضا من اعلام مذهب مالك فله طابع خاص فى شعره يجمع بين رقة الغـزل ، حيث يقلب عـلى الشاعر التفاؤل ، وكآبة الحياة حيث نجـد شعـره يطبـع بالضجر فيوجه اللـوم للمجتمع فيخاطبـه مخاطبـة المتشائم اليائس ، فمن رقيق شعره فى الغزل قوله :

ونائمـة قبلتهـا فتنبهــت
فقالت تعالوا واطلبوا اللص للحد

فقلت له انـي فديتـك غاصـب
وما حكموا فى غاصب بسوى الرد

خذيها وكفي عـن اثيـم ظلامـة
وان انت لم ترضي فالفا على العد

فقالت قصاص يشهد العقل انـه
على كبد الجاني الذ من الشهد

فبانت يميني وهي هميان حصرها
وبانت يساري وهي واسطة العقد

فقالت الم تخبر بانك زاهد
فقلت بلى. مازلت ازهد فى الزهد

اما الابيات التى ينقد فيها القاضي عبد الوهاب المجتمع فهي طويلة نكتفي منها بالاتي :

متى تصل العطاش الى ارتواء
اذا استقت البحار من الركايا

ومن يثني الا صاغر عن مراد
وقد جلس الاكابر فى الزوايا

وان ترفع الوضعاء يوما
على الرفعاء من احدى البلايا

اذا استوت الاسافل والاعالي
فقد طابت منادمة المنايا

وللخطابي وهو من اصحاب المذهب الشافعي قصائد رائعة نقتطف منها هذين البيتين المشهورين :

وما غربة الانسان فى شقة النوى
ولكنها والله فى عدم الشكل

واني غريب بين بست واهلها
وان كان فيها اسرتي وبها اهلي

اما المعافي بن زكرياء من مذهب الامام الطبري وقد كان قاضيا ببغداد فله شعر فقهي بديع منه :

الا قل لمن ظل لي حاسدا
اتدري على من اسات الادب ؟

اسات على الله فى حكمه
لانك لم ترض لي ما وهب

فجازاك عني بان زادني
وسد عليك وجوه الطلب

ومن شعر محمد بن داود الظاهري وهو ابن الامام صاحب مذهب الظاهر نختار له فى الحب والغزل :

انزه فى روض المحاسن مقلتي
وامنع نفسي ان تنال المحرما

واحمل من ثقل الهوى ما لو انه
يصب على الصخر الاصم تهدما

وينطق طرفي عن مترجم خاطري
فلولا اختلاسي رده لتكلما

رايت الهوى دعوى من الناس كلهم
فما ان ارى حبا صحيحا مسلما

ونصل بعد هؤلاء الى الفقيه الشهير ابن حزم الذي قال صاعد الاندلسي فى حقه :

« كان ابو محمد اجمع اهل الاندلس قاطبة لعلوم الاسلام ، واوسعهم معرفة ، مع توسعه فى علم اللسان ، ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والاخبار ، واخبرني ابنه ابو رافع الفضل بن علي انه اجتمع عنده بخط ابيه تاليف نحو اربعمائة مجلد ، تشتمل على قريب من ثمانين الف ورقة » (7) ومن اشهر كتبه المحلى وهو مطبوع فى احد عشر جزءا ، وله ايضا كتاب الاحكام فى اصول الاحكام ، ومن مؤلفاته المشهورة فى تاريخ الاديان والعقائد الفصل فى الملل والاهواء والنحل .

اما مقامه فى الادب والشعر ، وهو موضوع بحثنا ــ يقول المؤلف ــ فقد قال فيه الحميدي صاحب جدوة المقتبس « وكان له فى الاداب والشعر نفس واسع وباع طويل ، وما رايت من يقول الشعر على البديهة اسرع منه ، وشعره كثير » ونحن سنختار منه على كثرته وجماله هذه الابيات :

لئن اصبحت مرتحلا بشخصي
فروحي عندكم ابدا مقيم

ولكن للعيان لطيف معنى
له سال المعاينة الكليم

ويقول ابن حزم فى هذه الابيات التى يضمن فيها الاشارة الى مذهبه :

وذي عذل فيمن سباني حسنه
يطيل ملامي فى الهوى ويقول

امن اجل وجه لاح لم تر غيره
ولم تدر كيف الجسم انت عليل

(7) الصلة لابن بشكوال صفحة 409 طبع مدريد . وفيه مخالفة لما فى طبقات الامم لصاعد .

فقلت له اسرفت في اللوم فاتئد
فعندي رد لو اشاء طويل

الم تر اني ظاهري وانني
على ما بدا حتى يقوم دليل

ومما جاء في طوق الحمامة من شعره في الحب الطاهر قوله :

يلوم رجال فيك لم يعرفوا الهوى
وسيان عندي فيك لاح وساكت

يقولون جانبت التعاون جملة
وانت عليهم بالشريعة قانت

فقلت لهم هذا الرياء بعينه
صراحا وزي للمرائين ماقت

متى جاء تحريم الهوى عن محمد
وهل منعه في محكم الذكر ثابت

اذا لم اواقع محرما اتقي به
مجيئي يوم البعث والوجه باهت

فلست ابالي في الهوى قول لائم
سواء لعمري جاهر او مخافت

وهل يلزم الانسان الا اختياره
وهل بخبايا اللفظ يؤخذ صامت

وفي الحب ايضا يقول ابن حزم :

يعيبونها عندي بشقرة شعرها
فقلت لهم هذا الذي زانها عندي

يعيبون لون النور والتبر ضلة
لراي جهول في الغواية ممتد

وهل عاب لون النرجس الغض عائب
ولون النجوم الزاهرات على البعد

وابعد خلق الله من كل حكمة
مفضل جرم فاحم اللون مسود

به وصفت الوان اهل جهنم
ولبسة باك مثكل الاهل محتد

ومذ لاحت الرايات سودا تيقنت
نفوس الورى ان لا سبيل الى الرشد

اما ابو الوليد الباجي (8) فله مؤلفات فقهية هامة كالاستيفاء في شرح الموطا والمنتقى وهو مطبوع في سبعة مجلدات وله مؤلفات اخرى قيمة ، ومن شعره :

مضى زمن المكارم والكرام
سقاه الله من صوب الغمام

وكان البر فعلا دون نطق
فصار اليوم نطقا بالكلام

وللباجي هذان البيتان المشتهرمن في الزهد والحكمة :

اذا كنت اعلم علما يقينا
بأن جميع حياتي كساعه

فلم لا اكون ضنينا بها
واصرفها في صلاح وطاعه

ومن الفقهاء الكبار الذين تناولهم كتاب « ادب الفقهاء » الامام القاضي أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الاشبيلي الحافظ المد تبحرختام علماء الاندلس وآخر ائمتها وحفاظها(9) الذي رحل الى المشرق فلقي ابا حامد الغزالي وغيره من كبار العلماء والفلاسفة فكان يمتاز بالفصاحة والمعرفة الواسعة الى جانب اطلاعه الادبي ومن تآلفه احكام القرءان وعارضة الاحوذي والعواصم من القواصم . ومن شعره المشهور قوله :

يهز علي الرمح ظبي مهفهف
لعوب بالباب البرية عابث

ولو كان رمحا واحدا لا تقيته
ولكنه رمح وثان وثالث

وقد توفى ابن العربي سنة 543 وقبره يوجد بفاس قرب باب المحروق اعيد ترميمه بعد الاستقلال .

اما القاضي عياض اليحصبي السبتي ، امام وقته في الفقه والحديث وعلومهما والنحو واللغة فقد وصفه ابن الابار بقوله : « كان جمال العصر ومفخر

(8) نسبة الى باجة في الاندلس لا باجة افريقيا في تونس وابو الوليد كان قريع ابن حزم في الفقه والعلم على مذهب مالك

(9) راجع ابن بشكوال في كتابه الصلة .

الافق وينبوع المعرفة ومعدن الافادة ، واذا عدت رجالات المغرب فضلا عن الاندلس حسب فيهم صدرا » .

وقد الف فيه العلامة المقري كتابه ازهار الرياض في اربعة مجلدات ، وللقاضي عياض تصانيف سارت بها الركبان منها كتاب الشفائي التعريف بحقوق المصطفى ؛ وكتاب مشارق الانوار ، وكتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب الامام مالك ، وقد كانت للقاضي عياض قريحة في قول الشعر الموزون المقفى ، ومن شعره نختار هذه الابيات :

انظر الى الزرع وخاماته
تحكي وقد ماست امام الرياح

كتيبة خضراء مهزومة
شقائق النعمان فيها جراح

وله قصيدة يصف فيها شدة اللوعة لفراق الاحبة وهي تصور الوصف الدقيق لحركة السفر نقتطف منها هذه الابيات :

اقول وقد جد ارتحالي وغردت
حداتي وزمت للفراق ركائبي

وقد غمضت من كثرة الدمع مقلتي
وصارت هواء من فؤادي ترائبي

ولم تبق الا وقفة يستحثها
للاحباب لا للحبائب

رعى الله جيرانا بقرطبة العلا
وسقى رباها بالعهاد السواكب

وحيا زمانا بينهم قد الفته
طليق المحيا مستلان الجوانب

اخواننا بالله فيها تذكروا
معاهد جار او مودة صاحب

غدوت بهم من برهم واحتفالهم
كأني في اهلي وبين اقاربي

الى هذا الحد يكون المؤلف قد قدم لنا نخبة هامة من الادباء الفقهاء في المشرق والمغرب والاندلس، ولكن هناك طائفة اخرى من الادباء الذين كانوا يلقبون ( بالعلماء غير الفقهاء ) (10)، وهذه الطبقة كانت تتكون من العلماء الذين قالوا الشعر واجادوا فيه امثال ابن دريد صاحب كتاب الاشتقاق والهمزة في اللغة ومن شعره الغزير :

وحمراء قبل المزج صفراء بعده
اتت بين ثوبي نرجس وشقائق

حكت وجنه المعشوق صرفا فسلطوا
عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

وكذلك الزمخشري صاحب التفسير العظيم المسمى بالكشاف الذي له ذخيرة شعرية هامة منها قوله :

العلم للرحمن جل جلاله
وسواه في جلالته يتغمغم

ما للتراب وللعلوم وانما
يسعى ليعلم انه لا يعلم

وهناك ابو حيان الغرناطي صاحب البحر المحيط فمن شعره :

يظن الغمر ان الكتب تهدي
اخا فهم لادراك العلوم

وما يدري الجهول بأن فيها
غوامض حيرت عقل الفهيم

اذا رمت العلوم بغير شيخ
ضللت على الصراط المستقيم

وتلتبس الامور عليك حتى
تصير اضل من توما الحكيم

اما يعقوب الكندي وكان عالما بالطب والفلسفة وعلم الحساب والمنطق والهندسة وعلم التنجيم والادب فقد اشتهر ايضا بقول الشعر ومنه هذه الابيات :

---

(10) لان كلمة (فقيه) كانت تطلق على الفقهاء الاقحاح المختصين بالدراسات الفقهية والعلوم الاسلامية في دائرتها الواسعة ، كما كانت تطلق للتشريف على الوزراء والحكام وعلى كبار رجالات الدولة لابراز مكانتهم .

وفى اربع مني حلت منك اربع
فما انا ادري ايها هاج لي كربي

اوجهك فى عيني ام الطعم فى فمي
ام النطق فى سمعي ام الحب فى قلبي

وللطبيب الشهير ابو بكر بن زهر باع طويل فى قول الشعر والتحلل الحكمة والفقه والحديث فى شعره فى الموشحات التي تمثل حياة اللهو فى الاندلس قوله :

ايها الساقي اليك المشتكى
قد دعوناك وان لم تسمع

ونديم همت فى غرته
وشربت الراح من راحته
كلما استيقظ من سكرته
جذب الزق اليه واتكا

وسقاني اربعا فى اربع

اما ابن الياسمين وهو عالم رياضي راسخ القدم فى العلم بالحساب والجبر فقد برع فى نظم الشعر حتى اذا سمعت شعره ـ يقول المؤلف ـ تقول لا صنعة له الا النظم ، وهذه أبيات من شعره :

جاء الربيع وهذا
أولى البشائر منه

كانما هو ثغر
قد جاء يضحك عنه

زهر لنارنج دوح
انظر اليه وصنه

اليس حياك عرف
الذي جفا من لدنه

ونختم هذا القسم بالجغرافي الشريف الادريسي الذي اشتهر بنظريته التي تقول بكروية الارض وبدورانها حول الشمس ، وهو اندلسي الاصل عاش سائحا فى شمال افريقيا وءاسيا الصغرى . وقد وضع خريطة تعتبر اضبط خريطة للكرة الارضية وضعت بعد بطليموس وكان الى جانب اشتغاله بالعلوم الجغرافية ينظم الشعر ومن قوله فى شكوى الزمان :

ان عيبا على المشارق ان ار
جع عنها الى ذيول المغارب

وعجيب يضيع فيها غريب
بعد ما جاء فكره بالغرائب

ويقاسي الظما خلال اناس
قسموا بينهم هدايا السحائب

وفى هذا الصدد نجده يقول :

ليت شعري اين قبري
ضاع فى الغربة عمري

لم ادع للعين ما تشـ
ـتاق فى بر وبحر

وخبرت الناس والار
ض لذي خير وشر

لم اجد جارا ولا دا
را كما فى طي صدري

فكاني لم اسر الا
بمبيت او بقفر

## القسم الثاني

هذا القسم من الكتاب لا يقل اهمية عن سابقه بل يكون اهم اذا نظرنا الى موضوعاته واغراضه ، فهو يمتاز بكون المؤلف اتخذ منه وسيلة لدراسة ادب الفقهاء مجردا عن الشخصيات وتاريخها وعملها ومساهمتها فى الحقل العلمي والادبي ولذلك فقد اعتكف الاستاذ كنون على دراسة ادب الفقهاء من كل جوانبه فقد صنف هذا القسم الى فصول فحلل فى كل فصل ناحية من نوحي هذا الادب ، وهكذا تناول بالدرس والتحليل والشروح الموضوعات الآتية : شعر العاطفة والوجدان ، الشعر الفلسفي ، الاخلاق والآداب ، المدح ، الهجاء ، الرثاء ، شعر اليسر او الملامح ، فنون شتى ، النظم التعليمي الخ.. ونحن يصعب علينا فى هذا العرض الوجيز ان نقوم بأي تلخيص او شرح لاعتقادنا انه مهما بذلنا من جهد سنكون مقصرين فى عملنا لاهمية هذا القسم لان موضوعاته بمثابة الابناء بالنسبة للاب فلا يمكنه ان يفضل احدهم على الآخرين ، ولذلك نحيل القارىء الكريم على الكتاب الذي نتولى تقديمه ليتوسع اكثر ، اما الذين لا يمكنهم الحصول عليه من قراء المشرق والبلاد الاسلامية النائية ، فانني أزودهم بهذه النظرة التي تلقي اضواء مجملة وخاطفة على ما تضمنه هذا القسم من الكتاب ، مستعينا بكلام المؤلف وشروحه :

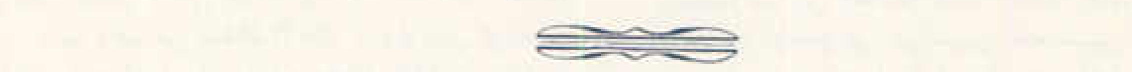
لقد عددنا فى القسم الاول موضوعات هذا الادب عدا اجماليا لنقول كلمة فى كل موضوع منها ، ولنعطي مزيدا من الامثلة من غير تصنيف ولا تسبيق، كما ان كثيرا من الاسماء لم يرد ذكرها فى القسم المار ، يمكن استيعابها فى هذا القسم الموضوعي بطريقة تعداد الامثلة واختيار الشاهد ، وهكذا — يكون المؤلف — قد قدم ادب الفقهاء مرتين ، تقدمه لمن يعنى بالناحية التاريخية — وهذا ما قمنا بتحليله فى هذا العرض — حيث سهلنا على القاريء معرفة تراجم اعلامه مرتبة بحسب السنين ، ويقدمه لمن يعنى بالناحية الموضوعية فى فصول وابواب تنظم الاغراض والفنون التى تناولها الفقهاء فى شعرهم والتى تعطينا نماذج من ادبهم الغض فى كل موضوع، ليسهل امر مقارنتها مع ادب غيرهم ( وعلى هذا القسم الاخير نحيل القراء للرجوع الى الصفحات الاخيرة من الكتاب التى تنطوي على معلومات غزيرة قلما ينطوي عليها كتاب ءاخر .

— * —

هذا هو كتاب « ادب الفقهاء » وهذه خلاصة موجزة لفصوله وابوابه التى يجدر بكل قاريء عربي ان لا تضيع عليه فرصة الاستفادة منها ، فهي فصول جديرة بالدراسة والتحليل ، سيما وانها صادرة عن عالم كبير ، وفقيه مطلع ، واديب متنور وشاعر رقيق ، وباحث متمكن من علوم القدماء والمعاصرين انه استاذنا جميعا العلامة عبد الله كنون الذى نكن له جميعا كل التقدير والاحترام نظرا لما يسديه للغة العربية وعلومها من نفع عظيم وخير عميم .

واخيرا اشكر للمؤلف اهداءه وعبارته الرقيقة الصادرة من والد لابنه .

**الرباط — عبد الرحيم بن سلامة**



## قصة العدد

# في ذمة الله ... «يا مختار»

**« نهاية شاب من شباب الاسلام الذين حملوا العقيدة والوطن ، وفدوهما بأرواحهم »**

للأستاذ محمد احمد اشماعو

سجن (العلو) الشامخ الجدران رابض بجوار البحر المحيط متحديا ، وليس هناك من نوافذ تطل على امواج هذا المحيط المتلاحقة نحو الشاطئ في صخب ، الا ان الهدير يبلغ هذا المعتقل الكبير فيتصام عنه ، كما يتصام العملاق عن ضجة صغاره ، وهم يتعاركون عند قدميه . ومنذ اول الليل توصد الابواب الحديدية العتيدة ، واحدا بعد ءاخر ، مساندة قوية منها لبعضها ، وتطمينا لقلوب الحراس الاشداء الذين يبيتون يذرعون الارض الصلبة باقدامهم الثقيلة ذهابا وايابا ، لا محافظة على سلامة السجناء ، ولكن جزءا من عبء مسؤولية (السجناء السياسيين) الذين تلقوا في شأنهم اوامر صارمة ، يشعرون بهول صرامتها وبخطورتها كلما اقتربوا عشية من مقر عملهم ، على دراجاتهم او سياراتهم العتيقة.

انهم وهم من شذاذ الآفاق ، واوباش كورسيكا ، وقدماء الاجرام في اسبانيا وبلجيكا يتلذذون بمهمتهم ، وينسون عند الامعان في ممارستها ماضيهم الذي لا يشرفهم ، امام محروسيهم لو علموا يوما به ، لذا هم يتنعمون ما وسعهم التنعم باهانة السجناء وسبهم واحتقارهم ، ويلطمهم ورفسهم في اكثر الاحيان ، انما سجناء (الوطن) الذين جاءوا منذ بضعة شهور لا يجدون المجال معهم فسيحا لممارسة اساليبهم الفاشمة ، لذلك هم يسعون ما امكن في تجنبهم . لقد قيل لهم ان من بينهم محامين واساتذة ورجال تعليم ومثقفين ، وذلك حقا واضح في لباسهم الانيق، ووجاهتهم التي لم يقو السجن بأحواله السيئة على طمسها ، كما انه واضح في حديثهم العذب ، ولفظهم المهذب الذي يتبادلونه بينهم بالعربية او الفرنسية ، ثم هذه الادمغة العامرة ، التي تظل وتبيت، تملى عليهم من المخطوطات آيات قرآنية، وادعية متوالية، واناشيد وطنية، ثم تلك الشجاعة التي يواجهون بها ضباط الحراسة ومديرية السجن ، انهم يفرضون احترامهم على كل واحد ، فكيف يهمهم هؤلاء الحراس ...

شيء جديد طرا على نظام الحراسة في السجن الليلة – ليلة عيد المولد – هو التحاق طائفة عتيدة من الحراس الفرنسيين صارمة الوجوه ، جبارة المظهر ، جلبت من سجون بعيدة بقصد تعزيز الحراسة . لا شك ان هناك شيئا خطيرا .. لقد ساء حراس السجن العاديين ان يكون هناك شك في كفاءتهم ، فجيء بمن يقوى عليها اكثر منهم . غير ان المسؤولين الفرنسيين عادة يضعون الثقة في مثل هذه الظروف عند الرجال الفرنسيين الاقحاح ، وينصبونهم في الطليعة للثقة الكاملة فيهم ، والتي لا يمكن ان توضع في فرنسيين متجنسين .

لم تعزز الحراسة في السجن فقط وانما عززت في الطريق المنحدرة من السجن والذاهبة الى خارج مدينة الرباط نحو قرية ( تمارة ) ايضا ، وهذه الطرقات عززت برجال مسلحين اشداء ، على اكتافهم بنادق رشاشة ، وعند احزمتهم مسدسات ومفرقعات يدوية .. اما هناك ، في ساحة خفية باحدى الثكنات العسكرية بقرية ( تمارة ) فقد وقفت فرقة مسلحة بالبنادق على اتم استعداد لاداء مهمتها .

والمهمة ابتدات الآن.! والساعة الرابعة قبل طلوع الفجر ، لقد جاءت سيارة سوداء مصفحة شبابيكها مغلقة بشكل لا سبيل لفتحها ولو بالمطارق الضخمة ، والباب الخلفي لا تنفذ منه قذيفة مدفع لشدة متانتها ، ولما فتح هذا الباب نزلت جماعة من الجنود ، هي اشد صرامة وقوة من كل اولئك

الآخرين ، مهمتها ان تأخذ المحكوم عليهم بالاعدام من زنزانات السجن الى ساحة الاعدام .

وبدخول الجماعة الى السجن وبحركة تفتيح الابواب الجبارة وضجيجها شعر ذوو الآذان الرهيفة والضمير الحيران المضطرب ان هناك حركة غير عادية في نهاية الليل ، لا بد وان يكون في الامر شيء مبيت يتم تنفيذه عند الصباح ...

بالفعل شعر الشاب ( المختار جروليست ) ان من حوالي زنزانته حركات ، وكلمات خافتة ، كما شعر بوطات الاقدام العاتية رغم اجتهاد اصحابها في تخفيفها ، وعندئذ ايقن ان العتاة الجبابرة السفاكين يتهيأون لاخذ روحه وارواح زملائه الاعزاء .

لان يضرب انسان بسوط ، او ان يحرق بجمرة، او يقطع لحمه بسكين ، فآلام تقوم موجعة ثم تضمحل شيئا فشيئا ، لان ينتف عنه الشعر وتقتلع الاظافر وتنتزع الاضراس او يشج الراس او يسلخ الجلد فعذاب عظيم لا يطاق ولكنه ينسى بتوالي الايام .. اما ان يقدم شاب في تمام وعيه وكامل صحته الى الموت ، وان تزهق روحه عن عمد فذلك هول ما بعده من هول !

ومست قشعريرة شاملة جسد الشاب المختار ، وشرد ذهنه في غيبوبة خاطفة ، وغاض الريق من حلقه فكاد اللسان الرطب ينحدر الى الخلف جافا ، وكاد الانهيار التام يذهب بتمام وعيه.. ولكن التمسك باهداب الحياة يأبى الله الا ان يستمر، املا في فرج يأتي من حيث لا انتظار . والذهن ــ موهبة الله الخفية ــ قادر على ان يركز احداث السنين الخوالي في ثوان ودقائق غير مديدة ، ويجمع الصور والاشكال البالية وراء الستار والاعوام فيجليها واضحة كأنها تقع في ذلك الحين :

« والدة طيبة ترعى (المختار) وتربيه ، وتعقد عليه آمالا كبارا ، وكلما صعد درجا في ميدان الحياة وظهرت له مكانة فيها الا واستبشرت وطمعت له في ما هو ارفع واحسن . لقد شعرت باعتزاز والافتخار لما علمت بأن ابنها صار مدرسا ، وانه يحظى باعجاب كل من يعاشره ، انهم معجبون بسلوكه وبذكائه ، وخفة روحه ورقة شعوره ، ومعجبون كذلك بوطنيته ، وحبه الخارق لدينه السمح الخالد، الذي ملأ الدنيا عدلا ، واوسع نطاقها حضارة ...

ان ما بنفس (المختار) نحو وطنه ومواطنيه وءاماله في المستقبل نحوهما لا مجال للافاضة فيه الا بمدرسة حرة يغلق فيها الاساتذة الابواب عليهم ، ويقبلون على تلاميذهم يشحنون صدورهم عواطف سامية نحو وطنهم المقدس ودينهم المجيد ... لا مدير اجنبيا يحقد ، ولا اساتذة اجنبيين متعصبون ، ولا مفتشون متعنتون ، بل الجميع مواطنون ، كل في كل ، هل هناك من مجال كريم امين مثل مجال المدرسة الحرة ؟ انها معقل متواضع المظهر ، ولكنه شامخ المخبر ، لا يستطيع المحتل ان يقتحمه ، خشية من المدير والاساتذة الصامدين ، ومن انصار المدرسة العديدين الذين يعتبرون نصرتها نصرة للدين والوطن .

والمواطنون ؟

المواطنون يخلص لهم ( المختار ) ويمنحهم كامل الاعتبار والتقدير ، انهم في اغلبيتهم الساحقة احرار اباة ، يستجيبون للدعوات الوطنية المخلصة ، انهم كلهم خيرون .. ويتساءل : فلماذا ــ اذن ــ لا تكون امة حرة مثل غيرنا ، لماذا لا تكون امة حرة ونحن نتوفر على رجال اكفاء ، اكفاء ليكونوا وزراء ورؤساء ومسيرين الا يعطينا هؤلاء الفرنسيون امورنا لنريهم كيف يكون تسيير بلاد نحن اعرف بها ، انهم مهما عرفونا فهم يجهلوننا ، لابد ان نستقل ولابد ان نشد على زمام امورنا رغم انوفهم ، انهم يحاربون النازية الالمانية ونحن نحاربهم ، واذا انتصروا فسننتصر ، نحن اسبق منهم تاريخيا لمعرفة العزة وقيمة الحرية .

تخطر يومئذ للشبان ــ رفقاء المختار ــ خطرات انشاء البيوت وتأثيثها وتعميرها بانجاب البنين والبنات ، ويختارون لرفقة حياتهم فلانة او فلانة ، المحجبة او غير المحجبة من الفتيات اللواتي يوجدن على مقعد الدرس ، في خفة روح ، ورقة جانب ، وطهارة نفس ، لكانهم الملائكة الاطهار ، ولكن (المختار) يرى ما لا يرون، ان ازمة الوطن مستحكمة، ولا ينتظر لها حل عن قريب ، والازمة تتطلب تضحيات ربما تكون عظيمة ، واذا كان الضحايا هم انفسهم لماذا يسعون لان يتركوا من بعدهم ايامى ويتامى ..

على هذا لم تكن للمختار من نشوة في دنياه سوى دروسه لتلاميذه ، انه يريد ان يكون استاذا عن جدارة ، ان تلك الشعلات من الذكاء التي يلاحظها في العيون البريئة المتعطشة ، وذلك التلهف الذي يراه في الاقبال الشديد على دروسه وتمارينه ومحفوظاته واناشيده وتمثيلياته تدفعه كلها ليكون مخلصا متفانيا مسلما في كل الاغراض الصغرى !

كل الدروس التى يلقيها على تلاميذه يلقيها بنشوة ومتعة، ويأخذ بيد تلاميذه وتلميذاته ليشاركوه تلك المتعة والنشوة ؛ لكن الذ منها واشهى واقرب الى النفس على الخصوص ( الدروس التاريخية ) ؛ التاريخ هو حكاية المجد ، وهو دروس الموعظة ، فيجب ان يقرا ، وتعاد قراءته وان ينظم شعرا ، وان يصاغ قصصا ، وان يلحن قصائد وملاحم واناشيد ، وان يمثل مسرحيات ، لهذا لم تخل يد المختار من كتب تاريخية ، ولم يفرغ منها قط مكتبه ، ولم تكن طلباته والحاحاته على الاقران وعلى الافاضل الذين يحظى بتقديرهم ، الا من اجل استعادة كتاب تاريخي يمضي اوقات الفراغ والليالي فى استيعابه وتامل احداثه ، والتجاوب معها ابتهاجا وافتخارا ، او تضايقا وتحسرا ، ان التاريخ المغربي متكامل ، طافح بالحيوية والحركة ، والنهوض والانتكاس ، والنصر والانهزام ، اذ فى كل صفحة من صفحاته علامات صادقة على الماضي الحي ...

كل ذلك انتهى الآن ، فالمختار ليس اليوم فى قاعة درسه ، وليس فى خلوة بمكتبه ، ولا هو فى شارع ( الجزاء ) يلاقي الاصحاب ووجهاء العاصمة ، ولا هو فى (السويقة) الحافلة بالخيرات من كل نوع ، ولا طريقه على ( سوق السباط ) المزدهى بالصناعات المغربية الجميلة ، ولا ذاهبا الى ضفة نهر (ابي رقراق) الساحر العامر افلاكا ، للوقوف عليه وقفة الفنان المتعشق للطبيعة ، ولا متنزها بين خمائل (شالة) وعيونها المتدفقة ... انما فى سجن (العلو) الرهيب، الواقف عند حافة المحيط الهادر ، وبجانب المقبرة الموحشة المزدحمة قبورا، وعلى مسافة غير بعيدة من الاسوار والابراج الاثرية الخربة الموحشة ، التى تزيد وحشتها وهيبتها فى ظلام الليل البهيم — ... السجن وما يحيط به لا يبعث ولو على بصيص ضئيل من الانشراح او الامل . كيف ! والحراس الغلاظ الاكباد ، العراض الاكتاف ، الشداد الاذرع والاكف ، قادمون يدقون الارض باقدامهم ، ولم تعد بهم حاجة الى ان يستخفوا ، لقد طال الفجر — فجر يوم عيد المولد — وهو اليوم الذى قرر القضاة الفرنسيون العادلون ان ينفذ فيه حكم الاعدام ...

وقصفت المدافع عند الابراج القريبة وعند ابراج سلا البعيدة معلنة لحظة مولد الرسول الكريم هادي الانسانية الاكبر ، لكنها كانت قصفات داخل الصدور فهزت الافئدة الواهنة وضعضعت القلوب الكئيبة ، فافاضت الدموع بدل ان تبعث السرور ، والنساء اللواتي جرت عادتهن من قديم ان يطلقن الزغاريد فى تلك اللحظة لم يطلقنها ، فلو وجدن السبيل لاطلقنه عويلا ونواحا صاخبا . اما المادحون فاحتراما منهم لذكرى الرسول الاكرم فى تلك اللحظة يرتلون الاناشيد والتواشيح ، لكن بغير ابتهاج كبير ، واين لهم التفتح النفسي ليكون ذلك وفق مرادهم ! فحتى دخان ( العود ) وقطرات الزهر لم يعد لهما ذلك العبير الفواح ، الذى تلذ به النفوس، ان الاشياء تتذوق على حقيقتها فى الاحوال الحسنة ، اما الآن ومنذ حوادث يناير 1944 لم يعد الطعام طعاما ، ولا الشراب شرابا ، ولا النوم نوما ، ولا الاعياد اعيادا .. ومع ذلك لا بأس، انه لابد من مثل هذه المواجهة الوطنية ازاء حملات الاستعمار الغازية ، تلك الحملات التى تحاول ان تبدل الارض والناس والافكار والمعتقدات والاذواق والميول بغير الحال التى يجب ان تكون عليها ، منذ كان الاسلام وهو يقدم ضحاياه فداء للعزة والاصالة الاسلامية ، ومنذ كان العرب وهم يعطون الافاضل اجساما وارواحا ، شهداء لاعلاء شأن الاسلام .. فالتاريخ مستمر والادوار تتجدد ، واليوم جاء دور ( المختار ) فالحمد لله على كل حال.

وفتحوا باب الزنزانة فصر الباب الحديدي صريرا قظيعا ، واحاطوا بجمعهم الكبير على الشاب النحيل لكانه فراشة يخافون ان تطير من بين ايديهم، واطبقوا عليه ، كل يشد على جانب ، ومضوا به الى السيارة المصفحة السوداء ، التى سرعان ما تحركت متحدرة فى غير تمهل من عقبة السجن ، ومضت فى سرعة خاطفة — جنوبا — تشق الازقة والشوارع نحو ( قرية تمارة ) ، ثم انحرفت قليلا ثم صعدت ثم عادت فانحرفت واخيرا انزلت حملها .

شاب طيب وديع ؛ لا حقد عنده على احد ، ولم يؤذ احدا ، ذنبه انه يحب بلاده حبا جما طاغيا ، ومن اجل ذلك قاد المظاهرة الصاخبة فى شوارع الرباط .. وهذا ما اغضب عليه القضاة الفرنسيين ، والمدعي العام العسكري ، والطبيب المحلف الحاضر هو ايضا، كما اغضب ذلك حملة البنادق — الذين اقلتوا من الواجهة الالمانية — وجاءوا جميعهم ليقتلوا المختار ؛ المختار الذى يرونه فى هذا الصباح لاول مرة ؛ ومع ذلك فكل منهم يتحسس انبوب بندقيته البارد ، منتظرا اوامر الرؤساء العتاة لاطلاق الرصاص ، نحو صدر هذا الشاب المومن البار ، ففى ذمة الله يا مختار ..

**الرباط : محمد بن احمد شماعو**




## المـغـــرب :

* حل بالمغرب الموسيقار الكبير محمد عبد الوهاب، للمشاركة فى الاحتفالات بذكرى ميـلاد صاحب الجلالة الملك المعظم .

— ◆ —

* مثل المغرب الحاج محمد ابن جلـون فى المؤتمر العالمي للمدن المتوامة الذى عقد فى لينينغراد السوفييتية من 7 الى 10 يوليو . وشارك فى هذا المهرجان اكثر من 2000 ممثل من مختلف الدول والمدن والاقاليم والجماعات .

— ◆ —

* دشن بالرباط المتحف الوطني للبريد ، وهو اول متحف من نوعه ببلادنا .

— ◆ —

* زار المغرب 127 تلميذا ومعلما واستاذا بريطانيا .

— ◆ —

* ابرم فى وزارة الشؤون الخارجية اتفاق ثقافي بين المغرب ويوغسلافيا .

— ◆ —

* نظمت المفتشية الاقليمية للشبيبة باكادير بمناسبة «اسبوع مدينة سيدي ايفني» مسابقة ادبية تخلد تحرير المدينة . خصصت لها جوائز مهمة .

— ◆ —

* تراس صاحب السمو الملكي الامير الجليل سيدي محمد حفلة توزيع الجوائز بمناسبة اختتام السنة الدراسية بمدرسة محمد جسوس بالرباط .

— ◆ —

* غادر المغرب فوج من الطلبة الصحفيين المغاربة يضم 16 طالبا للقيام بزيارة لالمانيا الاتحادية . وتدخل هذه الرحلة فى اطار برنامج التكوين العلمي لهؤلاء الصحفيين فى الميدان الصحفي . وقامت بتنظيم هذه الرحلة مؤسسة فريدريك نومان التى تتعاون مع وزارة الانباء المغربية فى تكوين الصحفيين .

— ◆ —

* اقيم بوزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الاصلى مهرجان ثقافي تحت رئاسة معالي وزير الثقافة على شرف المحاضرين الذين حاضروا بوزارة الثقافة ، بمناسبة انتهاء موسم المحاضرات .

— ◆ —

* مثل المغرب فى المؤتمر الذى عقد باديس ابابا فى موضوع كتابة التاريخ العام للقارة الافريقية الاستاذ محمد الفاسي وزير الثقافة .

— ◆ —

* وصل الى المغرب الدكتور هنري ديتمار الاستاذ بجامعة ريدلانس بولاية كاليفورنيا فى جولة دراسية حول تاريخ الحضارة والثقافة الاسلامية بالمغرب . ويقوم هذا المستشرق الاميركي بجمع معلومات عن الثقافة العربية والاسلامية لهدف احداث قسم خاص بها فى الجامعة المذكورة .

— ◆ —

* بمناسبة عيد الشباب افتتحت وزارة الشبيبة والرياضة والشؤون الاجتماعية تجمعا لالف متطوعة بغابة المعمورة . ويعتبر هذا التجمع الهـام

فرصة ستمكن الالف متطوعة من اخذ معلومات بواسطة دروس في الاسعاف والتربية الاخلاقية والدينية والصحية والمنزلية ومعلومات عن المغرب وتاريخه وانظمته الادارية والاقتصادية حتى يتمكن من القيام بدورهن في توعية المراة المغربية ورفع مستواها .

— ◆ —

※ وقعت الوكالة الاميركية للتنمية الدولية وجامعة مينيسونا على اتفاقية جديدة للمساعدة في تدريب الاساتذة للمعاهد الزراعية في المغرب .

— ◆ —

※ تراس وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية والتعليم الاصلي بخزانة الجامع الكبير بتطوان مجلس جامعة القرويين . وقد اتخذ المجلس قرارات هامة من شانها ان تنهض بجامعة القرويين وتجعلها تساير روح العصر .

— ◆ —

※ صدر اخيرا عن المطبعة الملكية ضمن سلسلة « مطبوعات القصر الملكي » كتاب : « اختصار الاخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار » للعلامة محمد بن القاسم الانصاري السبتي الذى عاش فى القرن التاسع الميلادي . ويتناول الكتاب فى موضوعه مدينة سبتة المغربية . قام بتحقيق هذا الكتاب الاستاذ عبد الوهاب ابن المنصور .

— ◆ —

※ انعم صاحب الجلالة على الدكتور جيان كوهين الاستاذ بكلية الطب بباريس بالوسام العلوي من درجة ضابط .

— ◆ —

※ انعقدت بدار الحديث الحسنية ندوة لمناقشة رسالة السيد احساين محمد حبيب بعنوان «الاسس الاسلامية لبناء الاسرة » لنيل شهادة الدبلوم فى الدراسات الاسلامية العليا . وبعد مناقشة الرسالة من طرف اللجنة . اعلن عن قبول الرسالة بميزة مستحسن. كما نوقشت فى نفس اليوم رسالة السيد لسان الحق احمد بعنوان « الصحابي الجليل ابو ذر الغفاري » التى فازت بالنجاح بدرجة حسن جدا .

— ◆ —

※ زار المغرب مؤخرا وفد من الفنانين الايطاليين المعروفين ، بقصد وضع لوحات لاحسن المناظر السياحية المغربية

— ◆ —

※ صدر مؤخرا بالدار البيضاء تحقيق لمخطوط نادر بعنوان « فنون الافنان فى عيون علوم القرءان » للعلامة جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمان بن علي ابن الجوزي البغدادي الحنبلي . وقد قام بنشر هذا الكتاب وتقديمه الاستاذ احمد الشرقاوي اقبال المراكشي ، بعد ان عثر عليه عند السيد احمد الغزال احد الكتبيين بمراكش .

— ◆ —

※ عن دار الكتاب اللبناني صدر كتاب للاستاذ عبد الله كنون تحت عنوان « ادب الفقهاء » . ويعتبر موضوع هذا الكتاب طريفا ومبتكرا فى عالم المؤلفات العربية .

— ◆ —

※ سيصدر المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربي بالرباط طبعة دولية لمجلته «اللسان العربي » بلغات مختلفة ، وخاصة منها الفرنسية والانجليزية ، وذلك فى مواضيع تتصل بلغة الضاد او مشاكل تتعلق بالتعريب وفقه اللغة وعلم اللسنيات، وعلمي السيمياء والاشتقاق .

— ◆ —

※ بمناسبة الذكرى الاربعينية لوفاة الاستاذ عبد الخالق الطريس ، صدر كتاب يشتمل على منتخبات من اقواله وخطبه وءارائه . .

— ◆ —

※ اصدرت جريدة «الانباء» ملحقا خاصا بعيد الشباب لصاحب الجلالة الملك المعظم .

— ◆ —

※ صدر للاستاذ محمد ابن شقرون كتاب باللغة الفرنسية حول البيئة المغربية ومظاهرها الثقافية والحضارية على عهد بني مرين وبني وطاس » .

— ◆ —

※ « المثل الاعلى » اسم كتيب جديد صدر مؤخرا للاستاذ علال الفاسي عن مطبعة الرسالة بالرباط .

* صدر العدد الثاني من المجلة السينمائية التي تصدرها الجامعة المغربية لنوادي السينما.

— ◆ —

* الفنان صالح الشرقي يهيىء كتابا عن الموسيقى والآلات المغربية .

— ◆ —

* عقد مؤخرا بالرباط الاسبوع الثقافي السينغالي ، الذي تضمن عروضا مسرحية وسينمائية وتشكيلية ورياضية .

— ◆ —

* نظمت جمعية تاريخ المغرب زيارة الى ءاثار ما قبل العصر الروماني بسوق الجمعة الغور .

— ◆ —

* بمناسبة مرور اربعين سنة على تأسيس جمعية المحافظة على القرءان ، اقيم بمدينة فاس احتفال بهذه المناسبة الكريمة .

— ◆ —

* في نطاق التعاون والتبادل الثقافي بين المغرب وتونس ، سلم السفير التونسي مجموعة مهمة من المؤلفات التونسية الى وزير الثقافة ، وتبودلت بهذه المناسبة الكلمات بين السيدين الوزير والسفير ، اكدا فيها العلاقات الاخوية القائمة بين البلدين في شتى المجالات .

— ◆ —

* اصدر الاستاذ احمد مصطفى الحرشني استاذ اللغات معجما بالفرنسية والعربية .

## الجزائر :

* صدر في الجزائر كتاب في التاريخ والبحث الثقافي ، وهو عبارة عن خلاصة للتظاهرات الفنية والادبية التي عرفها المهرجان الثقافي الافريقي الاول .

— ◆ —

* جمعت كل الخطب والمناقشات التي جرت خلال المهرجان الثقافي الافريقي بالجزائر في كتاب بعنوان : « الثقافة الافريقية » . وقد كتب مقدمة هذا الكتاب وزير الانباء الجزائري .

## تونس :

* استانفت نشاطها جمعية « رابطة القلم الجديد » بعد توقف طويل .

— ◆ —

* اقيم مهرجان عربي كبير في تونس بمناسبة الذكرى الاربعينية لوفاة العلامة الكبير مفتي الديار التونسية ، وعميد الكلية الزيتونية الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور .

— ◆ —

* «الحلل السندسية في الاخبار التونسية» تاليف محمد بن محمد الاندلسي الوزير السراج المتوفى سنة 1149 . قام بتحقيقه محمد الحبيب الهيلة .

— ◆ —

* يقوم توفيق الحكيم بزيارة الى تونس حيث يحضر افتتاح مسرحية « الملك اوديب » التي تقدم في تونس لاول مرة .

## ليبيا :

* « الاتجاهات الوطنية في الشعر الليبي الحديث » اسم كتاب جديد صدر للاستاذ محمد الصادق عفيفي .

## الجمهورية العربية المتحدة :

* يصدر قريبا عن مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة كتاب « جوانب مضيئة من الشعر العربي » لمؤلفه محمد عبد الغني حسن . ويتضمن الكتاب دراسة حول الشعر العربي ورسالته الانسانية في الحياة من مختلف الوجوه .

— ◆ —

* «العالم الاسلامي والاستعمار الثقافي» كتاب جديد صدر للاستاذ انور الجندي .

— ◆ —

* تالفت لجنة في المجلس الاعلى للفنون والآداب بالقاهرة لتاليف مجلد حول ادباء القرن العشرين .

* انشئت بالقاهرة لجنة جديدة فى جمعية الادباء بالقاهرة تدعى «لجنة ادباء الاقاليم» هدفها دعم الصلات بين الجمعية وادباء الاقاليم والمشاركة فى نشاطهم الفني والثقافي .

— ♦ —

* صدرت لمامون غريب رواية طويلة بعنوان « فى تلك الايام » عن المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب .

— ♦ —

* اصدر احمد محمد عطيه كتابا بعنوان «مع نجيب محفوظ» ، يتضمن دراسة عن هذا القاص .

— ♦ —

* « اعلام فى الادب الانساني » اسم كتاب صدر حديثا وهو من تاليف ابراهيم المصري .

— ♦ —

* نعت القاهرة الخطاط المعروف محمد ابراهيم الذى يعتبر من مؤسسي أول معهد مصري للفنون الجميلة بالاسكندرية .

## لبنان :

* صدر فى بيروت كتاب : « مقدمة الادب الفلسطيني المعاصر فى المعركة » ، وهو من تأليف ثريا ملحس .

— ♦ —

* «حزب الاستقلال الجمهوري ، من المقاومة الوطنية ايام الانتداب الفرنسي » عنوان الكتاب الجديد الذى اصدره عادل الصلح .

— ♦ —

* « نصف ارتياحية » عنوان الديوان الثاني الذى تصدره بالفرنسية الشاعرة هدى اديب فى منشورات مجلة « الاديب » .

— ♦ —

* عقدت فى قصر اليونيسكو ببيروت « الندوة العالمية للمسيحيين من اجل فلسطين » . وقد ضمت 300 شخصية مسيحية من كافة انحاء العالم . وكان هدفها بحث ومناقشة القضية الفلسطينية من كافة نواحيها ودراسة كيفية وامكانية توفير الدعم اللازم لهذه القضية من قبل المسيحيين فى العالم .

— ♦ —

* اصدرت المؤسسة اللبنانية للنشر ببيروت مجموعة شعرية بعنوان : « قصائد من ايفتوشنكو » مترجمة عن الروسية .

— ♦ —

* يعكف الاستاذ حمويل عبد الشهيد على تحضير كتاب عن « مهيار الديلمي » وذلك فى معهد الدراسات الشرقية التابع لجامعة القديس يوسف ببيروت .

— ♦ —

* تقرر فى بيروت اطلاق اسم الشاعر «الاخطل الصغير» على شارع فى محلة الرملة البيضاء، كما تقرر وضع تمثال نصفي فى احد الشوارع ببيروت .

— ♦ —

* اصدرت مؤسسة الريحاني مجموعة شعرية ونثرية للشاعر المهجري وديع رشيد الخوري

— ♦ —

* بقاعة وزارة التربية الوطنية ببيروت ، اقامت اللجنة الادارية لخريجي الجامعات والمعاهد الاسبانية حفلة تذكارية بمناسبة مرور 25 سنة على وفاة المستشرق الاسباني ميكيل اسين بلاثيوس .

## الاردن :

* يعكف الكاتب الاردني محمد اديب العامري على انجاز كتاب عن عروبة القدس وفلسطين قبل الاسلام .

— ♦ —

* اعد مجلس البحث العلمي الاردني الجزء الاول من دليل المعلمين الاردنيين يتضمن معلومات وافية عن جميع حملة الباكالوريوس والليسانس فما فوق . ويعمل المجلس المذكور على انجاز الجزء الثاني

— ♦ —

※ زارت عمان عدة وفود صحفية وسياحية وثقافية من مختلف بلدان العالم للبحث والدراسة ولعقد الاتفاقيات الثقافية .

— ◆ —

※ صدر العدد الثاني من مجلة كلية الآداب في الجامعة الاردنية التي يشرف على تحريرها الدكتور محمود السمرة .

## سوريا :

※ « الوافي في العروض والقوافي في صنعة الخطيب التبريزي » اسم مخطوط قام بتحقيقه الدكتور فخر الدين قباوة والشاعر عمر يحيى . صدر الكتاب في حلب .

— ◆ —

※ عن دار الثقافة بدمشق، صدرت «مختارات الشاعر الاخطل الصغير » مع دراسة لسعد صائب .

— ◆ —

※ سيرفع في حلب عن تمثال سيف الدولة الحمداني في ساحة الفيض .

— ◆ —

※ صدر للشاعر السوري زكي المحاسني الطبعة الثانية من كتابه « ابو نواس : شاعر من عبقر » .

— ◆ —

※ « القمر في حياتنا وتراثنا » اسم كتاب صدر للسيد عبد القادر عياش عضو لجنة الفنون الشعبية .

— ◆ —

※ عن دار الثقافة بدمشق : صدرت مجموعة شعرية للشاعر عباس طراف بعنوان: «اغاني العشق»

## العراق :

※ صدر للدكتور علي جواد الطاهر كتاب جديد تحت عنوان : « ملاحظات على الموسوعة العربية الميسرة » . بمساعدة جامعة بغداد التي انفقت على طبعه .

— ◆ —

※ ظهرت في الاسواق مجموعة قصصية من تاليف موفق هاشم بعنوان : « حين يقصر السفر » .

— ◆ —

※ ساعد المجمع العراقي على طبع كتاب « تاريخ الموسيقى الاندلسية » الذي قام بتاليفه الدكتور عبد الرحمان علي حجي .

## المملكة العربية السعودية :

※ تم التوقيع على اتفاقية انشاء كلية للجيولوجيا التطبيقية في العربية السعودية بمساعدة اليونيسكو .

— ◆ —

※ «الحركة الادبية في المملكة العربية السعودية» عنوان الاطروحة التي نال بها الدكتوراه الاستاذ بكري شيخ .

— ◆ —

※ هذه الكتب صدرت في السعودية :

« مدارسنا والتربية » لعبد الوهاب عبد الواسع . « المملكة السعودية العربية عند مفترق الطرق » لفهد خالد السديري . « في الخيام » و « حبيبتي على القمر » ديوانان للشاعر الطاهر الزمخشري، «همسات الليل الحزينة » ديوان شعر للامير عبد المحسن بن سعود بن عبد العزيز . « القيادة التربوية » لعبد الله الحصين . « أدب وشعر » لفهد الربيعان . « الدفاع المدني في المملكة العربية السعودية » للقائد كمال سراج الدين . « نساء صنعن التاريخ » للسيدة مزين حقي .

## الكويت :

※ « فهذا العسكر : حياته وشعره » عنوان كتاب جديد صدر للاستاذ عبد الله زكرياء الانصاري .

— ◆ —

※ « الصوت الخافت » مجموعة قصصية صدرت للقاص سليمان الشطي .

— ◆ —

※ للشاعر الكويتي محمد الفائز يصدر له قريبا ديوان شعر بعنوان : « الطين والشمس » .

## البحريـــــن :

※ صدرت في البحرين الكتب الآتية :

« لمحات من الخليج العربـي » لمحمد جابـر الانصاري . « البحرين واهميتها بين الامارات العربية» لابراهيم عبد الكريم محمد . « ديـوان البشـارة » للشاعر قاسم حداد .

## اسـبانيـا :

※ تعد الآن الدكتورة ليونور مرتينث مرتيـن كتابا بالاسبانية عنوانه : « منتخبات من الشعر العربي المعاصر » في 200 صفحة ، ويضم 75 شاعـرا مـع تعريف موجز لكل شاعر وقصيدة او قصيدتين له . وستصدر المجموعة عن دار « اوسترال » بمدريد .

## فـرنســا :

※ تم في احد مطاعم غابة بولونيا بباريس تقديم كتاب جديد للكاتب الفرنسي جاك روبير عنوانـه : « الباريسيون » مشتملا عن هزليات الشخصيـات المعاصرة التي تسكن العاصمة الفرنسية . وتبـدو في الصورة ثلاث شخصيات تعرض لها المؤلف في كتابـه وهم : موريس سوفالييه ، ووانيت بوافر ، وفرنانديل .

— ◆ —

※ اقيمت على ظهر احدى السفن بنهر السين حفلة لتوزيع الجوائز على الفائزيـن في مسابقـة بين الكتاب العاملين على التشجيع على الاسفار .

— ◆ —

※ انتخب الكاتب المسرحي ارمـون سالاكرو رئيسا لجمعية مؤلفي الدراما الفرنسية .

## ايطاليـــا :

※ توفي الشاعر الايطالي الكبيـر جيسبـي اينغاريي . ولد هذا الشاعر سنة 1888 بالاسكندرية . وفي مصر اخذ ينظم الشعر الذي استقبلته الاوساط الادبية بكامل الاعتبار . وقد تأثر بالرمزيين الفرنسيين . خلف اعمالا منها : دواوين شعر مثل « الحـرب » و « احساس العصر » و « قصائد » و « الالم » .

— ◆ —

※ « الزا » ، رفيقة الشاعر اراغون الذي كتب عنها ديوان شعر كامل بعنوان : « عيون الزا » ماتـت في المدة الاخيرة . « الزا » منمواليد موسكو . التقت بالشاعر اراغون سنة 1939 . فازت بجائزة الكونكورد سنة 1949 عن قصتها «اول اتفاق يساوي 200 فرنك» .

— ◆ —

※ تبذل شركات النشر العالميـة محاولات كثيرة للحصول على مذكرات الجنرال ديغول بمجـرد الانتهاء من كتابتها ، والهدف هو ترجمتها الى العديد من اللغـــات .